غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المجلد الثاني والثمانون

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

غير مرخصة للطباعة

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوسُوعَةُ الأعمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإمَامِ
يُوسُف القَرضَاوي

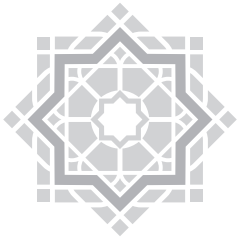

المِحوَرُ العَاشِرُ

نَحوَ وَحدَةٍ فِكرِيَّةٍ لِلعَامِلِينَ لِلإسلَامِ

١٦١ البدعة في الدِّين
حقيقتُها وأسبابُها وأقسامُها وآثارُها

١٦٢ التَّحْذِيرُ مِنَ العُرْفِ الخاطِئ
وَالخداع اللفظي وَالتّركِيزُ عَلَى
الْعَقِيْدَةِ وَتأثِيرُها فِي العَمَلِ

١٦٣ موقف الإسلام
من العقل والعلم

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفَ القَرَضَاوِي

المحـور العاشــر

نحو وحدة فكريَّة للعاملين للإسلام

غير مرخصة للطباعة

١٦١

البدعة في الدِّين

حقيقتُها وأسبابُها وأقسامُها وآثارُها

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣].

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١].

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن أحدثَ في أمْرِنا هذا ما ليس فيه، فهو ردٌّ**». متَّفق عليه.

عن عائشةَ رضي الله عنها، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ**». رواه مسلم.

عن العِرْبَاضِ بن ساريةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله والسمعِ والطاعةِ، وإن كان عبدًا حبشيًّا، فإنَّه من يَعِشْ منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين، تمسَّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ مُحْدَثة بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة**». رواه أحمد وأبو داود.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ يقول: «**إنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسنَ الهَدْيِ هديُ مُحَمَّد، وشرَّ الأمور مُحْدَثَاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**». رواه مسلم والنسائي.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على رسله الَّذين اصطفى، وعلى خاتمهم المجتبى، مُحَمَّدٍ وآله وصحبه مصابيح الدُّجَى، ومن بهم اقتدى فاهتدى.

(أمَّا بعد)

إنَّ من أخطر الآفات الَّتي أصابت الأديان السَّماويَّة الَّتي أنزلها الله إلى عباده عن طريق رسله وكتبه: ما يعرف بـ «الابتداع الدِّيني»، وهو يفترق عن «الابتداع الدُّنْيوي» الَّذي ندعو إليه، ويدعو إليه الإسلام الصحيح، فالأُمَّة المهتدية بهدى الله هي الَّتي تَتَّبع في دِينها، وتبتدعُ في دُنياها.

وقد كان هذا شأن أُمَّة الإسلام، أُمَّة القرآن، أُمَّة مُحَمَّد ﷺ: أن تَتَّبع في دِينها، تقف عند حدود الله وما شرع لعباده، وتلتزم به، ولا تزيد عليه، ولا تنقص منه، ولكنَّها مع هذا الاتِّباع تبتدعُ في أمور دُنياها، مثل إبداعاتها في علوم اللغة وآدابها، في الشعر والنثر؛ أنشأت علم النحو، وعلم الصرف، وعلم البلاغة، وعلم العروض والقافية، كما أنشأت علومًا دينيَّة في الفقه وأصول الفقه، والتفسير وعلوم القرآن، والحديث وعلومه، وكذلك علم التصوُّف، كما أنشؤوا بعد ذلك علم الجبر، وأضافوا إضافات ثمينة إلى العلوم الأخرى طبيعيَّة ورياضيَّة وإنسانيَّة واجتماعيَّة.

QaradawiBooks.com

وهكذا ظلَّت الأُمَّة الإسـلاميَّة في عهود أصالتها وتقدُّمها على هذا النهج: اتِّباع في الدِّين، وابتداع فـي الدُّنيا، فالأصل في الدِّين أن يثبُت، والأصل فـي الدُّنْيا أن تتطوَّر، حتَّى قُدِّر للأُمَّة أن تنتكس على رأسـها، وتنقلب على وجهها، فإذا هي تسـير سَـيْر الأمم المُعْوَجَّة عن الطريق الأمثل، وتبتدع في الدِّين مُخالفةً لشرعها، وتجمُد على الدُّنيا، على غير ما جاء بها دِينُها، وكما وسوس لها أعداؤها.

ومعنى هذه الكلمة (الابتداع الدِّينـي): أن يخترع النَّاس بأهوائهم وأفكارهم أشياء من عند أنفسهم، وينسبونها إلى الدِّين، فيُصدِّقها عددٌ من النَّاس، ويدافعون عنها، وتصبح بعد مدَّة من الزمن جزءًا أساسـيًّا من الدِّين.

وكثيرًا ما يَهزم هذا الجزءُ الدخيلُ الجزءَ الأصيل، فيقاومُه ويطاردُه، حتَّى يتغلَّب عليه، ويغدو منبوذًا من أكثريَّة أصحاب الدِّين، إلَّا من قليلٍ يُعَدُّون عند الآخرين فئةً خَطِرة على الدِّين، لا همَّ لها إلَّا الهدم والتشويه، وبهذا تنقلب الحقائق، ويُتَّهم البناؤون بالهدم، كما يزعم الهدَّامون أنَّهم بُناة حقيقيُّون.

ومن يقرأ تاريخ الديانات السَّـماويَّة الكتابيَّة الكبرى، المعروفة في العالم اليوم، وفي مُقَدِّمتها اليهوديَّة والنَّصرانيَّة، فسـيجد ما قلتُه بجلاءٍ ووضوح، إذا قرأ ما قرأه برُوح الناقد، وبعقل المستقلِّ، وبنفسيَّة المتفهِّم، الَّذي لا يقبل قولًا إلَّا بتفكير، ولا تصحُّ عنده دعوى إلَّا بدليل.

ومن أعجب ما أصاب هذه الأديان: أنَّ الضرب كان في أُمِّ رأسها، في أمخاخها، فـي عقائدها الأصليَّة، حتَّى تغيَّرت نظرتها إلى الله سـبحانه، وإلى أصل وجوده، ووحدانيَّته وصفاته، وتميُّـزِه عن خَلْقه، فاضطربت

QaradawiBooks.com

هذه الأمور، واختلَّت موازينها، فانتقلت هذه الأديان التَّوحيديَّة في أصلها إلى أديانٍ تعترف بالتثليث، ومن أديانٍ مُنَزِّهة لله تعالى، إلى أديانٍ تُشَبِّه اللهَ بخلقه.

كما دخل الابتداع إلى الدِّين، فبدَّل في كثيرٍ من الأمور والهيئات الدينيَّة الأصليَّة: في العبادات، والأذكار، والأدعية، وغيرها.

وحين جاء الإسلام دينًا خاتِمًا وعامًّا للنَّاس، في صورة رسالةٍ شاملة لكلِّ النَّاس، من عربٍ وعجم، في المشارق والمغارب، ومن كلِّ الألوان والطبقات، رسالة وصفها حسن البنَّا بأنَّها: امتدَّت طُولًا، حتَّى شملت آبادَ الزمان، وامتدَّت عَرْضًا، حتَّى انتظمت آفاقَ الأمم، وامتدَّت عُمْقًا، حتَّى استوعبت شؤون الدُّنْيا والآخرة.

عمل الإسلام على أن يحافظ على هذه الرسالة بكلِّ خصائصها، وبكلِّ مُقَوِّماتها، وكلِّ آدابها ومُكَمِّلاتها، فأعلن عن كمالها، وتمام نعمة الله بها، فلا تقبل الزيادة؛ لأنَّ الكامل لا يسمح بالزيادة، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣].

كما أعلن أنَّ الابتداع والاختراع في صُلْب هذا الدين أمرٌ مرفوض، يجب أن يُحاربه أهله وعلماؤه، ورجاله ونساؤه، الغَيُورون عليه، المدافعون عنه، ولذا قال ﷺ: «**من أحدث في أَمْرِنا هذا ما ليس فيه، فهو رَدٌّ**»(١)، أي مردود على صاحبه، كالعُمْلة الزائفة، الَّتي تُرَدُّ بقُوَّة إذا ظهرت أمام العُملة الأصليَّة.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الأقضية (١٧١٨) (١٧)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

أكد ذلك حديث آخر بلفظِ: «**من عمل عملًا ليس عليه أَمْرُنا فهو رَدٌّ**»(١).

وجاءت عِدَّة أحاديث أُخَر تصبُّ في هذا الاتِّجاه، وتدعمه وتُقَوِّيه، كما في قول الرسول ﷺ: «**فإنَّ خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهَدْيِ هديُ مُحَمَّد، وشرَّ الأمور مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ بدعةٍ ضلالة**»(٢).

وفي رواية: «**من يَهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْهُ فلا هاديَ له، إنَّ أصدقَ الحديثِ كتاب الله، وأحسنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وشرَّ الأمور مُحْدَثَاتُها، وكلَّ مُحْدَثة بِدْعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار**»(٣).

وكذلك جاء في حديث العِرْبَاض بن ساريةَ قال: وعظنا رسولُ الله ﷺ يومًا بعد صلاةِ الغَدَاة موعظةً بليغة، ذَرَفَتْ منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إنَّ هذه موعظةُ مُوَدِّع، فماذا تعهد إلينا يا رسولَ الله؟ قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمْعِ والطاعة، وإنْ عبدٌ حَبَشِيٌّ، فإنَّه من يَعِشْ منكم يرى اختلافًا كثيرًا، وإيَّاكم ومحدثاتِ الأمورِ، فإنَّها ضلالةٌ، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاء الراشدين المَهْدِيِّين، عَضُّوا عليها بالنواجذ**»(٤).

---

(١) رواه مسلم في الأقضية (١٧١٨) (١٨)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في الجمعة (٨٦٧)، عن جابر بن عبد الله.

(٣) رواه النسائي في صلاة العيدين (١٥٧٨)، وابن خزيمة في الجمعة (١٧٨٥)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٣٥٣)، عن جابر بن عبد الله.

(٤) رواه أحمد (١٧١٤٢)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح بطرقه وشواهده. وأبو داود في السنة (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم (٢٦٧٦)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة (٤٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٤٠).

QaradawiBooks.com

ولهذا بقي الإسلام بعقائده الأوَّليَّة، وبأركانه العباديَّة الأربعة: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحـجِّ، محفوظًا في صدور النَّـاس، وفي حياتهم وتعبُّدهم وتعاملهم، لا يستطيع أحدٌ أن يَزيد عليه، ولا أن يَنْقُص منه.

وكلَّما حاول محاول في بَلْدةٍ من البلدان، أو في عصرٍ من العصور، أن يُدْخِل على هذا الدِّين ما ليس منه، أو يحـذف من هذا الدِّين ما هو منه، سرعان ما يجد من المسـلمين خاصَّتهم وعامَّتهم ما يُقاومه، ويردُّ فَأْسَه عن الهدم.

ولهذا لم يتعرَّض الإسلامُ في أصوله لما تعرَّضت له الأديان السابقة؛ لحماية المسـلمين له، ووقوف علمائهم المخلصين ودُعاتهم الصادقين ومن حولهـم من المؤمنيـن الصامدين يدافعون عن حِمَـى هذا الدِّين، ويَفْدُونه بالنَّفْس والنَّفِيس، والغالي والرَّخيص.

ولكنَّ آفة الابتداع لم تدع المسلمين، كما لم تدعْ غيرَهم، وإن كان أثرُها في الإسلام أهونَ وأدنى من غيره من الأديان بكثيرٍ.

غير أنَّ المسـلمين بشرٌ كالبشـر، والبشـر فيهم الطيِّب والخبيث، والحَسَن والقبيح، والخيِّر والشرير، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقـال تعالـى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

فلا عجبَ أن دخل أهلُ الغواية إلى المسلمين، فلم يستطيعوا إفساد القِسْمِ الأكبر منهم، ولكنَّهم أفسدوا قليلًا منهم، كثر بمرور الزمن، وتتابع المحن، وقلة العلماء، وكثرة الجهلاء.

QaradawiBooks.com

وعرف المسلمون فرقًا من المُبْتَدِعَة، منهم: الخوارج، والروافض، والمُرْجِئة، والقَدَرِيَّة، وغيرهم ممَّن غلا في دِين الله، وبعُد كثيرًا عن وسطيَّة الإسلام الإيجابيَّة، الَّتي يُمليها قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وكما هو المعهود في مثل هذه الحالة، لا بدَّ أن يجد الباطل أعوانًا يحملونه فكرةً في رؤوسهم، وعقيدةً في قلوبهم، وسلوكًا في حياتهم. وكان من فضل الله على هذه الأُمَّة أنَّها لا تجتمع على ضلالة أبدًا، بل فيها دائمًا من قال الله فيهم: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١].

وقال تعالى بعد أن ذكر النبيِّين في الأمم المختلفة: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٩].

وأنا أقول دائمًا لإخواني وأبنائي حين أقرأ هذه الآية: نحن مُوَكَّلون من قِبَل الله تبارك وتعالى لحمل رسالته، ونشر هدايته، وحماية أُمَّته، والدفاع عن شريعته، فلا ينازعنا أحدٌ في مهمَّتنا، نحن وكلاء الله في الأرض كما ذكرنا في كتابه.

وقال رسول الله ﷺ: «**يحملُ هذا العلمَ من كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُه، ينفون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المُبْطِلين، وتأويل الجاهلين**»[(١)].

(١) رواه ابن وضَّاح في البدع (١)، والبيهقي في الشهادات (٢٠٩/١٠)، وصحَّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٤٨). عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن العذري. والحديث ذكره الإمام ابن القيم وقوَّاه لتعدد طرقه في مفتاح دار السعادة (١٦٣/١، ١٦٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت. وكذلك العلَّامة ابن الوزير الذي استظهر صحته أو حُسْنه، لكثرة طرقه مع ما نقل =

QaradawiBooks.com

ولذا قال سـيِّدنا عليٌّ رضي الله عنه: لن تخلو الأرض من قائمٍ لله بالحُجَّة، كي لا تبطل حجج الله وبيناته، أولئك الأقلُّون عددًا، الأعظمون عند الله قِيلًا، بهم يدفع الله عن حُجَجه حتَّـى يؤدُّوها إلى نُظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشـباههم، هجم بهـم العلم على حقيقة الأمر، فاسـتلانوا ما استوعر منه المُتْرَفون، وأَنِسُوا بما استوحش منه الجاهلون، صَحِبوا الدُّنْيا بأبدانٍ أرواحها مُعَلَّقة بالملأ الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه، ودُعاته إلى دينه(١).

ونحن المسلمين ـ وبخاصَّة علماؤهم ـ هم العدول القائمون لله تعالى بالحُجَّة والبيِّنات على خلقه، ليَهدوهم إلى الصراط المستقيم، وإلى الَّتي هي أقوم قيلًا، وأهدى سبيلًا.

ولهذا اهتـمَّ العلماء الرَّبَّانيُّون في مختلف العصـور بمقاومة البدع، وصـدِّ النَّـاس عنها، وبيـان حقائقهـا ومفاهيمهـا، وما يدخـل فيها، وما لا يدخل فيها، وقد انقسـموا فـي ذلك ما بين مُتَشَـدِّدين مبالغين، ومُفَرِّطين مُتَسَيِّبين، ومُتوسِّطين مُعْتَدِلين، نرجو أن نكون منهم.

كما نرجو أن يكون إمامنا الشيخ حسن البنَّا رحمه الله من هؤلاء الأوساط، الَّذين يسعون إلى إقامة التوازن في الأرض، والقسط بين النَّاس.

= من تصحيح الإمام أحمد له، والحافظ ابن عبد البر، وترجيح العقيلي لإسـناده، مع سـعة اطلاعهم وأمانتهم، فهذا يقتضي التمسـك به. انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير (٢١/١ ـ ٢٣)، نشر دار المعرفة، بيروت.

وانظر: كلامنا عن هذا الحديث في كتابنا: كيف نتعامل مع السُّنَّة النبويَّة صـ ٣٦ ـ ٤١، نشر دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٠م.

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٧٩/١)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٨٢/١)، وقال: هذا الحديث من أحسن الأحاديث معنًى وأشرفها لفظًا. كما شرحه ابن القيم شرحًا وافيًا في كتابه مفتاح دار السعادة (١٤٤/١) وما بعدها.

QaradawiBooks.com

وقد اهتـــمَّ ﷺ بتأصيل المفاهيـــم، ووضعها علـــى مقاييس أحكام الشريعة، ونصوصها الحاســـمة، ومقاصدها الواضحة، والبعد عن التقعُّر والتشـــدُّق لمحاولة تبرير المبتدعات الدِّينيَّة، الَّتي يُحْدِثُها بعض النَّاس، أو أحدثوها من قبل وأُلْصِقَتْ بالدِّين، وما هـــي منه، ولا من أصوله أو فروعه، ولذلك وضع هذين الأصلين المُهِمَّين في أصوله العشرين، الَّتي تصدَّينا لشـــرحها وتفصيلها، وضبطها وإحكامها وَفْـــقَ الموازين العلميَّة المَرْضِيِّ عنها من أهل العلم المُنْصِفين.

وهما الأصلان اللذان ورد ذكرهما في أوائل هذا الكتاب، وهما:

«**وكلُّ بدعةٍ فـــي دِينِ الله لا أصلَ لها، استحســـنها النَّاسُ بأهوائهم، سواء بالزيادة فيه، أو بالنقص منه: ضلالةٌ تجب مُحاربتُها، والقضاءُ عليها بأفضل الوسائل، الَّتي لا تُؤَدِّي إلى ما هو شرٌّ منها**».

«**والبدعة الإضافيَّة والتَّرْكيَّة، والالتزام فـــي العبادات المُطْلَقة: خلافٌ فِقْهِيٌّ، لكلٍّ فيه رأيُه، ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان**».

وكانت مُهِمَّتي هي الشـــرح والتأصيل الشـــرعي: الأصولي والفقهي والكلامـــي والحديثي والتفســـيري لهذه الأحكام، وضـــرب الأمثلة من الواقع الَّذي يعيشـــه النَّـــاس، حتَّى يَعِيَـــه القارئ العادي، مـــع القارئ المُتَخَصِّص، وتتكوَّن بذلك ثقافة إســـلاميَّة عامَّة قويَّة متوازنة، تُناهض ثقافةَ الماديِّين، وثقافة التَّغْرِيبيِّين، وثقافة العِلْمانيِّين والليبراليِّين.

وهي ثقافة تســـتمدُّ قوَّتها من كتاب الله العظيم، الَّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه.

ومن سُـــنَّة رســـول الله الصحيحة والحســـنة، الَّتي محَّصها العلماء الجهابذة، وميَّزوها من غيرها.

QaradawiBooks.com

ومن تراث علماء الأُمَّة الأخيار، الَّذين رضيتهم الأُمَّة على مدار تاريخها، وأثبتوا بعلومهم ومواقفهم أنَّهم درع الأُمَّة الواقي، وسيفها المدافع، وذراعها الأيمن.

وقد تعرَّض الكثيرون منهم لهذه القضايا، ودرسوها ومحَّصوها، وقدَّموها للنَّاس؛ لتكون لهم نبراسًا في حياتهم، وزادًا لآخرتهم.

من أمثال الأئمَّة الأربعة، وأئمَّة الحديث والتفسير، وأئمَّة الفقه وأصوله، وأئمَّة علم الكلام والعقيدة.

ومنهم الَّذين ألفوا في هذا الموضوع، مثل:

• الإمام أبو عبد الله مُحَمَّد بن وضَّاح (ت: ٢٨٧هـ)، الَّذي ألَّف كتابه «البدع والنهي عنها».

• والإمام أبو الحسين المَلْطِي العسقلاني (ت: ٣٧٧هـ)، وكتابه: «التنبيه والردُّ على أهل الأهواء والبدع»، وهو منشور بتحقيق العلَّامة مُحَمَّد زاهد الكوثري.

• والإمام أبو بكر الطُّرْطُوشي المالكي (ت: ٥٢٠هـ)، وكتابه: «الحوادث والبدع».

• والإمام أبو شامة شهاب الدِّين عبد الرحمٰن بن إسماعيل المقدسي (ت: ٦٦٥هـ)، وكتابه: «الباعث على إنكار البدع والحوادث».

• والإمام أبو عبد الله شمس الدين الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، وكتابه: «التمسُّك بالسنن والتحذير من البدع».

• والإمام أبو إسحاق الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، الَّذي ألَّف كتابه: «الاعتصام» في تحقيق هذه القضيَّة، وإن لم يكمله. وأصدره مُحَقَّقًا

QaradawiBooks.com

باسمه: العلَّامة الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا على نسخة واحدة، كثيرًا ما قرئ نصُّها خطأً، وكثيرًا ما اكتشفناه، كما اقتبسنا منه، واستفدنا استفادة بالغة، رحم الله مُؤَلِّف «الاعتصام» ومُحَقِّقه.

وها نحن نُقَدِّم كتابنا للقُرَّاء الأوفياء، على منهجنا الوسطي، الَّذي التزمناه، بتوفيق الله تعالى، آملين أن يكون قد هدانا الله إلى ما فيه الخير والهدى والنُّور لهذه الأُمَّة، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

سائلين الله تعالى أن يعصم أُمَّتنا من البدع كُلِّها كبيرها وصغيرها، كُلِّيِّها وجُزْئِيِّها، فِعْلِيِّها وتَرْكِيِّها، عَقَدِيِّها وعَمَلِيِّها، وأن يربطها بالعُرْوة الوُثقى من القرآن والسُّنَّة، ويجمع كلمتها على الهدى، وقلوبها على التُّقَى، وأنفسها على المَحَبَّة، وعزائمها على عمل الخير، وخير العمل. اللهمَّ آمين.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالَمِين.

الفقير إلى عفو ربه

يوسف القرضاوي

الدوحة: ١٢ ربيع الأوَّل ١٤٣٤هـ

الموافق ٢٣ من يناير ٢٠١٣م

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

البدعة
حقيقتها وأقسامها وآثارها

قال الإمام الشهيد حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وكُلُّ بدعةٍ في دِين الله لا أصل لها، استحسنها النَّاس بأهوائهم، سواء بالزيادةِ فيه، أو بالنقص منه: ضلالةٌ تجب محاربتها، والقضاء عليها بأفضلِ الوسائل، الَّتي لا تُؤَدِّي إلى ما هو شرٌّ منها.**

والبدعة الإضافيَّة، والتَّرْكِيَّة، والالتزام في العبادات المُطْلَقَة: خلافٌ فقهيٌّ، لكلٍّ فيه رأيُه. ولا بأسَ بتمحيصِ الحقيقة بالدليل والبرهان».

* * *

نسخة مجانية

الفصل الأول

البدعة لغةً وشرعًا عند المسلمين

البدعة لغةً:

من قرأ معاجم اللغة العربيَّة المختصرة، مثل «مختار الصحاح»، والمتوسِّطة، مثل «القاموس» و«المعجم الوسيط»، والمطوَّلة، مثل «لسان العرب لابن منظور»، و«شرح القاموس للزبيدي»، ومثل «المعجم الكبير» لمجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة، يجد أنَّهم متَّفقون على تعريف البدعة، وإن اختلفت أحيانًا بعض تعبيراتهم، ولكنَّ المعنى واحد.

قال في «المعجم الوسيط»: البدعة: ما استُحْدِثَ في الدِّين وغَيْرِه[١].

وقال في «القاموس»: والبِدْعَة ـ بالكسر ـ الحَدَث في الدِّين بعد الإكمال. أو: ما استُحْدِث بعد النبيِّ ﷺ من الأهواء والأعمال[٢].

فكلُّ ما أُحْدِثَ في أمرٍ من أمور الدُّنْيا أو الدِّين على غير مثالٍ سابقٍ له، فهو بدعةٌ، أيًّا كان دافعه.

وليس كلُّ ما يُعَدُّ بدعة في اللغة يكون بدعةً في الشرع. بل قد يكون الأمرُ بدعةً، ويُسَمِّيه النَّاس بدعة، أي: من الناحية اللُّغويَّة، ولكنَّه محمود شرعًا.

(١) المعجم الوسيط مادة (ب. د. ع).
(٢) القاموس المحيط مادة (ب. د. ع).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومن هذا ما جاء عن عمر بن الخطاب، الخليفة الراشد الثاني، حين قال عن صلاة التراويح، الَّتي اجتهد في إقامتها في المسجد النبوي، وكلَّف بالإمامة فيها أُبيَّ بن كعب، أحد القُرَّاء المشهورين من الأنصار في عهد النُّبُوَّة، الَّذين كانوا متفرِّقين من قبلُ، منهم من يُصلِّي منفردًا، ومنهم من يُصَلِّي في مجموعات صغيرة مُتَفَرِّقة، فجمعهم الفاروق رضي الله عنه على قارئٍ وإمامٍ واحد. وهنا قال حين نظر إلى وَحْدَتِهم الجامعة وصفوفهم المتراصَّة خلف إمامٍ واحد: نِعْمَتِ البِدْعَةُ هذه[1].

ومعلوم أنَّها بدعة؛ لأنَّها لم تنتظم بهذه الكيفيَّة، وبهذه الكثافة، وبهذا الإسراج والإضاءة، في جماعةٍ واحدة، خلفَ إمامٍ واحد، إلَّا بعد أن دعا إليها وأقرَّها عمر.

وإن كان النبيُّ ﷺ قد فعلها من قبل، وصلى في المسجد وحده، ثمَّ سمح للنَّاس أن يُصَلُّوا خلفه ليلتين أو ثلاثًا، ثمَّ امتنع بعد ذلك من الخروج إليهم، حينما تكاثروا وتجمَّعوا، خشية أن تُفْرَض عليهم من الله تبارك وتعالى[2].

وبعد وفاة الرسول الكريم لم يعُد هذا الخوف قائمًا، لذا فكَّر عمر في أن يكون لهم إمامٌ واحد يُصَلِّي بهم، ويقرأ لهم القرآن، وهم من ورائه يقتدون.

(١) رواه البخاري في صلاة التراويح (٢٠١٠). بلفظ: نعم البدعة هذه.

(٢) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: عن عائشة قالت: إن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة من جوف الليل، فصلى في المسجد، فصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس، فتحدثوا، فاجتمع أكثر منهم... متَّفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٩٢٤)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦١)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

ما كتبه ابن منظور في «لسان العرب»:

وكتب العلَّامة ابن منظور في معجمه الكبير «لسان العرب» في مادة (ب. د. ع) كلامًا طيِّبًا، وأوسع القول، وجمع ما بين اللُّغوي والشرعي، كما يفعل المعجميُّون في كثير من الأحـوال، وانتفع بما كتبه ابن الأثير في «النهاية»[١]، وأحرى بنا أن ننقل ما كتبه هنا لما فيه من بيان وتفسـير جدير بأن يُقْرَأ ويُسَجَّل، قال: «بَدَعَ الشَّـيْءَ يَبْدَعُه بَدْعًا، وابتدعه: أنشأه وبدأه. وبَـدَعَ الرَّكِيَّة: اسـتَنْبَطَها وأَحْدَثَها. ورَكِيٌّ بَدِيـعٌ: حديثة الحَفْر. والبَدِيعُ والبِدْع: الشـيءُ الَّذي يكون أوَّلًا. وفي التنزيل: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]؛ أي: ما كنتُ أوَّلَ من أُرْسِل، قد أُرْسِلَ قبلي رُسُلٌ كَثِير. والبِدْعَةُ: الحَدَثُ وما ابتُدع من الدِّينِ بَعْدَ الإكمال.

ابن السِّـكِّيت: البِدْعَةُ كلُّ مُحْدَثَةٍ. وفي حديث عمر رضي الله عنه، في قيام رمضان: نِعْمَتِ البِدْعَةُ هذه[٢].

ابن الأثير[٣]: البدعةُ بِدْعَتان: بدعةُ هُدًى، وبِدْعَةُ ضَلَال. فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسـوله ﷺ، فهو في حيِّز الذمِّ والإنكار، وما كان واقعًا تحت عموم ما ندب الله إليه وحضَّ عليه، أو رسوله، فهو في حيِّز المدح، وما لم يكن له مثال موجود، كنوعٍ من الجود والسـخاء وفعل المعروف فهـو من الأفعـال المحمودة، ولا يجـوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ، قد جعل له في ذلك ثوابًا فقال: «**من سنَّ سُنَّةً حسنة كان له أجرُها، وأجرُ من عمل بها**». وقال في ضدِّه:

---

(١) وهو أحد المصادر التي اعتمد عليها ابن منظور في كتابه: لسان العرب.

(٢) سبق تخريجه صـ١٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة (ب. د. ع).

QaradawiBooks.com

«**من سنَّ سُنَّة سيِّئةً كان عليه وِزْرُها، ووِزْرُ من عمل بها**»[١]. وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله.

قال: ومن هذا النوع قول عمر رضي الله عنه: «نِعْمَتِ البِدْعَةُ هذه». لما كانت من أفعال الخير، وداخلة في حيز المدح، سمَّاها بدعة ومدحها؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ، لم يَسُنَّها لهم، وإنَّما صلَّاها ليالِيَ ثمَّ تركها، ولم يُحَافظْ عليها، ولا جمع النَّاس لها، ولا كانت في زمن أبي بكر، وإنَّما عمر رضي الله عنهما جمع النَّاس عليها، وندبهم إليها، فبهذا سمَّاها بدعة، وهي على الحقيقة سُنَّة لقوله ﷺ: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاء الراشدين من بعدي**»[٢]، وقوله ﷺ: «**اقتدوا باللَّذَيْن من بعدي: أبي بكر وعمر**»[٣]. وعلى هذا التأويل يحمل الحديث الآخر: «**كلُّ مُحْدَثَةٍ بدعة**»[٤]. إنَّما يريد ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق السُّنَّة، وأكثر ما يستعمل المُبْتَدع عرفًا في الذمِّ.

وقال أبو عدنان: المُبْتَدِع الَّذي يأتي أمرًا على شَبَهٍ لم يكن ابتدأه إيَّاه. وفلانٌ بِدْعٌ في هذا الأمر أي أَوَّل لم يسبِقْه أحد. ويقال: ما هو مِنِّي ببِدْعٍ وبَدِيعٍ، قال الأحوص:

فَخَرَتْ فَانْتَمَتْ فَقُلْتُ: انْظُرِينِي ... لَيْسَ جَهْلٌ أَتَيْتِهِ بِبَدِيعِ[٥]

---

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٧)، عن جرير بن عبد الله.

(٢) سبق تخريجه صـ١٠.

(٣) رواه أحمد (٢٣٢٤٥)، وقال مخرِّجوه: حسن بطرقه وشواهده. والترمذي في المناقب (٣٦٦٢)، وقال: حسن. وابن ماجه في المقدمة (٩٧)، وحسَّنه ابن الملقن في البدر المنير (٥٧٨/٩)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٢٣٣)، عن حذيفة بن اليمان.

(٤) سبق تخريجه صـ١٠، وفيه: «أوصيكم بتقوى الله».

(٥) انظر: الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (٤١٧/٤)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

QaradawiBooks.com

وأَبْدَعَ وابتدَعَ وتبدَّع: أتى ببِدْعة، قال الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

وقال رُؤْبة:

إِنْ كُنْــتَ للهِ التَّقِــيَّ الْأَطْوَعَا فَلَيْسَ وَجْهُ الْحَقِّ أَنْ تَبَدَّعَا(١)

وبدَّعه: نسـبه إلى البدعة. واسـتبدعه: عدَّه بديعًا. والبديع: المُحْدَث العجيب. والبديع: المُبْدِع. وأبدعتُ الشيءَ: اخترعتُه لا على مثال. والبديعُ: من أسماء الله تعالى، لإبداعه الأشياء وإحداثه إيَّاها. وهو البديع الأوَّل قبل كل شيء، ويجوز أن يكون بمعنى مُبْدِع، أو يكون من بَدَع الخَلْقَ أي بَدَأَه، والله تعالى كما قال سـبحانه: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقـرة: ١١٧]، أي: خالقها ومُبْدِعها، فهو سبحانه الخالق المُخْتَرِع لا عن مثالٍ سابق.

قال أبو إسحاق: يعني أنَّه أنشأها على غير حذاءٍ ولا مثال. إلَّا أنَّ بديعًا من بَدَع لا من أَبْدَع، وأَبْدَع: أكثر في الكلام من بَدَع، ولو استُعمل بَدَع لم يكن خطأً، فبديعٌ فَعِيلٌ بمعنى فاعل، مثل قدير بمعنى قادر، وهو صفة من صفات الله تعالى؛ لأنَّه بدأ الخلق على ما أراد، على غير مثال تقدَّمه.

قال الليث: وقرئ: (**بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**)(٢)، بالنصب على وجهِ التعجُّب لِمَا قال المشركون. على معنى: بِدْعًا ما قلتُم، وبديعًا اخترقتم، فنصبه على التعجُّب. قال: والله أعلم أهو ذلـك أم لا، فأمَّا قراءة العامَّة فالرفع، ويقولون: هو اسم من أسماء الله سبحانه.

---

(١) انظر: شـرح ديوان رؤبة بن العجاج (١٩٥/١)، تحقيق ضاحـي عبد الباقي محمد، مراجعة محمود علي مكي، نشر مجمع اللغة العربية، ط١، ٢٠١١م.

(٢) قال أبو جعفر الأندلسي: أمَّا قراءة النصب فقرئت في الشـاذِّ، ولم ينسبها أبو حيَّان، ووجهها النصب على المدح. تحفة الأقران صـ ١٢٢، نشر كنوز أشبيليا، السعودية، ط٢، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

قال الأزهـري[١]: ما علمتُ أحـدًا من القُرَّاء قـرأ (بديع) بالنصب، والتعجب فيه غير جائز، وإن جاء مثله في الـكلام فنَصْبُه على المدح؛ كأنَّه قال: اذكرْ بديعَ السماوات والأرض»[٢].

وقد اسـتفاد من ذلك الزَّبِيـدي، فوضعـه كُلَّه أو جُلَّه في «شـرح القاموس»[٣].

البِدْعة شرعًا:

أمَّـا البدعة الشـرعيَّة الَّتـي ذمَّها الله تعالـى ورسـولُه، واعتبرها الرسولُ ﷺ بدعةً: و«**كُلُّ بِدْعَةٍ ضلالة، وكلُّ ضلالةٍ في النَّار**»[٤]. والَّتي برئ المسـلمون منها، ومن اتِّباعها، والانقياد إليها، وذمُّوا من أحدثها، ودعا إليها، فلا بدَّ لنا من أن نعرفها، ونعرف حقيقتها، ونعرف ما يُمَيِّزُها عن البِدْعة اللُّغَوِيَّة.

قال الإمام الراغب الأصفهانـي في كتابه: «مفـردات ألفاظ القرآن»: «البدعة في المذهب ـ يقصد في الدِّين ـ إيرادُ قولٍ لم يستنَّ قائلُها وفاعلُها فيه بصاحب الشـريعة، وأماثلهـا المتقدِّمـة، وأصولِها المُتْقَنـة. ورُوِيَ: «**كُلُّ مُحْدَثَةٍ بدعة، وكلُّ بدعةٍ ضلالة، وكلُّ ضلالةٍ في النَّار**»[٥]»[٦].

---

(١) تهذيب اللغة (١٤٤/٢)، تحقيق محمد عوض مرعب، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

(٢) لسان العرب مادة (ب. د. ع).

(٣) تاج العروس شرح القاموس مادة (ب. د. ع).

(٤) سبق تخريجه صـ١٠، وفيه: «أوصيكم بتقوى الله».

(٥) سبق تخريجه صـ١٠، وفيه: «أوصيكم بتقوى الله».

(٦) المفردات في غريب القرآن صـ١١١، تحقيق صفوان عدنان الداودي، نشـر دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ.

QaradawiBooks.com

البدعة عند ابن تيمية:

وممَّا قرَّره شـــيخ الإسلام ابن تيمية في قاعدة (السُّـــنَّة والبدعة): أنَّ البِدْعة في الدِّين، هي ما لم يشـــرعْه اللهُ ورسولُه. وهو ما لم يأمرْ به أمرَ إيجابٍ ولا اســـتحبابٍ، فأمَّا ما أمر به أمرَ إيجابٍ أو اســـتحبابٍ، وعلم الأمر به بالأدلَّة الشرعيَّة، فهو من الدِّين الَّذي شرعه الله، وإن تنازع أولو الأمر في بعض ذلك. وســـواء كان هذا مفعولًا على عهد النبيِّ ﷺ أو لم يكن فما فعل بعده بأمره من: قتال المُرْتَدِّين والخوارج المارقين وفارس والرُّوم والتُّرْك، وإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، وغير ذلك؛ هو من سُنَّتِه».

فقد جاءت الأحاديث الصحاح بذلك كلِّه، فجاء عن عليِّ بن أبي طالب[١] وأبي سعيد[٢] في قتال الخوارج، وجاء عن عددٍ من الصحابة قتال المُرْتَدِّين، وهو ما أصرَّ عليه ســـيِّدُنا أبو بكـــر، وناقش فيه عمر، حتَّى شـــرح الله صدره لِمَا قاله أبو بكر[٣]. وجاءت الأحاديث في قتال

(١) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: «يأتي في آخر الزمان قوم، حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإســـلام كما يمرق الســـهم من الرَّمِيَّة ...». رواه البخاري في المناقب (٣٦١١)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٦).

(٢) عن أبي سعيد الخدري: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا... «دعه، فإن له أصحابًا يحقر أحدكـــم صلاته مع صلاتهـــم، وصيامه مع صيامهم، يقـــرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم...». متَّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦١٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤) (١٤٨).

(٣) عن أبي هريرة قال: لمَّا تُوُفِّي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس وقد قال رســـول الله ﷺ: «أمـــرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلٰه إلَّا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفســـه إلَّا بحقه، وحسابه على الله»؟ متَّفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٩، ١٤٠٠)، ومسلم في الإيمان (٢٠).

QaradawiBooks.com

الفُرْس[١] والرُّوم[٢] والتُّرْك[٣]، وفي إخراج اليهود والنَّصارى من جزيرة العرب[٤].

ولهذا كان عمر بن عبد العزيز يقول: سنَّ رسولُ الله ﷺ سُنَنًا: الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوَّة على دين الله، ليس لأحدٍ تغييرها، ولا النظر في رأيِ مَنْ خالفها؛ من اهتدى بها فهو مُهْتَدٍ، ومن استنصر بها فهو منصورٌ، ومن خالفها واتَّبع غير سبيل المؤمنين ولَّاه الله ما تولَّى، وأصلاه جهنَّم وساءت مصيرًا[٥].

قال ابن تيمية: «فسُنَّة خلفائه الراشدين: هي ممَّا أمر الله به ورسولُه، وعليه أدلَّة شرعيَّة مُفَصَّلة ليس هذا موضعها ـ كما في حديث العِرْبَاض بن ساريةَ المشهور: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين، وعَضُّوا عليها بالنواجذ**»[٦] ـ فكما أنَّ الله بيَّن في كتابه مخاطبة أهل الكتاب وإقامة الحُجَّة عليهم بما بيَّنه من أعلام رسالة مُحَمَّد ﷺ،

(١) إشارة إلى حديث: «تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله». رواه مسلم في الفتن (٢٩٠٠)، عن نافع بن عتبة.

(٢) إشارة إلى حديث: «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا». قالت أُمُّ حَرَام: قلت: يا رسولَ الله، أنا فيهم؟ قال: «أنتِ فيهم». ثم قال النبيُّ ﷺ: «أول جيش من أُمَّتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم». متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٤)، ومسلم في الإمارة (١٩١٢)، عن أم حرام.

(٣) إشارة إلى حديث: «لا تقوم الساعة حَتَّى تقاتلوا التُّرك، صغار الأعين، حُمْر الوجوه...». متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد (٢٩٢٨)، ومسلم في الفتن (٢٩١٢)، عن أبي هريرة.

(٤) إشارة إلى حديث: «لَأُخْرِجَنَّ اليهودَ والنصارَى من جزيرة العرب حتَّى لا أدع إلَّا مسلمًا». رواه مسلم في الجهاد (١٧٦٧)، عن جابر بن عبد الله.

(٥) رواه ابن بطة في الإبانة (٢٣١)، نشر دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

(٦) سبق تخريجه صـ١٠، وفيه: «أوصيكم بتقوى الله».

QaradawiBooks.com

وبما فـي كتبهم من ذلـك، وما حرَّفوه وبدَّلوه مـن دِينهم، وصدق بما جاءت به الرسل قبله؛ حتَّى إذا سمع ذلك الكتابي العالم المُنْصِف وجد ذلك كلَّه من أبينِ الحُجَّة وأقومِ البُرهان.

والمناظرة والمحاجَّـة لا تنفع إلَّا مع العدل والإنصـاف، وإلَّا فالظالم يجحد الحقَّ الَّذي يعلمه: وهو المُسَفْسِط والمُقَرْمِط. أو يمتنع عن الاستماع والنظر في طريـق العلم، وهو المُعْـرِض عن النظر والاسـتدلال. فكما أنَّ الإحسـاس الظاهر لا يحصل للمُعْرِض، ولا يقوم للجاحد، فكذلك الشهود الباطن لا يحصل للمُعْرِض عن النظـر والبحث. بل طالب العلم يجتهد في طلبه من طرقه، ولهذا سُمِّيَ مجتهدًا، كما يُسَمَّى المجتهد في العبادة وغيرها مجتهدًا. كما قال بعض السلف: ما المجتهد فيكم إلَّا كاللاعب فيهم[١]. وقال أُبَيُّ بن كعب وابن مسعود: اقتصادٌ في سُنَّة خيرٌ من اجتهادٍ في بدعة[٢].

وقد قال النبيُّ ﷺ: «**إذا اجتهد الحاكمُ فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**»[٣].

وقال معاذ بن جبل ـ ويـروى مرفوعًا، وهو محفـوظ عن معاذ ـ : «عليكم بالعِلْم، فـإنَّ تعليمه حسـنة، وطَلبَه عبادةٌ، ومذاكرتَه تسـبيحٌ، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قُرْبَة»[٤]. فجعل الباحث عن العلم مجاهدًا في سبيل الله.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٦٥٩٧)، من قول مجاهد.

(٢) رواه المروزي في السنة (٨٩).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٣٥٢)، ومسلم في الأقضية (١٧١٦)، عن عبد الله بن عمرو.

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٣٨/١)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم موقوفًا (٢٦٩)، ومرفوعًا (٢٦٨)، وقال عقبه: وهو حديث حسن جدًّا ولكن ليس له إسناد قويٌّ.

QaradawiBooks.com

ولمَّا كانت المحاجَّة لا تنفع إلَّا مع العدل، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فالظالم ليس علينا أن نجادله بالَّتي هي أحسن.

وإذا حصل من مسلمة أهل الكتاب الَّذين علموا ما عندهم بلُغَتِهم، وترجموا لنا بالعربيَّة، انتُفع بذلك في مناظرتهم ومخاطبتهم، كما كان عبد الله بن سَلَام وسلمان الفارسي وكعب الأحبار وغيرهم يُحَدِّثون بما عندهم من العلم، وحينئذٍ يُسْتَشْهَد بما عندهم، على موافقة ما جاء به الرسول، ويكون حُجَّة عليهم من وجهٍ، وعلى غيرهم من وجهٍ آخر»[(١)].

و«البدعة» عند ابن تيمية شرعًا الَّتي يُعَدُّ بها الرجلُ من أعداء السُّنَّة ومن أهل الأهواء: «ما اشتهر عند أهل العلم بالسُّنَّة مخالفتها للكتاب والسُّنَّة؛ كبدعة الخوارج، والروافض، والقَدَرِيَّة، والمُرْجِئَة، فإنَّ عبد الله بن المبارك ويوسف بن أسباط وغيرَهما قالوا: أصول اثنتين وسبعين فرقة هي أربع: الخوارج، والروافض، والقَدَرِيَّة، والمُرْجِئَة. قيل لابن المُبارك: فالجَهْمِيَّة؟ قال: ليست الجَهْمِيَّة من أُمَّة مُحَمَّد ﷺ.

و«الجَهْمِيَّة» نُفَاة الصفات، الَّذين يقولون: القرآن مخلوقٌ، وإنَّ الله لا يُرَى في الآخرة، وإنَّ محمدًا لم يُعْرَجْ به إلى الله، وإنَّ الله لا عِلْمَ له ولا قُدرة ولا حياة، ونحو ذلك. كما يقوله المعتزلةُ والمتفلسفةُ ومَنِ اتَّبعهم.

وقد قال عبد الرحمٰن بن مَهْدِيٍّ: هما صنفان فاحذرْهما: الجَهْمِيَّة والرافضة[(٢)]. فهذان الصنفان شرار أهل البدع، ومنهم دخلت القرامطة

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/١٠٨ ـ ١١٠)، تحقيق عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة النبويَّة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/٧)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

الباطنيَّة، كالنُّصَيْريَّة والإسماعيليَّة، ومنهم اتَّصلت الاتِّحاديَّة؛ فإنَّهم من جنس الطائفة الفرعونيَّة.

و«الرافضة» في هذه الأزمان مع الرفض جَهْمِيَّة قَدَرِيَّة؛ فإنَّهم ضمُّوا إلى الرفض مذهبَ المُعْتَزِلة؛ ثمَّ قد يخرجون إلى مذهب الإسماعيليَّة ونحوهم من أهل الزندقة والاتِّحاد»[١].

التَّمْيِيز بين السُّنَّة والبدعة:

وذكر ابن تيمية في كلامه عن السُّنَّة والبدعة: أنَّه يُمَيِّز بين السُّنَّة والبدعة، وبيَّن أنَّ السُّنَّة هي: «ما قام الدليل الشرعي عليه بأنَّه طاعة لله ورسوله، سواء فعله رسولُ الله ﷺ أو فُعِلَ على زمانه، أو لم يَفْعَله ولم يُفْعَلْ على زمانه، لعدم المُقْتَضِي حينئذٍ لفعله، أو وجود المانع منه.

فإنَّه إذا ثبت أنَّه أمر به أو استحبَّه فهو سُنَّة. كما أمر بإجلاء اليهود والنصارى من جزيرة العرب[٢]، وكما جمع الصحابة القرآن في المصحف، وكما داوموا على قيام رمضان في المسجد جماعة، وقد قال ﷺ: «**لا تكتبوا عَنِّي غيرَ القرآن، ومن كتب عَنِّي غير القرآن فليَمْحُه**»[٣]. فشرع كتابة القرآن؛ وأمَّا كتابة الحديث فنهى عنها أولًا، وذلك منسوخ عند جمهور العلماء بإذنه لعبد الله بن عمرو أن يكتب عنه ما سمعه في الغضب والرضا[٤]، وبإذنه لأبي شاه أن يكتب له خُطْبته عامَ

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤١٤/٣٥، ٤١٥).

(٢) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٦٧)، وأحمد (٢٠١)، عن عمر بن الخطاب.

(٣) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٣٠٠٤)، عن أبي سعيد الخدري.

(٤) رواه أحمد (٧٠٢٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في العلم (٣٦٤٦)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٥٣٢).

QaradawiBooks.com

الفتح[١]، وبما كتبه لعمرو بن حزم من الكتاب الكبير الَّذي كتبه له لما استعمله على نَجْرَان[٢]، وبغير ذلك.

والمقصود هنا: أنَّ كتابة القرآن مشروعة، لكن لم يجمعه في مصحفٍ واحدٍ؛ لأنَّ نزولَه لم يكنْ تَمَّ، وكانت الآية قد تنسخ بعد نزولها، فلوجود الزيادة والنقص لم يمكن جمعه في مصحفٍ واحدٍ، حتَّى مات. وكذلك قيام رمضان. قد قال ﷺ: «**إنَّ الرجل إذا قام مع الإمام حتَّى ينصرف، حُسِبَ له بقيةُ ليلتِه**»[٣]. وقام في أوَّل الشهر بهم ليلتَيْن، وقام في آخر الشهر ليالي، وكان النَّاس يُصَلُّون على عهده في المسجد فُرَادى وجماعات، لكن لم يداومْ بهم على الجماعة، خشية أن تفرض عليهم، وقد أمن ذلك بموته.

وقد قال ﷺ في الحديث الَّذي رواه أهل السنن، وصحَّحه الترمذي وغيره: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين من بعدي، تَمَسَّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومُحْدَثَاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**»[٤]. فما سَنَّه الخلفاء الراشدون ليس بِدْعَةً شرعيَّة ينهى عنها، وإن كان يُسَمَّى في اللغة بِدْعَة؛ لكونه ابتُدِئ، كما قال عمر: نِعْمَتِ البدعةُ هذه، والَّتي ينامون عنها أفضلُ»[٥].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في اللقطة (٢٤٣٤)، ومسلم في الحج (١٣٥٥)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه النسائي في القسامة (٤٨٥٣، ٤٨٥٤، ٤٨٥٥).

(٣) رواه أحمد (٢١٤٤٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الصلاة (١٣٧٥)، والترمذي في الصوم (٨٠٦)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في السهو (١٣٦٤)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٢٧). عن أبي ذر الغفاري.

(٤) سبق تخريجه صـ١٠، وفيه: «أوصيكم بتقوى الله».

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢١/٣١٧ ـ ٣١٩).

QaradawiBooks.com

المحافظة على عموم: «كلُّ بدعةٍ ضلالة»:

وممَّا تمسَّك به ابنُ تيمية ومدرسته: الأخذ بعموم الأحاديث الَّتي جاءت عن الرسول الكريم وقالت: «**كلُّ بدعةٍ ضلالة**»، قال ابن تيمية: «وقد كتبتُ في غير هذا الموضع: أنَّ المحافظة على عمـــوم قول النبيِّ ﷺ: «**كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ**» مُتَعيِّنٌ، وأنَّه يجب العمل بعمومه، وأنَّ من أخذ يُصَنِّف (البدع) إلى حســنٍ وقبيحٍ، ويجعل ذلك ذريعةً إلى ألَّا يُحْتَجَّ بالبدعةِ على النهي؛ فقد أخطأ، كما يفعل طائفة من المُتَفَقِّهة والمُتَكَلِّمــة والمُتَصَوِّفة والمُتَعَبِّدة؛ إذا نُهُوا عن (العبادات المبتدعــة) و(الكلام في التديُّن المُبْتَــدَع) ادَّعوا أنْ لَا بِدْعَةَ مكروهــة إلَّا ما نُهِيَ عنه، فيعود الحديث إلــى أن يقال: (كُلُّ ما نُهِيَ عَنْهُ) أو (كُلُّ ما حُــرِّم) أو (كُلُّ ما خالف نصَّ النبــوَّة، فهو ضلالة). وهذا أوضح من أن يحتاج إلى بيانٍ، بل كلُّ ما لم يُشْرَع من الدِّين فهو ضلالة.

وما سُــمِّيَ (بدعة) وثبت حُسْنُه بأدلَّة الشــرع فأحد (الأمرين) فيه لازم: إمَّا أنْ يُقَال: ليــس ببدعة في الدِّين، وإن كان يُسَــمَّى بدعة من حيث اللغة. كما قال عمر: نِعْمَتِ البِدْعَــةُ هذه[1]. (أي: صلاةِ التراويح جماعةً في شهر رمضان).

وإمَّا أن يقال: هذا عامٌّ خُصَّت منه هذه الصورة لمُعَارِضٍ راجح، كما يبقى فيما عداها على مقتضى العموم، كسائر عمومات الكتاب والسُّنَّة، وهذا قد قرَّرته في «اقتضاء الصراط المســتقيم»[2]، وفي «قاعدة السُّــنَّة والبدعة» وغيره.

---

(١) سبق تخريجه صـ١٩.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٨٨/٢ وما بعدها)، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، نشر دار عالم الكتب، بيروت، ط ٧، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

وإنما المقصود هنا: أن ما ثبت قبحه من البدع وغير البدع من المنهي عنه في الكتاب والسُّنَّة، أو المخالف للكتاب والسُّنَّة، إذا صدر عن شخصٍ من الأشخاص، فقد يكون على وجهٍ يُعذَر فيه؛ إمَّا لاجتهاد أو تقليد يعذر فيه، وإمَّا لعدم قدرته، كما قد قررته في غير هذا الموضع، وقرَّرته أيضًا في أصل (التكفير والتفسيق المَبْنِيُّ على أصل الوعيد).

فإنَّ نصوص (الوعيد) الَّتي في الكتاب والسُّنَّة، ونصوص الأئمَّة بالتكفير والتفسيق ونحو ذلك، لا يستلزم ثبوت موجبها في حقِّ المُعَيَّن، إلَّا إذا وُجِدَت الشروط وانتفت الموانع، لا فرق في ذلك بين الأصول والفروع. هذا في عذاب الآخرة، فإنَّ المُسْتَحِقَّ للوعيد من عذاب الله ولعنته وغضبه في الدار الآخرة خالد في النار، أو غير خالد، وأسماء هذا الضرب من الكفر والفسق، يدخل في هذه (القاعدة) سواء كان بسبب بدعة اعتقاديَّة أو عباديَّة، أو بسبب فجورٍ في الدُّنيا، وهو الفسق بالأعمال.

فأما أحكام الدُّنْيا فكذلك أيضًا؛ فإنَّ جهاد الكُفَّار يجب أن يكون مسبوقًا بدعوتهم؛ إذ لا عذاب إلَّا على من بلغته الرسالة، وكذلك عقوبة الفُسَّاق لا تثبت إلَّا بعد قيام الحُجَّة»[1].

البدعة شرٌّ من المعصية:

قد أفاض ابن تيمية في مفهوم البدعة في كتبه المُتَعَدِّدة، كما في «مجموع الفتاوى»، في محاوراته لبعض رجال الطرق الصوفيَّة، قال: «وذكرت ذم (المبتدعة)، فقلت: روى مسلم في صحيحه، عن جعفر بن

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/٣٧٠ ـ ٣٧٢).

QaradawiBooks.com

مُحَمَّـدٍ الصادق، عن أبيه أبـي جعفرٍ الباقرِ، عن جابر بـن عبد الله، أنَّ رسـول الله ﷺ كان يقول في خطبته: «**إنَّ أصدقَ الكلامِ كلامُ الله، وخيرَ الهَدْيِ هديُ مُحَمَّد، وشـرَّ الأمورِ مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**»[(١)]. وفي السنن، عن العِرْبَاض بن ساريةَ قال: خَطَبَنا رسـولُ الله ﷺ خُطْبَةً ذَرَفَتْ منها العيون، ووَجَلَـتْ منها القلوب، فقال قائل: يا رسـولَ الله كأنَّ هذه موعظةُ مُوَدِّع، فماذا تَعْهَد إلينا؟ فقال: «**أوصيكم بالسَّـمْعِ والطاعة، فإنَّه من يَعِشْ منكم بعدي، فسـيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُـنَّتي وسُـنَّة الخلفاء الراشـدين المَهْدِيِّين من بعدي، تَمَسَّـكوا بهـا، وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأمور؛ فـإنَّ كلَّ مُحْدَثةٍ بِدْعَةٌ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ**»[(٢)]، وفي رواية: «**وكُلَّ ضلالةٍ في النَّار**»[(٣)].

فقال لي: البدعة مثل الزنى. وروى حديثًا في ذمِّ الزنى. فقلتُ: هذا حديثٌ موضوع على رسـول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، والزِّنى معصية، والبدعة شـرٌّ من المعصية، كما قال سـفيان الثوري: البدعة أحبُّ إلى إبليسَ من المعصية؛ فإنَّ المعصية يُتَاب منها، والبدعة قلَّما يُتَاب منها[(٤)]. وكان قد قال بعضهم: نحن نُتَـوِّبُ النَّاس. فقلت: مِمَّاذا تُتَوِّبونهم؟ قال: من قطع الطريق والسـرقة، ونحو ذلك. فقلت: حالهم قبل تتويبكم خيرٌ من حالهم بعد تتويبكم؛ فإنَّهم كانوا فُسَّاقًا يعتقدون تحريم ما هم عليه، ويرجون رحمة الله، ويتوبون إليه، أو ينوون التوبة، فجعلتموهم بتتويبكم ضالِّين مُشْـرِكِين خارجين عن شريعة الإسلام،

(١) سبق تخريجه صـ١٠.

(٢) سبق تخريجه صـ١٠، وفيه: «أوصيكم بتقوى الله».

(٣) سبق تخريجه صـ١٠، وفيه: «أوصيكم بتقوى الله».

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢٦/٧).

QaradawiBooks.com

يُحِبُّون ما يُبْغِضه الله، ويُبْغِضون ما يُحِبُّه الله، وبيَّنتُ أنَّ هذه البدع الَّتي هم وغيرهم عليها شرٌّ من المعاصي.

قلتُ مخاطبًا للأمير والحاضرين: أمَّا المعاصي، فمثل ما روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب، أنَّ رجلًا كان يدعى حِمَارًا، وكان يشرب الخمر، وكان يُضْحِكُ النبيَّ ﷺ، وكان كلَّما أُتِيَ به النبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم جلده الحدَّ، فلعنه رجلٌ مرَّة. وقال: لعنه الله، ما أكثرَ ما يؤتى به إلى النبيِّ ﷺ! فقال النبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم: «**لا تلعنْه؛ فإنَّه يحبُّ اللهَ ورسولَه**»[(١)].

قلتُ (أي ابن تيمية): فهذا رجل كثير الشرب للخمر، ومع هذا فلمَّا كان صحيح الاعتقاد، يحبُّ الله ورسوله، شهد له النبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم، بذلك ونهى عن لعنه.

وأمَّا المُبتدِع فمثل ما أخرجا في الصحيحين، عن عليِّ بن أبي طالب، وعن أبي سعيد الخدري وغيرهما ـ دخل حديث بعضِهم في بعض ـ أنَّ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يَقْسِم، فجاءه رجلٌ ناتئُ الجَبِين، كثُّ اللِّحية، محلوقُ الرأس، بين عينيه أثرُ السجود، وقال ما قال. فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «**يَخْرُج من ضِئْضِئ هذا قومٌ يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاتهم، وصيامَه مع صيامهم، وقراءتَه مع قراءتهم، يقرؤون القرآن لا يُجاوز حناجرهم، يَمْرُقون من الإسلام كما يَمْرُق السهم من الرَّمِيَّة؛ لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قتلَ عادٍ**»[(٢)].

(١) رواه البخاري في الحدود (٦٧٨٠)، عن عمر بن الخطاب. بلفظ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمتُ، إنَّه يحبُّ الله ورسوله».

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٤)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤) (١٤٣).

QaradawiBooks.com

وفي رواية: «**لـــو يعلم الَّذين يُقاتلونهم ماذا لهم على لســـان مُحَمَّد، لاتَّكَلُوا عن العمل**»، وفي رواية: «**شرُّ قتلى تحتَ أديم السماء، خيرُ قتلى مَنْ قتلوه**»[١].

قلتُ (أي ابن تيمية): فهؤلاء مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم، وما هم عليه من العبادة والزهادة، أمر النبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم بقتلهم، وقتلهـــم عليُّ بن أبي طالب ومن معه مـــن أصحاب النبيِّ ﷺ، وذلك لخروجهـــم عن سُـــنَّة النبيِّ وشـــريعته، وأظنُّ أنِّـــي ذكرتُ قول الشـــافعي: لأنْ يُبتَلى العبدُ بكلِّ ذنبٍ ما خلا الشِّـــرْك بالله، خيرٌ من أن يُبتلى بشيءٍ من هذه الأهواء.

فلما ظهر قُبْح البدع في الإسلام، وأنَّها أظلم من الزنى والسرقة وشرب الخمر، وأنَّهم مبتدعون بِدَعًا منكرة، فيكون حالهم أســـوأ من حال الزاني والسارق وشارب الخمر، أخذ شيخهم عبد الله يقول: يا مولانا، لا تتعرَّض لهذا الجناب العزيـــز. يعني أتباع أحمد بن الرفاعي. فقلـــتُ مُنْكِرًا بكلام غليظ: ويْحَكَ؛ أي شيء هو الجناب العزيز، وجناب من خالفه أولى بالعِزِّ يا ذو الزَّرْجَنَةِ؟[٢] تريـــدون أن تُبطلوا دينَ اللهِ ورســـولِه. فقال: يا مولانا، يَحْرِقُكَ الفقراءُ بقلوبهم. فقلتُ: مثلما أحرقني الرافضة لمَّا قصدتُ الصعود إليهم، وصار جميع النَّاس يُخَوِّفُوني منهم، ومن شَرِّهم، ويقول أصحابهم: إنَّ لهم سرًّا مع الله؟! فنصر الله وأعان عليهم. وكان الأمراء الحاضرون قد عرفوا بركة ما يسَّره الله في أمر غزو الرافضة بالجبل.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٢٠٨)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والترمذي في تفسير القرآن (٣٠٠٠)، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في المقدمة (١٧٦)، عن أبي أمامة.

(٢) أي: يا صاحب الخديعة. قال الزبيدي: والزَّرْجَنَةُ: التَّخارُجُ والخَبُّ والخَدِيعةُ. تاج العروس مادة (ز. ر. ج. ن).

QaradawiBooks.com

وقلتُ لهم: يا شبه الرافضة، يا بيت الكذب. فإنَّ فيهم من الغُلُوِّ والشِّرْكِ والمروق عن الشريعة ما شاركوا به الرافضة في بعض صفاتهم، وفيهم من الكذب ما قد يقاربون به الرافضة في ذلك، أو يساوونهم، أو يزيدون عليهم، فإنَّهم من أكذب الطوائف، حتَّى قيل فيهم: لا تقولوا أكذب من اليهود على الله، ولكن قولوا: أكذب من الأحمديَّة على شيخهم. وقلت لهم: أنا كافر بكم وبأحوالكم، ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود: ٥٥].

ولمَّا رددتُ عليهم الأحاديثَ المكذوبة، أخذوا يطلبون مِنِّي كُتُبًا صحيحة ليهتدوا بها، فبذلت لهم ذلك. وأُعِيدُ الكلام: أنَّه من خرج عن الكتاب والسُّنَّة، ضُرِبَتْ عنقُه. وأعاد الأمير هذا الكلام، واستقرَّ الكلام على ذلك.

والحمد لله الَّذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»[(١)].

معنى البدعة عند الإمام الشاطبي:

ولكن ما معنى الابتداع؟ وما معنى البدعة الَّتي اعتبرها النبيُّ ﷺ ضلالة في الدين؟

بعضهم اعتبر البدعة: كُلَّ ما لم يُعْهَد في زمن الرسول الكريم. أو كُلَّ ما أُحْدِثَ بعده، ولهذا قسَّمها إلى حسنةٍ وغير حسنة، أو إلى الأحكام الخمسة الشرعيَّة المعروفة.

وبعضهم أخذ بظاهر الحديث أنَّ كُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ[(٢)]. وهو ما ذهب إليه الإمام العلَّامة الَّذي عُنِيَ بتحقيق أمر البدعة، وصنَّف فيها كتابًا كبيرًا، وإن لم يُكْمله، أعني الشاطبي.

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٤٧١ ـ ٤٧٥).

(٢) سبق تخريجه صـ ١٠.

QaradawiBooks.com

والبدعة كما عرَّفها الإمام المُحَقِّق الفقيه الأصولي أبو إسحاق الشاطبي: «طريقة في الدِّين مُخْتَرَعة تُضاهي الشرعيَّة، يُقْصَد بالسلوك عليها المبالغةُ في التعبُّد لله سبحانه»[١].

هذا في نظري أصدقُ وأوثق التعاريف لمسألة «البِدْعة»، وهو تعريف دقيقٌ جامعٌ مانعٌ كما يقول المنطقيُّون.

البدعة مجالها الدِّين:

من خلال تحليلنا هذا التعريف، نجد أنَّ البدعة مجالها «الدين»، وليس مجالها الدُّنيا، فهي «طريقة في الدِّين مُخْتَرَعة»، والدليل على هذا قول النبيِّ ﷺ: «**من أحدث في أَمْرِنا ما ليس منه فهو ردٌّ**»[٢]. ومعنى «**في أمرنا**»، أي: في دِيننا، ومعنى «**ردٌّ**» أي: مردود على صاحبه، كما تُرَدُّ العملةُ الزائفة على صاحبها.

هذا الحديث ـ أيضًا ـ اعتبروه من أصول الإسلام، وهو من أحاديث الأربعين النوويَّة.

قالوا: إنَّ هناك حديثَيْن يُكْمل أحدهما الآخر، حديث لا بدَّ منه لأنَّه ميزان الباطن، وهو حديث: «**إنَّما الأعمال بالنيَّات**»[٣]. وحديث لا بدَّ منه لأنَّه ميزان الظاهر، وهو ما جاء به هذا الحديث: «**من أحدث في أَمْرِنا ما ليس منه فهو ردٌّ**».

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٣٧/١)، تصحيح محمد رشيد رضا، نشر المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

(٢) سبق تخريجه صـ٩.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر.

QaradawiBooks.com

فلا بدَّ لكي يُقْبَل العمل أن يكون فيه أمران:

١ ـ أن يُقْصَد به وجهُ الله تبارك وتعالى.

٢ ـ أن تكون صورتُه على ما يريد الشرع.

ولذلك لمَّا سُئِلَ الإمام الفُضَيْل بن عِيَاض الفقيه الزاهد ـ وقد كان الزهاد الأوائل فقهاء ـ عن قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]: ما أحسن العمل؟ قال: أخلصه وأصوبه. قيل: يا أبا علي، ما أخلصه وما أصوبه؟ قال: إنَّ العمل إذا كان خالصًا، ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتَّى يكون خالصًا صوابًا، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السُّنَّة[1].

أن يكون لله، هو ما يُعَبِّر عنه حديث النبيِّ: «**إنَّما الأعمال بالنيَّات**». وأن يكون على السُّنَّة، هو ما يُعَبِّر عنه قول النبيِّ ﷺ: «**مَن أحدثَ في أمْرِنا هذا ما ليس منه، فهو ردٌّ**».

الابتداع في الأصل لا يكون في أمور العادات:

فالابتداع ـ إذن ـ لا يكون إلَّا في الدِّين، ومن هنا يُخْطِئ من يظنُّ أنَّ الابتداع في أمور العادات.. الأشياء العادية لا يدخلها الابتداع، لا يمكن أن يقال: إنَّ هذا الأمر من أمور الحياة بدعة؛ لأنَّ السَّلف من الصحابة والتابعين لم يفعلوه. قد يكون أمرًا جديدًا، ولكن لا يُعْتَبَرُ بدعة شرعيَّة، وإلَّا لاعتبرنا كثيرًا ممَّا نحن عليه الآن بدعة: هذا الميكروفون، وهذا المُسَجِّل، وهذه الكهرباء، وهذه الطاولة، وهذه الكراسيُّ الَّتي نجلس عليها، لم يفعلها المسلمون الأوائل، ولم يفعلها الصحابة، فهل يعتبر هذا بدعة؟!

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/٩٥).

QaradawiBooks.com

ولذلك قد يخطئ بعض النَّاس في هذه القضيَّة، حتَّى إنَّه مع الأسف إذا رأى المنبر أكثر من ثلاث درجات يقول: هذه بدعة. لا، لا دخل للبدعة في هذه القضيَّة. لقد كان النبيُّ ﷺ يخطب في أوَّل الأمر على جِذْع نخلة، فلمَّا كَثُر النَّاس قيل له: أَلَا نجعل لك شيئًا تقفُ عليه حتَّى يراك الناس؟ فجيء بنجَّارٍ، قيل: إنَّه نجَّارٌ رُومي، وصنع له المِنْبر من ثلاث درجات[١]، ولو احتاج الأمر إلى أن يكون أعلى من ثلاث درجات لفعل، فهذه الأمور لا دخل لها في البِدْعة.

أفعال النبيِّ ﷺ:

ولذلك من المُهِمِّ جدًّا أن نعرف هنا ما السُّنَّة؟ وما البدعة؟

أيضًا يحصل الخطأ هنا بالنسبة لأفعال النبيِّ ﷺ، فبعض النَّاس يظنُّ أنَّ كُلَّ ما فعله النبيُّ عليه الصلاة والسلام سُنَّة، مع أنَّ العلماء قالوا: السُّنَّة ما ظهر فيه وجهُ القُرْبة. أي: ما فعله على وجه التقرُّب إلى الله تعالى[٢].

ومن أمثلة ذلك: أنَّه ﷺ، كان في بعض الأحيان يُصَلِّي ركعتي الفجر، ويضطجع على جَنْبِه الأيمن[٣]. ففهم بعضُ العلماء ـ ومنهم ابن حزم[٤] ـ أنَّه لا بدَّ من الاضطجاع على الجانب الأيمن، وقد قالت

(١) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: أرسل رسول الله ﷺ إلى امرأة من الأنصار: «انظري غلامك النجار، يعمل لي أعوادًا أكلم الناس عليها». فعمل هذه الثلاث درجات. رواه البخاري في الجمعة (٩١٧)، ومسلم في المساجد (٥٤٤)، عن سهل بن سعد الساعدي.

(٢) السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة صـ ١٢ ـ ٨١، فصل: التشريعي وغير التشريعي من السنة، نشر دار الشروق، ط ٤، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٢٦)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٣٦) عن عائشة.

(٤) المحلى (١٩٩/٢، ٢٠٠)، تحقيق أحمد محمد شاكر، نشر دار التراث، القاهرة.

QaradawiBooks.com

عائشة فيما رُوِيَ عنها: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يضطجع لسُنَّة، ولكنَّه كان يدأب ليلته فيستريح[١].

إذن المهمُّ أن يعرف من العمل ما قُصِدَ فيه السُّنِّيَّة، وما لم يُقْصَد.

وهنا يحصل خلطٌ كثير جدًّا، كما في مسائل الأكل مثلًا. بعض النَّاس يرى أنَّ الأكل بالمِلْعَقة، أو بالشَّوكة، أو الجلوس على مائدةٍ ـ طاولة وحولها كراسي ـ بدعة، وهذا غلوٌّ، فإنَّ هذه من العادات الَّتي تختلف باختلاف الأقوام والبيئات والأحوال.

النبيُّ ﷺ كان يأكل على عادة قومه، وبخاصَّةٍ ما وافق طبيعته ﷺ، طبيعة التيسير والتواضع والزهد، لكن لا يعتبر من أكل وهو على مِقْعَد، أو أكل بمِلْعَقة، أنَّ هذا بِدْعَة في الدِّين. على خلاف بعض الأشياء الأخرى.

في مرَّة من المرَّات ناقشني كاتب كبير[٢] ـ وهو ممَّن يكتبون في المَجَلَّات وأحيانًا كثيرةً يكتب في الإسلاميَّات ـ في مسألة الأكل باليمين، قال: هذه ليست سُنَّة؛ لأنَّها من الأشياء العادية. قلتُ: لا، هنا نقف، مسألة الأكل بالمِلْعَقة وبالشوكة، وعلى الأرض أو على الطاولة، هذه مسألة تتعلَّق بالفعل، وكُلُّ إنسانٍ يفعل ما يفعله قومُه، ما لم يظهر فيه وجه القُرْبة، أو وجه السُّنِّيَّة المقصودة، أمَّا مسألة الأكل باليمين، فهنا يبدو أنَّ هناك قصدًا للنبيِّ ﷺ؛ لأنَّه أمر بهذا أمرًا حينما قال للغلام: «**يا غلامُ، سَمِّ الله، وكُلْ بيمينِكَ، وكُلْ ممَّا يليكَ**»[٣].

(١) رواه عبد الرزاق في الصلاة (٤٧٢٢)، وقال الحافظ في فتح الباري (٤٣/٣، ٤٤): فيه راوٍ لم يسم. نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٢) هو العلَّامة علي عبد الواحد وافي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٧٦)، ومسلم في الأشربة (٢٠٢٢)، عن عمر بن أبي سلمة.

QaradawiBooks.com

وأكثر من هذا حينما قال: «**لا يأكلَنَّ أحدُكم بشماله، ولا يشربَنَّ بها؛ فإنَّ الشيطان يأكلُ بشماله ويشربُ بها**»[١]. ولذلك قال بعض العلماء: إنَّ ذلك يدلُّ على الحُرْمة؛ لأنَّه شبَّه فاعله بالشيطان، ولا يُشَبِّهُه بالشيطان في أمرٍ هو مجرَّدُ مكروهٍ.

وحينما رأى بعض النَّاس يأكل بشماله، وقال له: «**كُلْ بيمينِكَ**». قال: لا أستطيع. قال: «**لا استطعْتَ**». فدعا عليه، فلم يرفعْ يده اليُمنى بعدَ ذلك[٢]، فدلَّ على أنَّ الأمر مُشَدَّد فيه.

ولذلك يجب أن نقف في هذه الأمور عند حدود ما ورد، ونعرف الأمر الَّذي قُصِدَتْ سُنِّيَّتُه وقُصِدَ فيه القُرْبة إلى الله تعالى، وما جاء على طريق العادة، أو على طريق الجِبِلَّة (أي: الطبيعة).

أحيانًا كان النبيُّ ﷺ يفعل أشياءَ كما يفعل قومُه، يأكل كما يأكلون، ويشرب كما يشربون، ويلبس كما يلبسون.

وأحيانًا عن طريق الجِبِلَّة، مثل كونه ﷺ يُحِبُّ الدُّبَّاء[٣]. أي: القرع. هل مطلوب من كلِّ واحدٍ مِنَّا أن يُحِبَّ القرع؟ هذه مسائل تتعلَّق بأمزجة النَّاس وبطباعهم وأذواقهم ونشأتهم، واحدٌ يحبُّ القرع، وآخر يحبُّ السبانخ، إلخ.

كان ﷺ يحبُّ لحمَ الذِّرَاع[٤]. هل مطلوب من كلِّ واحدٍ أن يُحِبَّ

---

(١) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٢٠)، عن ابن عمر.

(٢) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٢١)، عن سلمة بن الأكوع.

(٣) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: أنَّ خياطًا دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه، قال أنس: فذهبت مع رسول الله ﷺ، فرأيته يتتبع الدباء من حوالي القصعة. رواه البخاري في الأطعمة (٥٣٧٩)، ومسلم في الأشربة (٢٠٤١).

(٤) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: عن أبي هريرة قال: أتي رسول الله ﷺ يومًا بلحم، فرفع إليه الذراع، =

QaradawiBooks.com

لحمَ الذِّرَاع؟ قد يوجد من يحبُّ لحمَ الرقبة أو الظهر، ومن يُحِبُّ لَحْمَ الفَخِذ، إلخ.

إذا اتَّفقت محبَّتُك مع مَحَبَّة النبيِّ ﷺ، فهذا خير وبركة. ولو أنَّ إنسانًا اتَّبع ما كان يفعله النبيُّ ﷺ على وجه العادة ولم يكن على وجه القُرْبة، لكمال حبِّه للنبيِّ ﷺ، وحرصه على اتِّباع كلِّ شيء أُثِرَ عنه، فهذا أيضًا يُحْمَدُ له، وإن لم يُطْلَبْ منه.

لو أنَّ إنسانًا قال: أنا أريد أن أتَّبع ما فعل الرسول الكريم، وإن كانت القُرْبة غير مقصودة منه، إلَّا أنِّي أحبُّ أن آكُلَ على الأرض، وأن آكل بيدي، كما كان يفعل النبيُّ ﷺ، نقول له: جزاك الله خيرًا. ولم ننكر عليه بحالٍ سلوكَه هذا، وربَّما أُجِرَ على نِيَّتِه.

وقد كان ابنُ عمر من شدَّة تَعَلُّقه بآثار رسول الله ﷺ، وكمال حُبِّه له، يتبعه فيما لا يعرف أنَّه أمرٌ قُصِدَ به القُرْبة، أو طُلِبَ فيه الاتِّباع. ولهذا عُرِفَ بشِدَّة تأسِّيه برسولِ الله في أقواله وأفعاله.

وكان مسافرًا مرَّة، فحاد عن الطريق، أي: مال إلى جانبٍ منه، فاستغرب من معه، فقال خادمه: إنَّه فعل ذلك؛ لأنَّه كان مع النبيِّ ﷺ، فلمَّا جاء إلى هذا المكان حاد عن الطريق[1].

= وكانت تعجبه فنهس منها نهسة. رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٠)، ومسلم في الإيمان (١٩٤).

(١) عن مجاهد قال: كنا مع ابن عمر في سفر، فمر بمكان فحاد عنه، فسئل: لم فعلت ذلك؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ فعل هذا ففعلت. رواه أحمد (٤٨٧٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في المجمع (٨١١): رواه أحمد والبزار، ورجاله موثقون. وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٦).

QaradawiBooks.com

وفي رحلةٍ من رِحْـلَات الحجِّ ـ أيضًـا ـ أناخ راحلتـه، فأناخ من معه رواحلهم، وقالوا: ماذا تريد؟! كل ما فعله أنَّه ذهب إلى مكانٍ وقضى حاجته. فلما سُئِلَ قال: إنَّ النبيَّ ﷺ لما حجَّ جاء إلى هذا المكان فقضى حاجته[1].

هل هذا مطلوب من المسلم؟ ليس مطلوبًا، إنَّما هو من كمال الحبِّ للنبيِّ ﷺ، كان يحبُّ أن يضع ناقته حيث وضعت ناقة النبي ﷺ أرجلها. يعني حيث وقفت.

هذا النوع لا نذمُّـه إذا لم يُطالـب صاحبُه النَّاسَ بـه، ولكنَّه ليس مطلوبًا، فيجب أن يعرف أن هـذا ليس ملزمًا به النَّـاس، ولا مفروضًا عليهم، ولا سُنِّيَّته مقصودة.

من فعل هذا فقد أحسن، ولكن الخطأ أن يريد أن يحمل عليه النَّاس، وأن يفعلوه، أو ينكر على من لم يفعله، أو يذمـه، أو يعتقد أن هذا من صلب الدين، أو جزء منه، أو من تركه ترك السُّنَّة.

ولذلك من المهم، أن نفرق في هذا المقام بين السُّنَّة الحقيقيَّة والبدعة.

الاختراع ينبغي أن يكون في شؤون الدنيا:

البِدْعَـة كما نقلنا عن الشـاطبي: «طريقـةٌ في الدِّيـن مُخْتَرَعة»، إذ الإسلام يريد من أتباعه، ومن أهله: أن يقفوا في أمر الدِّين عند ما ورد، وأن يُوَفِّروا طاقاتهم الإبداعيَّة للابتكار في شـؤون الدُّنيا، وهذا ما فعله السَّلف رضوان الله عليهم.

(١) رواه أحمد (٦١٥١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وقال الهيثمي في مجمع الزوائـد (٨١٢): رجاله رجـال الصحيح. وانظـر كتابنا: المدخل لدراسـة السُّـنَّة النبويَّة صـ ٢٤ ـ ٣٢، نشر مكتبة وهبة، ط ٥، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

السَّـلَف وقفوا عند حدود الوارد في أمر الدِّين، عند حدود المأثور، عند السُّنَن، وبذلوا طاقتهم وجهودهم في الابتكار لتحسين أمور الحياة.

تجد في سـيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشياءَ كثيرةً سـمَّوها «أوَّلِيَّات عمر»: هو أوَّل من دوَّن الدواوين، وأوَّل من مصَّـر الأمصار، وأوَّل من عسَّ على الرعيَّـة، وأوَّل من وضع تاريخًا للمسـلمين، وأوَّل من صنع كذا.. وكذا..

وهناك كتب اسـمها «الأوائل»، أي: أوائل الأشـياء الَّتي سنَّها السَّلف وغيرهـم، ولم يبدأها أحـدٌ قبلهـم. فالصحابة ابتكروا أشـياء لمصلحة المسلمين، وتابعوهم بإحسانٍ اقتدوا بهم، وهم الَّذين بهم يُقتدى فيُهْتدى، وهناك أشياء ابتكرها التابعون، وسار مَنْ بَعْدَهم على طريقتهم، وهكذا.

ولذا عُرِفَت البدعة بأنَّها: طريقة في الدِّين مُخْتَرَعة.

ومعنـى «مُخْتَرَعة»، أي: ليس لها أصلٌ في الشـرع، فـي القرآن أو السُّنَّة، أو في سُنَّة الرَّاشدين.

وأصل كلمة «بدعة» مأخوذة من «بدع» و«ابتدع»، يعني اخترع شيئًا، أو أنشـأه على غير مثالٍ سـابق. ولذلك قال القرآن في وصف الله جل جلاله: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [البقـرة: ١١٧]، أي: مخترعها من غير مثالٍ سابقٍ مُتَقَدِّم[1].

فالابتـداع هو اختراعٌ فـي أمر الدِّيـن، على غير مـا كان عليه أمر الرسول ﷺ، وصحابته، والخلفاء الراشـدين المَهْدِيِّين، الَّذين أُمِرْنَا أن نَتَّبِعَ سُنَّتَهم.

(١) الاعتصام للشاطبي (٣٦/١).

QaradawiBooks.com

مضاهاة الشرعيَّة:

والعنصر الثالث في تعريف البدعة، هو: مضاهاة الشرعيَّة. وقد بيَّنَّاه في مقام آخر: أي: أن تضاهي البدعة الطريقة الشرعيَّة، لمشابهتها لها بوجهٍ من الوجوه، فهي تلتبس بها، وتلبس لُبُوسها، وتُضَلِّل من لا يُمَيِّز بين الأصيل والزائف؛ لأنَّها تسعى أبدًا للترقِّي برُقِيِّ الدِّين، والظهور بمَظْهر الالتزام بمنهج الصالحين، أو بصورتهم، أو التحدُّث باسمهم، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١١].

المقصود بالبدعة المبالغة في التعبُّد:

وهذا عنصرٌ رابعٌ ومهمٌّ، ومُكَمِّل لاستيعاب حقيقة البدعة ومفهومها، كما يُصَوِّرها الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو: أنَّ الهدف الَّذي يقصد إليه المُبْتَدِعون هدفٌ دِينيٌّ دائمًا، إنَّه المبالغة في التعبُّد لله، والتقرُّب إليه. فآفتهم ليست في ضمائرهم الدِّينيَّة، بل في فهمهم للدِّين. على نحو ما وَصَفَت الأحاديثُ الصحيحة جماعةَ الخوارج، الَّتي وصفتهم بالصُّوَّام القُوَّام العُبَّاد التاليين للقُرْآن، حتَّى قال ﷺ: «**يَحْقِرُ أحدُكم قيامَه إلى قيامهم، وصيامَه إلى صيامهم، وقراءته إلى قراءتهم**»، ومع هذا وصفهم بأنَّهم «**يقرؤون القرآنَ لا يُجَاوز حناجرَهم، يمرقون من الإسلام كما يَمْرُقُ السهمُ من الرَّمِيَّة، يقتلون أهل الإسلام، ويدَعون أهل الأوثان**»[(١)].

فهم يستحلُّون دماء من سواهم من المسلمين، بسبب سوء فهمهم للقرآن الَّذي لا يُجاوز حناجرهم إلى رؤوسهم، حتَّى يُحْسِنُوا الفقهَ فيه، ويَرُدُّوا متشابِهَه إلى مُحْكَمِه.

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٤.

QaradawiBooks.com

كثيرٌ من العادات الاجتماعيَّة المُحْدَثة لا تدخل في البدعة:

وعلى هذا الأساس ـ أنَّ البدعة ما أُحْدِثَ في صُلْبِ الدِّين ـ نرى أنَّ كثيرًا ممَّا يَعُدُّه بعض العلماء في عصرنا «بِدَعًا»، ليس من البِدْعة في شيء، إنَّما هو من مقتضى تطورات الحياة والمجتمعات.

من ذلك: الاحتفال بالسَّنَة الهجريَّة الجديدة، والتهنئة بقدومها، فهذا أَمْرٌ ليس من صُلْب الدِّين، وإن كان الدِّين يُحَبِّذه ويُؤيِّده؛ لأنَّه يُعَضِّد «الهُوِيَّة الإسلاميَّة»، ويُقَوِّي «الانتماء الإسلامي». فإذا كان هناك أناسٌ من بني جِلْدَتنا يحتفلون بما يُسَمَّى «الكريسماس» وبالسَّنَة الميلاديَّة الإفرنجيَّة المسيحيَّة، ويُهَنِّئ بعضهم بعضًا بها، ويتناولون فيها الهدايا، هذا وهُم مسلمون! فأولى بنا أن نحتفل بالعام الهجري الجديد من كلِّ عام، الَّذي اتَّفق الصحابة من عهد عمر على اتِّخاذه تاريخًا للمسلمين، وأن يُهَنِّئ بعضُهم بعضًا به، وأن نحرص على التأريخ به لأمورنا كُلِّها، إن لم يكن مُسْتَقِلًّا ـ وهو الأولى ـ فعلى الأقلِّ مع غيره، كالتاريخ الميلادي.

تَحَرِّي المناسبات الإسلاميَّة:

ومثل ذلك: تَحَرِّي المناسبات الإسلاميَّة المختلفة، للحديث عنها، وتذكير المسلمين بها، وبيان العبر منها. مثل: الهجرة بمناسبة بداية العام الهجري، والحديث عن غزوة بدر في السابع عشر من رمضان، وكذلك الحديث عن فتح مكَّة، في العشر الأواخر منه، والحديث عن ذكرى حادث الإسراء والمعراج في أواخر رجب كما هو المشهور. المهم هو انتهاز هذه الفرص لربط المسلمين بدينهم ونبيِّهم عليه الصلاة والسلام.

وأرى أنَّه يدخل في ذلك: انتهاز فرصة شهر ربيع الأوَّل، الَّذي ولد فيه رسول الله ﷺ، في اليوم التاسع أو الثاني عشر منه، للحديث

QaradawiBooks.com

عن سيرة رسول الله ﷺ، وعن سيرته العاطرة، وحياته الحافلة، ورسالته الشاملة، فهذا لا ينبغي أن يعيبه أحد؛ لأنَّه ليس زيادة في الدين، ولا إضافة إلى تعبُّدات المسلمين، بل هو ابتكار وسائل جديدة، لربط النَّاس برسولهم الكريم، وبإسلامهم العظيم، واتِّخاذ الآليَّات الملائمة لذلك، ممَّا اخترعه النَّاس في عصرنا، قد يكون بعمل محاضرات، أو إلقاء خطب الجمعة، أو عقد ندوات، أو إلقاء قصائد شِعْرِيَّة، أو تقديم أعمال دراميَّة مدروسة هادفة، يشرف عليها علماء وإعلاميُّون ثقات مأمونون.

ورأيي أنَّ «الموالد التقليديَّة»، الَّتي جرت عادة المسلمين بقراءتها ـ مثل مولد البَرَزنجي والمُنَاوي وغيرهما ـ لا تصلح أن تكون من الأدوات الَّتي يستفاد منها في هذه المناسبة، فإنَّها مليئة بالأباطيل والخرافات والأحاديث الموضوعة والواهية، ولا تناسب العقل المعاصر، ويجب على علماء المسلمين الثقات في هذا العصر أن يستبعدوها في هذه المناسبة، فقد أغنانا الله بالحقِّ عن الباطل، وبالصحيح عن الضعيف، وبالصادق عن المكذوب.

ولو كان العلماء الَّذين ألَّفوا هذه الكتب موجودين اليوم، لاضطروا إلى أن يغيِّروها؛ لأنَّ العصر تغيَّر، ولأنَّ النَّاس تغيَّروا، والله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم: ٤].

لا بدَّ أن يكون الابتداع في صُلْب الدِّين:

من المهمِّ جدًّا في الابتداع الَّذي ننكره على أصحابه: أن يكون في الدِّين. أي في صُلْب الدِّين نفسه، حتَّى يكون ضلالة حقًّا؛ لأنَّ الدِّين قد أكمله الله لنا بنصِّ القرآن، فلسنا في حاجة إلى أن يزيد لنا أحدٌ فيه شيئًا.

QaradawiBooks.com

وهذا أمـــرٌ دقيق، قد لا يتأمَّلـــه بعض النَّاس بدقَّـــة كافية، ويجعلون ما ليس من الدِّين دينًا لصلته بالدِّين، وما هو من الدِّين.

انظر مثلًا: ما قرَّره بعض العلماء من رخصة إدخال «الحساب الفلكي القطعي» في قضيَّة إثبات دخول الشـــهور العربيَّـــة القمريَّة، مثل: دخول شـــهر رمضان ووجوب الصيام، ودخول شهر شوال، ووجوب الفطر من رمضان، ودخول العيد، وإثبات دخول ذي الحجَّة، وما يترتَّب عليه من الوقوف بعرفة، وما بعده من يوم الحجِّ الأكبر وعيد الأضحى.

فبعض النَّاس يرفض تمامًا دخول الحساب، بأيِّ وجْهٍ في هذا الأمر، ويراه بِدْعة في دِينِ الله، لم يفعلها الرسول ولا الصحابة، وقد قال ﷺ: «**إنَّا أُمَّة أُمِّيَّة، لا نكتُب ولا نَحْسُب، الشـــهر هكذا وهكذا**»[1]. يعني مرَّة تسعة وعشرين، ومرَّة ثلاثين.

والَّذي أراه: أنَّ التحقيق ينتهي بنا إلى أنَّ الحساب هنا لا يدخل في أَمْر الدِّين نفســـه، وإنَّما في وســـائل إثبات الشـــهر، الَّذي يتضمَّن الأمر الدِّيني، الَّذي هو الصيام أو الحجُّ.

وهذه الوسائل قد حدَّدها الشـــارع في عهد النُّبُوَّة «بالرؤية البصريَّة» للهلال: «**صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته**»[2]. وهذه كانت الوسيلة الممكنة والميسورة لجمهور النَّاس في ذلك العصر، ولو كُلِّفوا غير ذلك لأَعْنَتَهم.

ولكن إذا وجدت وسيلةٌ غير هذه الوسيلة أدقُّ وأضبطُ منها، وهي النظر في الحساب، فهل يرفض الشرع أن ندَع هذه الوسيلة الأضعف إلى الوسيلة

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩١٣)، ومسلم (١٠٨٠)، كلاهما في الصيام، عن ابن عمر.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٠٩)، ومسلم (١٠٨١)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الأقوى؟ ولا سيَّما أنَّ الحديث قال: «**إنَّا أُمَّة أُمِّيَّة، لا نكتب ولا نحسُب**». فإذا تغيَّرت طبيعة الأُمَّة وأصبحت تكتب وتحسُب، ألا يتغيَّر الحكم؟

فلا يقال: إنَّ هذا أمر تركه رسولُ الله، فيجب أنْ نتركه؛ لأنَّ فِعْلَه سُنَّة وتَرْكَه سُنَّة؛ لأنَّ هذا فيما تركه مع وجود مُبَرِّرات فعله، أمَّا ما تركه؛ لأنَّه لم يكن موجودًا، فليس هذا ممَّا نحن فيه.

ومثل ذلك: ما يقال عن كتابة سيِّدنا أبي بكر رضي الله عنه «المصحف»، وقبل ذلك كان في صحف مُتَفَرِّقة، وقد توقَّف فيه أبو بكر في أوَّل الأمر، وقال: كيف أفعل أمرًا لم يفعله رسولُ الله ﷺ؟ وما زال به عمر رضي الله عنه حتَّى أقنعه، وكذلك فعل زيد بن ثابت، توقَّف في أوَّل الأمر، وما زال به أبو بكر حتَّى أقنعه بأنَّه خير[1].

إنَّ المتأمِّل في هذا الأمر يتبيَّن له أنَّه لا يتضمَّن أيَّ زيادةٍ أو تغيير في أمر الدِّين، بل هو أمرٌ يتعلَّق بالوسائل والآليَّات المحيطة والملامسة للموضوع. مثل البحث في مادَّة الورق الَّذي يكتب به، والأقلام الَّتي تُسْتَعْمَل في ذلك، ونوع الحبر الَّذي يُسْتَخْدَم، ونحو ذلك من الآليَّات المُعِينة.

ومثل ذلك: الفواصل بين الآيات بعضها وبعض، وبين السور بعضها وبعض.

ونحو ذلك: ما أضيف بعدُ من الشَّكْل والنَّقْط، ولم يتمَّ ذلك إلَّا بعد عصر الرسول والصحابة، ولم يكن ذلك زيادة في الدِّين، وإنَّما هي زيادة في الوسائل الَّتي تُعِين على حسن حفظ القرآن، وعلى حُسْن فهمه وتيسيره للناس.

---

(١) رواه البخاري في الأحكام (٧١٩١)، عن زيد بن ثابت.

QaradawiBooks.com

ترجيحي التضييق فيما كان زيادة في صُلْب الدِّين:

وفي رأيي: أنَّ التضييق مطلوبٌ وراجحٌ إذا كان الابتداع ـ وبعبارة أخرى: الزيادة على الدِّين ـ في صُلْب الدِّين نفسه، لما يتضمَّنه من شبهة الاستدراك على الله ﷻ، واستكمال الكامل!

ولهذا أُرَجِّح ما ذهب إليه بعض العلماء من اعتبار بعض الأعمال المُخْتَلَف فيها بِدَعًا، إذا كانت زيادةً في صُلْبِ الدِّين نَفْسه.

تلقين الميت بعد الدفن:

مثل: تلقين الميِّت بعد دفنه في قبره، بالصيغة المعروفة، الَّتي توارثها أهل الشام، وأقرَّها أكثر علمائهم.

ولكن هذا التلقين لم يثبت بحديثٍ صحيح، ولا سُنَّة فعليَّة ولا تقريريَّة، ولو أراد الله تعالى أن يشرعه للنَّاس، لأوصله إلينا بطريقٍ صحيحٍ عن رسوله، تقوم به علينا الحُجَّة، وما لم يحدث ذلك، فلا نعمل ذلك باستحسان عقولنا؛ لأنَّ هذه عبادةٌ وقُرْبة إلى الله جلَّ شأنُه، والأصل في العبادات التوقيف، حتَّى لا نشرع في الدِّين ما لم يأذن به الله، حتَّى يأتي النصُّ بالإذن، كما أنَّ الأصل في العادات الإذن حتَّى يأتي النصُّ بالمنع، أمَّا الَّذي ينفع المَيِّت بالإجماع، فهو الدعاء والاستغفار له، وكذلك الصدقة عنه.

دعاء ختم القرآن في الصلاة:

ومن ذلك: ختم القرآن في أثناء الصلاة، والدعاء بدعاءِ ختم القرآن، لنفس العِلَّة المذكورة في تلقين الميِّت في قبره؛ لأنَّ هذه عبادة، والأصل فيها التوقيف، ولا يثبت ذلك إلَّا بنصٍّ صحيحٍ صريح.

QaradawiBooks.com

ومع أنِّي أرجِّح القول ببدعيَّة هذين الأمرين، لا أرى أن نُشَـدِّد غاية التشـديد على مَنْ فعلهما؛ نظرًا لأنَّ هناك من علماء الأُمَّة من يُجِيزها، لأدلَّة واعتباراتٍ عندهم، وإن كنـتُ لا أُقِرُّهم عليها، ولكن ممَّا لا ريبَ فيه: أنَّ حُكم الأمر المُخْتَلَف فيه ليس كحُكْم المُتَّفق عليه، وهذا ما جعل علماءنا يُقَرِّرُون هذه القاعدة الجليلة: **لا إنكار في المسائل الخلافيَّة.**

ترجيحي التضييق فيما كان شديد الضرر على المسلمين:

وكذلك أُرَجِّح التضييق والتشـديد في أمر الابتداع، فيما كان ضرره شديدًا على مجتمعاتنا المسلمة إذا تسـاهلنا فيه وأفتينا بتجويزه، فنحن على منهج التيسـير في الفتوى ما لم يُعارضه معارض، كأنْ يكون سببًا في فسادٍ كبيرٍ بين الناس: فِكْرِيٍّ، أو خُلُقِيٍّ، أو اجتماعيٍّ.

من بدع العصر: عيادات العلاج بالقرآن:

ومـن المُبْتَدَعَـات الَّتي روَّجها مـن روَّجها في عصرنـا، حتَّى من السلفيِّين أعداء الابتداع: فتح عيادات علنيَّة للعلاج بالقرآن.

ومن المؤكَّد الَّذي لا خلاف عليه: أنَّ الرسول ﷺ لم يفتح عيادةً أو يُنْشئ مستشفى يُعَالِج فيه النَّاس بالقرآن، بل كان يُعَلِّم المسلمين مراعاة سنن الله عزَّ وجل في الأسباب والمُسَـبَّبات، ويقول: «**ما أنزل الله داءً إلَّا أنزل له شـفاءً، علمه من علمه، وجهله من جهلـه**»[(١)]، ويقول: «**لكلِّ داءٍ دواء، فإذا أُصيبَ دواءُ الداءِ، بَرَأ بإذن الله**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٣٥٧٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والحاكم في الطب (٣٩٩/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحايا (٣٤٣/٩)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٥١)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه مسلم في السلام (٢٢٠٤)، وأحمد (١٤٥٩٧)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

وجاءه رجلٌ يشكو إليه أنَّه مفؤود ـ أي: مصاب في فؤاده، أي: كَبِدِه وقلبه ـ فأمره أن يذهب إلى الحارث بن كِلْدَة الثَّقَفي، فإنَّه يتطبَّب[١]. ولم يقلْ له: تعالَ أعالجْكَ بالقرآن!

وجاءه اثنان من بني أَنْمَار، كلاهما يقول: إنَّه طبيب. فقال لهما: أيُّكما أطبُّ؟ فقال رجل: يا رسولَ الله، أوَفي الطبِّ خير؟ فقال: «**إنَّ الَّذي أنزل الداء أنزل الدواء**»[٢].

وكان مع هذا يَرْقِي المرضى ـ والرُّقية دعاء ورجاء إلى الله تعالى بالشفاء ـ : «**اللهمَّ ربَّ النَّاسِ، أذهبِ الباسَ، اشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلَّا شفاؤكَ، شفاءً لا يُغَادِرُ سقمًا**»[٣].

فهو يستخدم الأدوية الرُّوحيَّة بجوار الأدوية المادِّيَّة الَّتي لا غنى عنها.

ويقول: «**من تطبَّب ولم يُعْلَمْ منه طِبٌّ، فهو ضامنٌ**»[٤]. فهو يضع شروطًا وضمانات لمن يمارس مهنة الطبِّ، بحيث يمارس الطبَّ من يُعْلَمُ منه الطبُّ، ففي عصرنا مثلًا يكون ممَّن حصلوا على شهادة، وأُذِنَ له بالعمل في مجالٍ مُعَيَّن من الطبِّ.

(١) رواه أبو داود في الطب (٣٨٧٥)، وضعَّفه الألباني في ضعيف أبي داود (٨٣٤)، وقال الأرناؤوط في تخريجه لسنن أبي داود: رجاله ثقات لكنَّه مرسل. عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) رواه مالك (٣٤٧٤) تحقيق الأعظمي، وقال الحافظ في فتح الباري (١٣٤/١٠): مرسل. عن زيد بن أسلم.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٤٣)، ومسلم في السلام (٢١٩١)، عن عائشة.

(٤) رواه أبو داود في الديات (٤٥٨٦)، والنسائي في القسامة (٤٨٣٠)، وابن ماجه في الطب (٣٤٦٦)، والحاكم في الطب (٢١٢/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٦٣٥)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

خطر الزيادة في الدِّين:

إنَّ الخطر على الدِّين يجيء من عدَّة أمور:

ـ أن يُزاد على الدِّين ما ليس منه، وخصوصًا في باب الاعتقادات، أو باب العبادات.

ـ أو يُنْتَقص من الدِّين ما هو من قواعده وأسسه وأحكامه الأصليَّة.

ـ أو تُشَوَّه حقيقة الدين، فيُصَغَّر منه الكبير، ويُكَبَّر منه الصغير، ويؤخَّر ما حقُّه التقديم، ويُقَدَّم ما حقُّه التأخير، فيضطرب الدِّين اضطرابًا، وتنقلب حقائقه.

وأخطر ما أراه هنا: أن يزاد على الدين ما ليس منه، بعد أن أكمله الله للأُمَّة، وأتمَّ به عليهم نعمته: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. ولا ريب أنَّ الشيء الكامل لا يقبل الزيادة، وإلَّا لم يكنْ كاملًا، وقبوله للزيادة دليلٌ على النقص فيه، والزيادة فيه بما لا يقبله تشويه له، ومسخ لكماله وجماله. ولو كان للإنسان ثوبٌ سابغٌ تامٌّ، فجاء من يزيد فيه كانت زيادته مسخًا له، أو طعنًا في صناعة من صنعه.

والزيادة في الدِّين يعقبها دائمًا إدخال العَنَت والحَرَج والعُسْر على النَّاس، مع أنَّ الله لم يُرِدْ بهم عُسرًا، ولا جعل عليهم في الدِّين من حرج، ولا شرع لهم ما يُعْنِتُهم، ولا كَلَّفهم ما ليس في وُسْعهم، سواء أكانت الزيادة في عقائد الدين أم كانت في عباداته، فكلتا الزيادتين خطر عليه، وهذا ما نطق به القرآن الكريم، وأحاديث الرسول العظيم.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]،

QaradawiBooks.com

وقال: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ﴾ [المائدة: ٦]، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء: ٢٨].

وفي الحديث: «**يَسِّروا ولا تُعسِّروا**»(١)، «**إنَّما بُعِثتُم مُيَسِّرين، ولم تُبْعَثوا مُعَسِّرين**»(٢)، «**بُعِثْتُ بحنيفيَّة سَمْحة**»(٣).

والزيادة في الدِّين يتبعها بحُكْم السنن المُطَّرِدة، النقص في جانب آخر، على نحو ما قال الحكيم: ما رأيتُ إسرافًا إلَّا وبجانبه حقٌّ مُضَيَّع.

وكذلك ورد في الأثر: ما أحدث النَّاس بدعةً إلَّا ضيَّعوا مثلها من السُّنَّة(٤).

والزيادة في دين الله ـ كما قلنا ـ قد تكون في العقائد كما تكون في العبادات، وإذا دخل فيها التعصُّب الأعمى، والغلوُّ المقيت، ازداد النَّاس حرجًا وعنتًا في دين الله، وضاقت عليهم أنفسهم.

كأن يُفْرَض على النَّاس اعتقاد ما لم يطلبه الله ورسوله من العقائد، وقد طلب الله في كتابه من المُكَلَّفين أن يؤمنوا بعقائد خمسة، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال في ضدِّها: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النساء: ١٣٦]، وزادت السنة على هذه الخمسة مبدأً سادسًا،

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد (١٧٣٤)، عن أنس.

(٢) رواه البخاري في الوضوء (٢٢٠)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (٢٤٨٥٥)، وقال مخرِّجوه: حديث قويٌّ. وحسَّن إسناده الحافظ في التغليق (٤٣/٢)، عن عائشة.

(٤) رواه أحمد (١٦٩٧٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وجوَّد إسناده الحافظ في الفتح (٢٥٣/١٣)، عن غضيف بن الحارث.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهو القدر، وهو جزء مـــن الإيمان بالله تعالى. فلا يجـــوز أن يزاد على النَّاس اعتقادٌ جديدٌ لم يأتِ به كتابٌ ولا سُنَّة.

مثل: ما طلع بـــه المعتزلة على النَّـــاس، وفرضوا عليهـــم اعتقاده، والسوط في يد، والسيفُ في أخرى، وهو: «أنَّ القرآن مخلوق».

وفي ســـبيل هذه العقيدة المُسْتَحْدَثة، فُتِحَت الســـجون لرجالٍ بررةٍ أتقياء، وصُبَّ العذاب على الأئمَّة من العلمـــاء الربَّانيِّين، وفي مُقَدِّمتهم إمام الأئمَّة ومحيي السُّنَّة ورجل الأُمَّة: أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولو أنصف القوم لتركوا كلَّ هذه الضجَّة المفتَعَلة، وعادوا إلى بساطة العقيدة، كما جاء بها القرآن والسُّنَّة، فاستراحوا وأراحوا، والتقت كلمتُهم بعد اختلافٍ، وتفرَّغوا لنشر دينهم، وجهاد عَدُوِّهم.

ما وقع للواثق في عقيدة خلق القرآن:

ومن أبلغ وأجمل ما قرأتُ في هذه القضيَّة، بل هذه الفتنة العجيبة: ما أورده الشـــاطبي في «الاعتصام»، وهو ما حكاه المســـعودي، وذكره الآجُرِّي في «كتاب الشريعة»[1] بأبسطَ ممَّا ذكره المَسْعُودي. واللفظ هنا للمسعودي مع إصلاح بعض الألفاظ، قال: ذكر صالح بن عليٍّ الهاشمي قال: حضرتُ يومًا من الأيام جلوسَ المهتدي للمَظالم، فرأيتُ من سهولة الوصول، ونفوذ الكُتُب عنه إلى النواحي فيما يُتَظَلَّم به إليه ما استحسنتُه، فأقبلتُ أرمُقُه ببصري إذا نظر في القصص، فإذا رفع طَرْفه إلي أطرقتُ، فكأنَّه علم ما في نفسي.

(١) رواه الآجري في الشريعة (١٩٣)، تحقيق عبد الله الدميجي، نشر دار الوطن، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

فقال لي: يا صالحُ، أحسب أنَّ في نفسك شيئًا تحبُّ أن تذكره. قال: فقلت: نعم، يا أمير المؤمنين. فأمسك، فلما فرغ من جلوسه أمر ألَّا أبرح، ونهض، فجلست جلوسًا طويلًا، فقمتُ إليه، وهو على حصير الصلاة، فقال لي: يا صالح، أتُحَدِّثني بما في نفسك أم أُحَدِّثُك؟ فقلت: بل هو أمير المؤمنين أحسن.

فقال: كأنَّني بكَ وقد استحسنتَ من مجلسنا. فقلتَ: أيُّ خليفةٍ خليفتنا إن لم يكن يقول بقول أبيه من القول بخلق القرآن؟!

فقال: قد كنتُ على ذلك بُرهة من الدَّهر، حتَّى أقدم على الواثق شيخٌ من أهل الفقه والحديث، من (أَذَنَة) من الثَّغْر الشامي، مقيَّدًا طُوَالًا، حسن الشَّيْبة، فسلَّم غير هائب، ودعا فأوجز، فرأيتُ الحياء منه في حماليق عيني الواثق والرحمة عليه.

فقال: يا شيخُ، أجب أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد عمَّا يسألُك عنه. فقال: يا أمير المؤمنين، أحمد يصغُر ويضعُف ويقِلُّ عند المناظرة. فرأيتُ الواثق وقد صار مكان الرحمة غضبًا عليه. فقال: أبو عبد الله يصغر ويضعف ويَقِلُّ عند مناظرتك؟! فقال: هَوِّنْ عليك يا أمير المؤمنين، أتأذن لي في كلامه؟ فقال له الواثق: قد أذنتُ لك.

فأقبل الشيخ على أحمد فقال: يا أحمدُ إلام دعوتَ النَّاس؟ فقال أحمد: إلى القول بخلق القرآن. فقال له الشيخ: مقالتك هذه الَّتي دعوتَ النَّاس إليها من القول بخلق القرآن أداخلة في الدِّين فلا يكون الدِّين تامًّا إلَّا بالقول بها؟ قال: نعم. قال الشيخ: فرسولُ الله ﷺ دعا النَّاس إليها أم تركهم؟ قال: لا. قال له: يعلمها أم لم يعلمها؟ قال: علمها. قال: فلم دعوت النَّاس إلى ما لم يدعُهم

QaradawiBooks.com

رسولُ الله ﷺ إليه وتركهم منه؟ فأَمْسَكَ. فقال الشَّيْخ: يا أمير المؤمنين، هذه واحدة.

ثم قال له: أخبرني يا أحمد، قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. فقلت أنت: الدِّين لا يكون تامًّا إلَّا بمقالتك بخلق القرآن. فالله تعالى ﷻ صدق في تمامه وكماله أم أنت في نقصانِكَ؟ فأمسك! فقال الشيخ: يا أميرَ المؤمنين، وهذه ثانية.

ثم قال بعد ساعة: أخبرني يا أحمد، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]. فمقالتك هذه الَّتي دعوتَ النَّاس إليها فيما بلَّغه رسولُ الله ﷺ إلى الأُمَّةَ أم لا؟ فأمسك! فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، وهذه ثالثة.

ثم قال بعد ساعة: أخبرني يا أحمد، لمَّا علم رسول الله ﷺ مقالتك هذه الَّتي دعوت النَّاس إليها اتَّسع له عن أن أَمْسَكَ عنهم أم لا؟ قال أحمد: بل اتَّسع له ذلك. فقال الشيخ: وكذلك لأبي بكر؟ وكذلك لعمر؟ وكذلك لعثمان؟ وكذلك لعليٍّ رحمة الله عليهم؟ قال: نعم. فصرف وجهه إلى الواثق وقال: يا أميرَ المؤمنين، إذا لم يتَّسع لنا ما اتَّسع لرسول الله ﷺ ولأصحابه، فلا وسَّع اللهُ علينا.

ثم قال الواثق: اقطعوا قيوده. فلما فُكَّتْ جاذَبَ عليها. فقال الواثق: دعوه. ثمَّ قال: يا شيخُ لم جَاذَبْتَ عليها؟ قال: لأنِّي عَقَدْتُ في نِيَّتي أن أجاذِبَ عليها، فإذا أخذتُها أوصيتُ أن تُجْعَلَ بين يديَّ وكَفَّيَّ. ثمَّ أقول: يا ربِّي، سل عبدك: لم قيَّدني ظلمًا، وارتاع بي أهلي؟ فبكى الواثق والشيخُ وكُلُّ من حضر.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ثم قال له الواثق: يا شيخُ، اجعلْني في حلٍّ. فقال: يا أميرَ المؤمنين، ما خرجتُ من منزلي حتَّى جعلتك في حلٍّ، إعظامًا لرسول الله ﷺ، ولقرابتِكَ منه. فتهلَّل وجهُ الواثق وسُرَّ، ثمَّ قال له: أقِمْ عندي آنَسُ بك. فقال له: مكاني في ذلك الثَّغْرِ أنفع، وأنا شيخٌ كبير، ولي حاجة. قال: سلْ ما بدا لك. قال: يأذن أمير المؤمنين في رجوعي إلى الموضع الَّذي أخرجني منه هذا الظالم. قال: قد أذنتُ لك. وأمر له بجائزةٍ، فلم يقبَلْها.

فرجعتُ من ذلك الوقتِ عن تلك المقالة، وأحسب أيضًا أنَّ الواثق رجع عنها.

قال الشاطبي: فتأمَّلوا هذه الحكاية، ففيها عبرة لأولي الألباب. وانظروا كيف مأخذ الخصوم في إفحامهم لخصومهم بالردِّ عليهم بكتاب الله وسُنَّة نبيِّه ﷺ.

ومدار الغلط في هذا الفصل إنَّما هو على حرف واحد. وهو الجهل بمقاصد الشرع، وعدم ضمِّ أطرافه بعضها لبعض. فإنَّ مأخذ الأدلَّة عند الأئمَّة الراسخين إنَّما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة، بحسَب ما ثبت من كُلِّيَّاتها وجُزْئِيَّاتها المُرَتَّبة عليها، وعامِّها المُرَتَّب على خاصِّها، ومُطْلَقِها المحمول على مُقَيَّدِها، ومُجْمَلِها المُفَسَّر ببَيِّنها، إلى ما سوى ذلك من مناحيها، فإذا حصل للناظر من جملتها حُكْم من الأحكام، فلذلك الَّذي نُظِمَتْ به حين استُنْبِطَت.

وما مثلها إلَّا مثل الإنسان الصحيح السَّوِيِّ، فكما أنَّ الإنسان لا يكون إنسانًا حتَّى يُسْتَنْطَق فلا يَنْطِق باليد وحدها، ولا بالرجل وحدها، ولا بالرأس وحده، ولا باللسان وحده، بل بجملته الَّتي سُمِّيَ بها إنسانًا. كذلك الشريعة لا يطلب منها الحكم على حقيقة الاستنباط إلَّا بجملتها،

QaradawiBooks.com

لا من دليلٍ منها أيًّا كان نُطْــق ذلك الدليل، فإنَّما هو تَوَهُّمي لا حقيقي، كاليد إذا استنطقت فإنَّما تنطق توهُّمًا لا حقيقة، من حيث علمت أنَّها يد إنسان لا من حيث هي إنسان لأنَّه مُحَالٌ.

فشأن الراسخين تصوُّر الشــريعة صورةً واحدةً يخدم بعضها بعضًا، كأعضاء الإنسان إذا صُوِّرت صورةً متَّحدة.

وشأن متَّبعي المتشابهات أخذ دليل ما أيًّا كان عفوًا وأخذًا أوَّليًّا، وإن كان ثَمَّ ما يُعَارضه من كُلِّي أو جُزْئِي. فــكأنَّ العضو الواحد لا يعطي في مفهوم أحكام الشريعة حكمًا حقيقيًّا، فمُتَّبعه مُتَّبع مُتَشَابه، ولا يتَّبِعُه إلَّا من في قلبه زَيْغ، كما شهد الله به: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢][1].

* * *

(١) الاعتصام للشاطبي (٢٤٢/١ ـ ٢٤٥).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفصل الثاني

الأدلة الشرعيَّة على حظر الابتداع في الدِّين

الابتداع في الدِّين محظور، والأدلَّة الشرعيَّة على حظر الابتداع في الدِّين، والتشديد فيه كثيرة، من كتاب الله، ومن سُنَّة رسول الله، ومن أقوال الصحابة، ومن مقاصد الشريعة.

أوَّلًا: من القرآن الكريم:

أمَّا الأدلَّة من القرآن الكريم، فمنها قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، والكامل لا يقبل الزيادة، كما لا يقبل النقص، فالَّذي يريد أن يبتدع في الدِّين شيئًا ليس فيه، أو يُضيف إليه ما ليس فيه، كأنَّما يتَّهمه بالنقص، وأنَّه يُكْمله بإضافته وابتداعه.

وقد ذمَّ اللهُ المشركين بقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وأنكر القرآن أبلغ الإنكار على المشركين، الَّذين ابتدعوا تحريم الحلال، كما ابتدعوا تحليل الحرام، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

QaradawiBooks.com

وفي سورة الأنعام ناقش المشركين مناقشة طويلةً فيما حرَّموه على أنفسهم من الحرث والأنعام، وما أباحت لهم الشياطين من قتل الأولاد ليُرْدُوهم وليَلْبِسوا عليهم دينهم، كما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۞ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۞ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۞ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۞ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٦ ـ ١٤٠]، وهذا التشديد من الله تعالى في الإنكار عليهم فيما ابتدعوه من تحريم ما أحلَّ الله لهم من رِزْقٍ من الحَرْثِ والأَنْعَام، ومن إحلال ما حرم الله عليهم من قتل الأولاد، ممَّا أوحت إليهم به شياطينهم ليُرْدُوهم ويُهْلِكوهم، وليَلْبِسوا عليهم دِينَهم، حتَّى قال ابن عبَّاس: من أراد أن يعرف ضلال العرب في الجاهليَّة فليقرأْ هذه الآية: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠][1].

(١) رواه البخاري في المناقب (٣٥٢٤)، بلفظ: «إذا سرَّك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام، ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠]».

QaradawiBooks.com

ثانيًا: من السُّنَّة:

وأمَّا الأدلَّة من السُّنَّة النبويَّة، فقوله ﷺ في الحديث المُتَّفق عليه عن عائشة رضي الله عنها: «**مَن أحدثَ في أمْرِنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**»[1]. ومعنى «**أحدث**»: أي أنشأ وابتدع على غير مثال سبق. وقوله: «**في أمْرِنا**»، أي ديننا، كما ورد في رواية، فمعنى «**أمرنا**»: أي أمر ديننا، ومعنى: «**فهو ردٌّ**»، أي: مردود عليه، غير مقبول عند الله تعالى؛ لأنَّه شرع ما لم يأذن به الله. و«**ردٌّ**»، مصدر بمعنى اسم مفعول، مثل «خَلْق» بمعنى المخلوق، و«لفظ» بمعنى الملفوظ، و«**ما**»، في قوله: «**ما ليس منه**» للعموم، فهي تشمل كلَّ ما أُدْخِلَ على الدِّين وليس منه.

وفي رواية عن عائشة أيضًا لمسلم: «**من عمل عملًا ليس عليه أَمْرُنا فهو ردٌّ**».

وهي تنزع المشروعيَّة من كلِّ عملٍ (دِينِيٍّ) يُؤَدِّيه إنسان، رجلًا كان أو امرأة، حاكمًا كان أو محكومًا، ولكن ليس على المنهج الشرعي، المفهوم من قوله عليه الصلاة والسلام: «**ليس عليه أمرُنا**»، أي ليس على سُنَّة الإسلام، ومنهج المسلمين.

وروى مسلم من حديث جابر قال: كان النبيُّ ﷺ، إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوتُه، واشتدَّ غضبُه، حتَّى كأنَّه مُنْذِر جيش، يقول: «**بُعِثْتُ أنا والساعةُ كهاتَيْن**» ويقرن بين أصبعيه: السبَّابة والوسطى. ويقول: «**أمَّا بعدُ، فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخير الهَدْي هَدْي مُحَمَّد، وشرَّ الأمور مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ بدعةٍ ضلالة**»[2].

---

(١) سبق تخريجه صـ٩.

(٢) رواه مسلم في الجمعة (٨٦٧)، وأحمد (١٤٣٣٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وروى أحمد وأصحاب السـنن من حديث العِرْبَاض بن ساريةَ قال: وَعَظَنا رسـولُ الله ﷺ موعظةً وَجِلَت منها القلوب، وذَرَفَت منها العيون، فقلنا: يا رسولَ الله، كأنَّها موعظةُ مُوَدِّع! قال: «**إنَّه من يَعِشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاء الراشدين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**»[(١)].

شرح الحافظ ابن رجب للحديث:

قال العلَّامة ابن رجب في شـرح الحديث من كتابـه «جامع العلوم والحكم»: «قوله ﷺ: «**كُلُّ بدعةٍ ضلالـةٌ**»[(٢)] من جوامع الكَلِم، لا يخرج عنه شيء، وهو أصلٌ عظيمٌ من أصول الدِّين، وهو شبيه بقوله ﷺ: «**مَن أحدثَ في أمْرِنا ما ليس منه، فهو ردٌّ**»[(٣)].

فكلُّ من أحدث شيئًا ونسبه إلى الدِّين، ولم يكن له أصلٌ من الدِّين يرجع إليه، فهو ضلالـة، والدِّين بريءٌ منه، وسـواء في ذلك مسـائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة.

وأمَّا ما وقع في كلام السَّلف من استحسان بعض البدع، فإنَّما ذلك في البدع اللُّغَويَّة لا الشرعيَّة.

فمن ذلك قول عمر رضي الله عنه، لمَّا جمع النَّاس في قيام رمضان على إمامٍ واحدٍ في المسـجد، وخرج ورآهم يُصَلُّون كذلك، فقال: نِعْمَتِ البدعةُ هذه[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه صـ١٠.

(٢) سبق تخريجه صـ١٠.

(٣) سبق تخريجه صـ١٠.

(٤) سبق تخريجه صـ١٩.

QaradawiBooks.com

ورُوِيَ عنه أنَّه قال: إن كانت هذه بدعة، فنِعْمَتِ البِدْعة[١].

ورُوِيَ عن أُبَيٍّ بن كعب قال له: إنَّ هذا لم يكن. فقال عمر: قد عَلِمْتُ، ولكنَّه حسن[٢].

غير مرخصة للطباعة

توجيه قول عمر رضي الله عنه: نعمت البدعة:

ومراده: أنَّ هذا الفعل لم يكن على هذا الوجه قبل هذا الوقت، ولكن له أصل في الشريعة يرجع إليها[٣].

فمنها: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يحُثُّ على قيام رمضان، ويرغب فيه، وكان النَّاس في زمنه يقومون في المسجد جماعات متفرقة ووحدانا. وهو ﷺ صلَّى بأصحابه في رمضان غير ليلة، ثمَّ امتنع من ذلك معلِّلًا بأنَّه خشي أن يُكتب عليهم فيَعْجِزُوا عن القيام به، وهذا قد أُمِنَ بعده ﷺ.

وروي عنه ﷺ أنَّه كان يقوم بأصحابه ليالي الأفراد في العشر الأواخر[٤].

ومنها: أنَّه ﷺ أمر باتِّباع سُنَّة خلفائه الراشدين[٥]، وهذا قد صار من سُنَّة خلفائه الراشدين؛ فإنَّ النَّاس اجتمعوا عليه في زمن عمر وعثمان وعليٍّ رضي الله عنهم.

---

(١) رواه الفريابي في الصيام (١٧٢).

(٢) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٢٣٤٧١)، وعزاه لابن منيع في مسنده.

(٣) قال ابن حجر في الفتح (٢٥٣/٤): والبدعة أصلها ما أحدث على غير مثال سابق، وتطلق في الشرع في مقابل السنة فتكون مذمومة، والتحقيق إن كانت ممَّا تندرج تحت مستحسن في الشرع فهي حسنة، وإن كانت ممَّا تندرج تحت مستقبح في الشرع فهي مستقبحة وإلا فهي من قسم المباح وقد تنقسم إلى الأحكام الخمسة.

(٤) رواه أحمد (٢١٥١٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في الصلاة (١٣٧٥)، والترمذي في الصوم (٨٠٦)، وقال: حديث حسن صحيح. والنسائي في قيام الليل (١٦٠٥)، وابن ماجه في المقدمة (١٣٢٧)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٢٤٥)، عن أبي ذر.

(٥) سبق تخريجه صـ١٠.

QaradawiBooks.com

سنن الخلفاء الراشدين:

ومن ذلك: أذان الجمعة الأوَّل، زاده عثمان لحاجة النَّاس إليه[١]، وأقرَّه عليٌّ، واستمرَّ عمل المسلمين عليه.

ورُوِيَ عن ابن عمر أنَّه قال: هو بدعة[٢]. ولعلَّه أراد ما أراد أبوه في قيام شهر رمضان.

ومن ذلك: **جمع المصحف في كتابٍ واحد**، توقَّف فيه زيدُ بن ثابت، وقال لأبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما: كيف تفعلان ما لم يفعلْه النبيُّ ﷺ[٣]؟ ثمَّ علم أنَّه مصلحة، فوافق على جَمْعه.

وقد كان النبيُّ يأمر بكتابة الوحي، ولا فرق بين أن يكتب مُفَرَّقًا أو مجموعًا، بل جَمْعه صار أصلح.

وكذلك: **جمع عثمان الأُمَّةَ على مصحفٍ واحد**، وإعدامه لما خالفه خشية تفرُّق الأمة[٤]، وقد استحسنه عليٌّ، وأكثر الصحابة رضي الله عنهم، وكان ذلك عين المصلحة.

وكذلك: **قتال مَنْ منع الزكاة**، توقَّف فيه عمر وغيره، حتَّى بيَّن له أبو بكر أصله الَّذي يرجع إليه من الشريعة[٥]، فوافقه النَّاس على ذلك.

---

(١) رواه البخاري في الجمعة (٩١٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الصلاة (٥٤٧٩).

(٣) سبق تخريجه صـ٤٨.

(٤) إشارة إلى حديث أنس بن مالك، أن حذيفة بن اليمان، قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشأم في فتح أرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة... رواه البخاري في فضائل القرآن (٤٩٨٧).

(٥) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: عن أبي هريرة قال: لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال =

QaradawiBooks.com

ومن ذلك: **القَصَص**، وقد سبق قول غُضَيْف بن الحارث: إنَّه بدعة[١]. وقال الحسن: القَصَص بدعة، ونِعْمَت البِدْعة! كم من دعوة مُسْتجابة، وحاجة مَقْضِيَّة، وأخ مُسْتَفَاد[٢]! وإنَّما عنى هؤلاء بأنَّه بدعة: الهيئة الاجتماعيَّة عليه في وقتٍ مُعَيَّن، فإنَّ النبيَّ ﷺ لم يكن له وقتٌ مُعَيَّن يقصُّ على أصحابه فيه غير خُطْبته الراتبة في الجُمَع والأعياد، وإنَّما كان يذكِّرهم أحيانًا، أو عند حدوث أمرٍ يحتاج إلى التذكير عنده.

ثُمَّ إنَّ الصحابة رضي الله عنهم، اجتمعوا على تعيين وقتٍ له... عن ابن مسعودٍ أنَّه كان يُذَكِّر أصحابه كلَّ يومِ خميس[٣].

وفي صحيح البخاري، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّه قال: حدِّث النَّاس في كلِّ جمعة مرَّة، فإن أبيتَ فمرَّتَيْن، فإن أكثرت فثلاثًا، ولا تُمِلَّ النَّاس[٤].

وفي المسند، عن عائشة رضي الله عنها، أنَّها وصَّت قاصَّ أهْلِ المدينة بمثل ذلك[٥].

= رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلٰه إلَّا الله...». رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

(١) سبق تخريجه صـ٥٣.

(٢) الحجة في بيان المحجة لقوام السنة (٣٩٤/١)، نشر دار الراية، السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

(٣) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (٣١٥/٣)، وسكت عنه هو والذهبي. بلفظ: عبد الله بن مرداس قال: كان عبد الله (ابن مسعود) يخطبنا كل خميس على رجليه، فيتكلم بكلمات ونحن نشتهي أن يزيد.

(٤) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٣٧).

(٥) رواه أحمد (٢٥٨٢٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩١٥): رجاله رجال الصحيح.

QaradawiBooks.com

وروي عنها أنَّها قالت لعُبَيْد بن عُمَيْر: حَدِّث النَّاس يومًا، ودع النَّاس يومًا، لا تُمِلَّهُم[١].

ورُوِيَ عن عُمَرَ بن عبد العزيز، أنَّه أمر القاصَّ أن يَقُصَّ كلَّ ثلاثةِ أيَّام مرَّة.

ورُوِيَ عنه أنَّه قال له: رَوِّحِ النَّـاس، ولا تُثْقِلْ عليهم، ودعِ القَصَص يوم السبت، ويوم الثلاثاء.

كلام الإمام الشافعي في البدعة:

وقد روى الحافـظ أبو نُعَيْم بإسـناده عن إبراهيم بـن الجُنَيْد قال: سمعتُ الشـافعيَّ يقول: البدعة بدعتان: بدعةٌ محمودة، وبدعةٌ مذمومة؛ فما وافق السُّنَّـة فهو محمود، وما خالف السُّنَّة فهو مذموم. واحتجَّ بقول عمر رضي الله عنه: نِعْمَتِ البدعةُ هي[٢].

ومراد الشافعي رضي الله عنه ما ذكرناه من قبل: أنَّ أصل البدعة المذمومة ما ليس لها أصل من الشـريعة ترجع إليه، وهي البدعة في إطلاق الشرع.

وأمَّا البدعة المحمودة، فما وافق السُّـنَّـة، يعني ما كان لها أصل من السُّنَّة ترجع إليه، وإنَّما هي بدعةٌ لغةً لا شرعًا لموافقتها السُّنَّة.

وقد رُوِيَ عن الشافعيِّ كلامٌ آخرُ يُفَسِّـر هذا، وأنَّه قـال: المُحْدَثَات ضـربـان: ما أحدث ممَّا يخالف كتابًا أو سُـنَّة أو أثرًا أو إجماعًا، فهذه

(١) رواه ابن أبي خيثمة في التاريخ الكبير (١٩٢/١)، تحقيق صلاح بن فتحي هلال، نشر الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١١٣/٩).

QaradawiBooks.com

البدعـة الضـلالـــة، وما أحدث فيه من الخير لا خــلاف فيه لواحدٍ من هذا، وهذه مُحْدَثة غير مَذْمُومة[١].

غير مرخصة للطباعة

اختلاف الصحابة وتابعيهم في أمور حدثت بعد النُّبُوَّة:

وكثير من الأمور الَّتي حدثت ولم تكن، قد اختلف العلماء في أنَّها هل هي بدعةٌ حسنة، حتَّى ترجع إلى السُّنَّة أم لا؟

فمنها: **كتابة الحديث**، نهى عنه عمر وطائفة من الصحابة، ورخَّص فيها الأكثرون، واستدلُّوا له بأحاديث من السُّنَّة.

ومنها: **كتابة تفسير الحديث والقرآن**، كرهه قومٌ من العلماء، ورخَّص فيه كثيرٌ منهم.

وكذلك اختلافهم في **كتابة الــرأي في الحلال والحرام ونحوه، وفي توســعة الكلام في المعامــلات، وأعمــال القلوب**، الَّتي لــم تنقل عن الصحابة والتابعين، وكان الإمام أحمد يكره أكثر ذلك.

وفي هذه الأزمان الَّتي بعُــد العهد فيها بعلوم السَّــلَف، يتعيَّن ضبط ما نُقِلَ عنهم من ذلك كُلِّه، ليتميَّز به ما كان من العلم موجودًا في زمانهم، وما أحــدث من ذلك بعدهم، فيعلم بذلك السُّــنَّة من البدعة. وقد صحَّ عن ابن مســعود رضي الله عنه أنَّه قــال: إنَّكم قد أصبحتم اليوم على الفطرة، وإنَّكم ستُحدثون ويَحْدُث لكم، فإذا رأيتم مُحْدَثَة فعليكم بالعهد الأول[٢]. وابن مســعود قال هذا فــي زمن الخلفاء الراشدين.

(١) رواه البيهقي في معرفة السنن والآثار (٦٦٣٤).

(٢) رواه الدارمي في المقدمة (١٧٤)، والمروزي في السنة (٨٠).

QaradawiBooks.com

حدوث الأهواء بعد عصر الصحابة:

وروى ابن حُمَيْد عن مالكٍ قال: لم يكن شيءٌ من هذه الأهـواء فـي عـهـد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان[1].

وكان مالك يشـير بالأهواء إلى ما حدث مـن التفرُّق في أصول الديانات، من أمر الخوارج، والروافـض، والمُرْجِئَة ونحوهم، ممَّن تكلَّـم في تكفير المسـلمين، واسـتباحة دمائهـم وأموالهم، أو في تخليدهم في النار، أو في تفسـيق خواصِّ هذه الأُمَّة، أو عكس ذلك من زعم أنَّ المعاصي لا تضـرُّ أهلَها، وأنَّه لا يدخـل النَّار من أهل التوحيد أحد.

وأصعب من ذلك ما أُحْـدِثَ من الكلام في أفعال الله تعالى، من قضائه وقدره، وكَـذَّب بذلك من كـذَّب، وزعم أنَّه نـزَّه الله بذلك عن الظلم.

وأصعب من ذلك ما أُحْـدِثَ من الكلام فـي ذات الله وصفاته ممَّا سكت عنه النبيُّ ﷺ والصحابة والتابعون لهم بإحسان.

فقومٌ نَفَوْا كثيرًا ممَّا أُورِدَ في الكتاب والسُّنَّة من ذلك، وزعموا أنَّهم فعلوه تنزيهًـا لله عما تقضي العقول بتنزيهه عنـه، وزعموا أنَّ لازم ذلك مستحيلٌ على الله ﷻ.

وقومٌ لم يكتفوا بإثباته حتَّى أثبتوا ما يُظَنُّ أنَّه لازمٌ له بالنسـبة إلى المخلوقين، وهذه اللـوازم نفيًا وإثباتًا درج صدر الأُمَّة على السـكوت عنها.

---

(١) رواه الفريابي في القدر (٣٨٧).

QaradawiBooks.com

التوسُّع في الرأي وردُّ السُّنَن الثابتة:

وممَّا حدث في الأُمَّة بعد عصر الصحابة والتابعين: الكلام في الحلال والحرام بمجرَّد الرأي، وردُّ كثيرٍ ممَّا وردت به السُّنَّة في ذلك لمخالفته الرأي والأقيسة العقليَّة.

أهواء المُتَصَوِّفة والمُتَكَلِّمِينَ بعيدًا عن السُّنَّة:

وممَّا حدث بعد ذلك: الكلام في الحقيقة بالذَّوق والكَشْف، وزعْمُ أنَّ الحقيقة تنافي الشريعة، وأنَّ المعرفة وحدها تكفي مع المحبَّة، وأنَّه لا حاجة إلى الأعمال، وأنَّها حجاب، أو أنَّ الشريعة إنَّما يحتاج إليها العوامُّ.

وربَّما انضمَّ إلى ذلك الكلام في الذات والصفات بما يُعْلَمُ قَطْعًا مخالفته الكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأُمَّة.

والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[(١)].

ثالثًا: ما جاء عن الصحابة في ذمِّ الابتداع:

بعدما ذكرنا من أدلَّة القرآن والحديث، نذكر ما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم، ولا سيَّما علماؤهم، مثل الخلفاء الراشدين، ومثل ابن مسعود، وابن عمر، وابن عبَّاس، وجابر، وعائشة، ومعاذ، وأنس بن مالك، وغيرهم من المهاجرين والأنصار. وقد جاء في حديث العِرْبَاض بن ساريةَ: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المَهْديِّين، وعَضُّوا عليها بالنواجذ**»[(٢)]. وقد مرَّ بنا الحديث، وجاء

(١) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (١٢٨/٢ ـ ١٣٣)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٧، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٠.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

القرآن مُثْنِيًا على أصحاب النبيِّ ﷺ، وخصوصًا السابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار.

وممَّا جاء عن الصحابة رضوان الله عليهم: ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه، وقد ثبت عنه من عدَّة طرق، فعن قَيْس بن أبي حازم قال: ذُكِرَ لابن مسعودٍ قاصٌّ يجلس بالليل، ويقول للنَّاس: قولوا كذا، قولوا كذا. فقال: إذا رأيتموه فأخبروني. فأخبروه، فجاء عبد الله مُتَقَنِّعًا، فقال: مَن عرفني فقد عرفني، ومَن لم يعرفني فأنا عبد الله بن مسعود، تعلمون إنَّكم لأهدى من مُحَمَّد ﷺ وأصحابه، أو إنَّكم لمُتَعَلِّقون بذَنَب ضلالة[1]؟!

وعن أبي الزَّعْرَاء عبد الله بن هانئ قال: جاء المُسَيَّب بن نَجَبَة[2] إلى عبد الله فقال: إنِّي تركت قومًا في المسجد يقولون من سبَّح كذا وكذا، فله كذا وكذا. فقال: قمْ يا علقمةُ. فلما رآهم قال: يا علقمة، اشغل عَنِّي أبصار القوم. فلما سمعهم وما يقولون قال: إنَّكم لمُتَمَسِّكون بذَنَبِ ضلالة، أو إنَّكم لأهدى من أصحاب مُحَمَّد ﷺ[3]!

وعن عمرو بن سَلَمَةَ بن الحارث قال: كُنَّا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فجاءنا أبو موسى الأشعري، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمٰن، إنِّي رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرتُه، ولم أرَ والحمد لله إلَّا خيرًا. قال: فما هو؟ قال: رأيتُ في المسجد قومًا حِلَقًا جُلوسًا ينتظرون الصلاة، في كلِّ حلقةٍ رجل، وفي أيديهم حصًى، فيقول: كبِّروا مائة. فيكبرون مائة، فيقول: هَلِّلوا مائة. فيهلِّلون مائة، ويقول: سَبِّحوا

(١) رواه عبد الرزاق في الجمعة (٥٤٠٨)، والطبراني (١٢٥/٩)، وصحَّحه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٥٥).

(٢) تصحفت في المطبوع إلى نجية، بالياء المثناة تحت، والمثبت الصواب.

(٣) رواه الطبراني (١٢٥/٩).

QaradawiBooks.com

مائة. فيسبحوا مائة. ثمَّ مضى ومضينا معه، حتَّى أتى حَلْقةً من تلك الحِلَق، فوقف عليهم، فقال: ما هــذا الَّذي أراكم تصنعون؟! قالــوا: حصًى نعُد به التكبير والتهليل والتســبيح. قال: فعُدُّوا سيِّئاتكم، فأنا ضامنٌ ألَّا يضيع من حسناتكم شــيء، ويحَكم يا أُمَّـةَ مُحَمَّد، ما أسرع هلكتكم! أهؤلاء صحابة نبيِّكم متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبْلَ، وآنيتُه لم تُكْسَــرْ، والَّذي نفسي بيده، إنَّكم لعلى مِلَّة هي أهــدى مــن ملَّة مُحَمَّــد ﷺ أو مفتتحو باب ضلالة؟! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمٰن، ما أردنا إلَّا الخير. قال: وكم من مريدٍ للخير لن يُصِيبه، إنَّ رســول الله ﷺ حدَّثنا أنَّ قــومًا يقــرؤون الـقرآن لا يجاوز تَرَاقِيَهم. وايم الله، لا أدري لعلَّ أكثرهم منكم! ثمَّ تولَّى عنهم. قال عمرو بن سلمة: رأينا عامَّة أولئك الحِلَق يطاعنوننا يوم النَّهْروان مع الخوارج[1].

وانظرْ يا أخــي، كيف يبدأ الغُلُوُّ فــي الدِّين، إنَّه يبدأ صغيــرًا ثمَّ يَكْبُر، ضعيفًا ثمَّ يقوى، محدودًا ثمَّ ينتشــر، يبدأ بزيادات في الكيفيَّات، ثمَّ ينتهي إلى استحلال دماء المسلمين، وهنا كان الأولى سدُّ هذا الباب من أوَّل الأمر.

ليس في الرواية الأولى إشــارة إلى ذلك، ولكن في الرواية الثانية، أنَّهم يقولون: من ســبح كذا وكذا فله كذا وكذا. وفي الرواية الثالثة، أنَّ رجلًا يقول كَبِّروا مائة. فيُكَبِّرون مائة، ثمَّ يُهَلِّلون مائة، ثمَّ يُسَبِّحون مائة، ويَعُدُّون ذلك بما بين أيديهم من الحصا.

ومثل ذلك: ما ورد عن عبد الله بن عمــر رضي الله عنهما، وهو ما رواه مجاهد قال: كنتُ مع ابن عمر، فثوَّب رجلٌ في الظهــر أو العصر. فقال: اخرجْ بنا؛ فإنَّ هذه بدعة[2].

(١) رواه الدارمي في المقدمة (٢١٠). وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٠٠٥).

(٢) رواه أبو داود في الصلاة (٥٣٨)، والطبراني (٤٠٣/١٢)، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (٥٤٩).

QaradawiBooks.com

والتثويب في اللغة: الرجوع إلى الشيء بعد الخروج منه. والمراد هنا: التثويب في الأذان. وهو قول المؤذن: الصلاة خير من النوم. مرَّتين، بعد قوله: حيَّ على الفلاح. وهو سُنَّة في أذان الفجر، دون غيره. وأحدث بعض أهل الكوفة تثويبًا آخر في زمن التابعين، وهو أن يقول المؤذن في وقت ما بين الأذان والإقامة: حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح. مرَّتين، وقد استحسنه الإمام مُحَمَّد بن الحسن الشَّيْبَاني رَحِمَهُ اللَّهُ [١].

ومن الواضح في الرواية عن ابن عمر أنَّه حكم على التثويب في أذان الظهر أو العصر بأنَّه بدعة، ومراده أنَّه شيء أُحْدِث، ولم يكن في الأذان على عهد رسول الله ﷺ، ومن الواضح كذلك: أنَّ مراده بالبدعة هنا المذمومة؛ لأنَّه عبَّر عن إنكاره واستيائه بالخروج من ذلك المسجد الَّذي تعمل فيه تلك البدعة. ولعلَّ وجه الإنكار هو أن ألفاظ الأذان توقيفيَّة، فلا ينبغي أنْ يُزَاد فيها شيء.

ومثل ذلك: ما رواه نافع، أنَّ رجلًا عطس عند عبد الله بن عمر فقال: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. فقال ابن عمر: ما هكذا علَّمنا رسول الله ﷺ، بل قال: «**إذا عطس أحدُكم فليحمدِ الله**». ولم يقُل: وليصلِّ على رسول الله ﷺ [٢].

ولعلَّ وجه الإنكار أنَّ العُطَاس من الرحمٰن وهو نعمة، فأرشد النبيُّ ﷺ العاطس إلى أن يحمد الله تعالى عند هذه النعمة، فلا يكون هنا

(١) انظر: المبسوط للسرخسي (١٣٠/١)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

(٢) رواه الترمذي في الأدب (٢٧٣٨)، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلَّا من حديث زياد بن الربيع. والحاكم في الأدب (٢٦٥/٤)، وقال: صحيح الإسناد غريب. ووافقه الذهبي. وحسَّنه الألباني في المشكاة (٤٧٤٤).

QaradawiBooks.com

مناسبة لذكر الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، أي فذكرها هنا زيادة على المشروع دون أن يكون معنى لهذه الزيادة هنا.

ومن ذلك ما جاء عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، فعن أبي العالية رُفَيْع بن مِهْرَانَ أنَّه قال: سمع ابن عبَّاس رجلًا يصلي، فلما قعد يتشهَّد، قال: الحمد لله، التحيات لله. فقال ابن عبَّاس وهو ينتهره: الحمد لله؟! إذا قعدتَ فابدأْ التشهُّد بالتحيَّاتِ لله[1].

والإنكار هنا واضح، ولعلَّ وجهه: أنَّ ألفاظ التشهد توقيفيَّة، ولا معنى لإقحام شيء من الأذكار قبل البدء به.

ومن ذلك: ما جاء عن طارقِ بْنِ أَشْيَمَ الأَشْجَعِيِّ رضي الله عنه. وذلك من ثلاثة طرق عن ابنه أبي مالك سعد بن طارق الأشجعي أنَّه سأل أباه عن القنوت، فقال: صلَّيْت خلفَ رسول الله ﷺ فلم يقنت، وصلَّيْت خلف أبي بكر فلم يقنت، وصلَّيْت خلف عمر فلم يقنت، وصلَّيْت خلف عثمان فلم يقنت، وصلَّيْت خلف علي فلم يقنُتْ. ثمَّ قال: يا بُنَيَّ، إنَّها بدعة. وفي بعض الروايات: هي مُحْدَثة[2]. ولا شكَّ في أنَّ المراد من نفي القنوت هنا هو نفي القنوت الَّذي يُفْعل في غير النوازل الطارئة.

والظاهر من النفي المتكرر في كلام طارق بن أشيم، وقوله عنه بأنَّه بدعة، هو أنَّ المراد: البدعة المذمومة.

(١) رواه ابن أبي شيبة في الصلاة (٣٠٢٥).

(٢) رواه الترمذي في الصلاة (٤٠٢)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في التطبيق (١٠٨٠)، وابن حبان في الصلاة (١٩٨٩)، وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات. وحسن إسناده الحافظ في التلخيص الحبير (٤٤٤/١)، وصحَّحه الألباني في الإرواء (٤٣٥).

QaradawiBooks.com

رابعًا: ما جاء عن التابعين:

ومن ذلك ما جاء عن التابعين للصحابة بإحسان، الَّذين أثنى الله عليهم في سورة التوبة، حين قال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وأثنى عليهم في سورة الحشر بعد أن تحدَّث عن المهاجرين والأنصار، ثمَّ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، وذلك مثل ما جاء عن زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما، أنَّه رأى رجلًا يجيء إلى فُرْجة كانت عند قبر النبيِّ ﷺ، فيدخل فيها فيدعو، فدعاه فقال: ألا أُحَدِّثُكَ بحديثٍ سمعتُه من أبي، عن جَدِّي، عن رسولِ الله ﷺ؟ قال: «**لا تتَّخِذوا قبري عيدًا، ولا بيوتَكم قبورًا، وصلُّوا عليَّ، فإنَّ صلاتَكم تبلغُني حيثما كنتم**»[(١)]. وكأن هذا مجرَّد إرشاد إلى فعل الأولى؛ لأنَّه لم ينكر عليه إنكارًا، واكتفى بسرد رواية الحديث.

ومن ذلك: ما جاء عن سعيد بن المُسَيِّب رحمه الله ـ وكان الإمام أحمد يعتبره سيِّد التابعين ـ أنَّه رأى رجلًا يُصَلِّي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر الركوع والسجود، فنهاه، فقال: يا أبا مُحَمَّد، يُعَذِّبني الله على الصلاة؟! فقال: لا، ولكن يُعَذِّبُكَ على خلاف السُّنَّة[(٢)].

وكلٌّ من زين العابدين وسعيد بن المُسَيِّب رضي الله عنهما من خِيرَة التابعين.

---

(١) رواه أبو يعلى (٤٦٩)، والضياء في المختارة (٤٢٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٨٤٧): فيه حفص بن إبراهيم الجعفري، ذكره ابن أبي حاتم، ولم يذكر فيه جرحًا، وبقية رجاله ثقات. وحسَّنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٢١/٤)، وقال الألباني في تخريج فضائل الشام صـ ٥٢: صحيح بطرقه وشواهده.

(٢) رواه عبد الرزاق (٤٧٥٥)، والبيهقي (٦٥٤/٢)، كلاهما في الصلاة.

QaradawiBooks.com

خامسًا: ما جاء عمَّن بعد التابعين:

أورد الشـــاطبي في «الاعتصام» عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان من التابعين: أنَّه أتاه رجل، فقال: من أين أُحْـــرِم؟ قال: من ذي الحُلَيْفة، من حيث أحـرم رسول الله ﷺ. فقال: إنِّي أريد أن أُحْرِمَ من المسجد من عند القبر. قال: لا تفعل، فإنِّي أخشـــى عليك الفتنة. فقال: وأيُّ فتنة هذه؟! إنَّما هي أميال أزيدها. قـــال: وأيُّ فتنةٍ أعظمُ من أن ترى أنَّك ســـبقت إلى فضيلة قصر عنها رســـول الله ﷺ؟! إنِّي سمعت الله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣][1].

روى ابن الماجِشُون عن مالك، أنَّه قال: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حســـنة، فقد زعم أنَّ محمـــدًا ﷺ خان الرســـالة؛ لأنَّ الله يـقـول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكـــن يومئذٍ دينًا لا يكون اليومَ دينًا[2]!

فانظر إلى هذه العبارة القويَّة من مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ المبتدع يزعم بلسان حال أو لســـان مقال أنَّ محمدًا خان الرســـالة؛ لأنَّه لم يُبَلِّغْها كاملة كما شرعها الله وأتمَّها، فما أعظمها من دعوى!

ويقول شـــيخنا الدكتور مُحَمَّد عبـــد الله دراز رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا خفاء أنَّ كل اختراع في الدِّين لِمَـــا لا دليل عليه من جهة الشـــرع، إنَّما هو اغتصابٌ لمنصب الشارع، واستدراك عليه! وهذا إذا كان مقصودًا للمُبْتَدِع فهو كفر

(١) الاعتصام للشاطبي (١/١٣١).

(٢) رواه ابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام (٦/٥٨)، تحقيق الشـــيخ أحمد محمد شاكر، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت.

QaradawiBooks.com

بَوَاح، وإلَّا فأقلُّ ما يقال فيه: إنَّـه باطلٌ مردودٌ على صاحبه، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢]»[(١)].

سادسًا: النظر في المقاصد والعلل:

وممَّا يعلِّل به المُشَـدِّدون في إغلاق باب البـدع: أنَّ المبتدع كأنَّما يقول بلسان الحال أو المقال: إنَّ الشـريعة لم تتمَّ، وإنَّه قد بقيت أشياء يجب أو يسـتحبُّ اسـتدراكها، وإنَّه قد نصب نفسـه مضاهيًا للشـارع الحكيم، ويُضِيف هذا القائل إلى ما قد سبق أنَّ المبتدع إنَّما أتي من باب التحسـين والتقبيح العقليَّيْن، متغافلًا عن قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: من استحسن فقد شرع[(٢)]. وناسيًا قول الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

* * *

(١) انظر: الميزان بين السنة والبدعة لشيخنا الدكتور محمـد عبد الله دراز صـ ٤٤، تحقيق أحمد مصطفى فضلية، نشر دار القلم، القاهرة.

(٢) نهاية المطلب في دراية المذهب للجويني (٤٧٣/١٨)، تحقيق أ. د. عبد العظيم الديب، نشر دار المنهاج، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الفصل الثالث

لماذا شدَّد الإسلام في أمر البدعة؟

لماذا شدَّد الإســـلام في أمر البدعة، واعتبرها ضلالة، واعتبرها في النار، وحذَّر النبيُّ ﷺ منها أشدَّ التحذير؟

أولًا: المبتدع ينصِّب نفسه مُشَرِّعًا ونِدًّا لله تعالى:

الحقيقة أنَّ الإسلام حذَّر منها؛ لأنَّ المبتدع كأنَّه مُسْتَدْرِك على ربِّه، كأنَّـــه يوهمنا، أو يوهم نفســـه أنَّه يعلـــم ما لا يعلم الله، كأنَّـــه يقول: إنَّ ما شرعتَه يا رب لا يكفينا، فنحن نزيد على ما شرعت. فهو إذن قد جعل نفسه مُشَرِّعًا، وأعطى نفسه حقَّ التشريع، التشـــريع من حق الله سبحانه وتعالى وحـــده، ولذلك قال القـــرآن: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

فشرعيَّة ما لم يأذن به الله هذا هو الخطر؛ لأنَّ الإنسان جعل نفسه نِدًّا لله سبحانه وتعالى، من حقِّه أن يُشَرِّع، وأن يبتكر ويزيد في دين الله. وهذا باب يمكن أن يأتي منه خطرٌ كبير، يصل بالناس إلى الشـــرك بالله تبارك وتعالى، وهذا ما أفسد الأديان من قبل.

الأديان الأخرى ماذا حلَّ بها؟ حلَّ بها الابتـــداع مفتحة أبوابه على مصراعيها، وجعلوا لأنفسهم حقَّ الإضافة في دين الله، وجعلوا ذلك من حق باباواتهم وقسِّيســـيهم، أو أحبارهم ورهبانهـــم، فأصبح الدين غير

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الدين، وهذا ما أنكره الإسلام عليهم وسجَّله في كتابه الخالد، قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]. فاعتبرهم القرآن مشركين.

لما دخل عَدِيُّ بنُ حاتم الطائي ـ وكان قد تنصَّر في الجاهليَّة ـ على رسول الله وهو يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾. قال: إنَّهم لم يعبدوهم. فقال النبيُّ ﷺ: «**بلى، حَرَّموا عليهم الحلال، وأحلُّوا لهم الحرام، فاتَّبعوهم، فذلك عبادتهم إيَّاهم**»[(١)].

فعَدِيُّ بن حاتم فهم أنَّ العبادة هي الشعائر فقط: الصلاة والركوع والسجود ونحوها، فأفهمه النبيُّ ﷺ أنَّه ليس من الضروري أن يفعلوا ذلك، فالعبادة لها معنى أوسع، الطاعة المُطلقة فيما يصنعون، وفيما يُحِلُّون، وفيما يُحَرِّمون، وفيما يخترعون، في أمور الدِّين عبادة؛ لأنَّ الرُّبوبيَّة هي الَّتي لها حقُّ التشريع والتحليل والتحريم، وهي الَّتي تتعبَّد النَّاس بما تريد، وليس من حقِّ أحدٍ أن يتعبَّد بما يريد هو.

ثانيًا: المبتدع يرى الدِّينَ ناقصًا ويريد أن يُكَمِّله:

من ناحية أخرى ـ وهو فرع عن المعنى السابق ـ أنَّ المبتدع كأنَّه يرى الدِّين ناقصًا، وهو يريد أن يكمل ما فيه من نقصٍ وقصور. والدِّين قد أتمَّ الله علينا النعمة بكماله فقال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]، ولذلك روى ابن المَاجِشُون، عن الإمام مالك إمام الهجرة، أنَّه قال: من ابتدع في الإسلام

(١) رواه الترمذي في التفسير (٣٠٩٥)، وقال: حديث غريب. والطبراني (٩٢/١٧)، والبيهقي في آداب القاضي (١١٦/١٠)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٣٢٩٣).

QaradawiBooks.com

بدعةً يراها حسنة، فقد زعم أنَّ محمدًا ﷺ خان الرسالة؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فما لم يكن يومئذٍ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا[1].

فالابتداع في الدِّين اتِّهام للنبيِّ ﷺ بالخيانة، وعدم تبليغ الرسالة بكاملها، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧].

الدين قد كمل، فليس في حاجة إلى أن تزيد عليه؛ لأنَّ الكامل لا يقبل الزيادة بحال من الأحوال، الشيء الناقص هو الَّذي يمكن أن تضيف إليه وتزيد فيه. كما إذا كنتَ لابسًا ثوبًا سابغًا على مقدار مُفَصَّل عليك تمامًا، لو زيد فيه شيء، كان مقتضى ذلك أنَّك ستجرُّه على الأرض.

من هنا وقف الصحابة والأئمَّة ومن تبعهم بإحسان ضدَّ الابتداع؛ لأنَّه اتِّهام للدِّين بالنقص، واتهام للرسول بالخيانة.

ثالثًا: الابتداع يُعَسِّر الدِّين ويُخْرِجه عن طبيعته السَّمْحة:

من ناحية ثالثة: إنَّ الدين قد شرعه الله مُيسَّرًا، وبعث نبيَّه بحنيفيَّة سمْحة، حنيفيَّة في العقيدة، سمحة في التكاليف والأعمال، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وكما قال رسوله الكريم: «**إنَّما بُعِثْتُم مُيسِّرين، ولم تُبْعَثوا مُعسِّرين**»[2].

(١) الإحكام في أصول الأحكام (٥٨/٦).

(٢) سبق تخريجه صـ٥٣.

QaradawiBooks.com

فالدِّين قد جاء مُيَسَّـرًا للنَّاس، والَّذين يبتدعون فيه، يخرجون بهذا الدِّين عن طبيعته السمحة الميسَّرة، فهم يعنتون النَّاس ويشقون عليهم، ويضيفون إليه ما يجعله آصارًا وأغلالًا على المُكَلَّفين، وقد جاء النبي ﷺ، ليضع الآصار والأغلال عمَّن كان قبلنا، كما جاء في وصفه ﷺ في كتب الأوَّلين، التوراة والإنجيل: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وجاء في أدعية القرآن في خواتيم سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فهؤلاء النَّاس ـ أي المبتدعون ـ يريدون أن يعيدوا آصار الأديان السابقة إلى الإسلام، وأن يضيفوا إليه تكاليف تشق على النَّاس، وتكلِّفهم شططًا، وترهقهم من أمرهم عُسرًا.

التكاليف الدِّينيَّة بسيطة سهلة جدًّا، فمثلًا، الله سبحانه وتعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وأفضل صيغ الصلوات: «**اللهمَّ صلِّ على مُحَمَّد، وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صليتَ على إبراهيم، وعلى آلِ إبراهيم، إنَّك حميدٌ مجيد، اللهمَّ باركْ على مُحَمَّد، وعلى آل مُحَمَّد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنَّك حميدٌ مجيد**»[(١)]. هل أخذت أي وقت؟ ربع دقيقة أو نصف دقيقة؟ إنَّما يجيء أُنَاس ويضعون كتبًا في الصلاة والسلام على النبيِّ، وصيغًا متكلَّفة، ما أنزل الله بها من سلطان، وكنتُ أرى العامَّة يقرؤونها ويحفظونها، ويُرَدِّدونها بتطويلٍ، ولا يفهمون منها شيئًا.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٦٩)، ومسلم في الصلاة (٤٠٧)، عن أبي حميد الساعدي.

QaradawiBooks.com

وفي الأدعية أيضًا يضعون للنَّاس أورادًا وأحزابًا، كنت في صغري أذهب إلى المسجد قبل الفجر، فأجد بعض النَّاس من العوامِّ يحفظون وردًا يقال له «وِرْد البَكْري»[1]، وهو عبارة عن أدعية مرتَّبة على حروف الهجاء، يبدأ الدعاء الأوَّل بحرف الهمزة، والثاني بالباء، والثالث بالتاء، إلخ. فمثلًا في حرف الغين: «إلٰهي غناك مطلقٌ وغنانا مُقَيَّد، فنسألك بغناك المُطْلَق أن تُغْنِيَنا بك غِنًى لا فَقْر بعده إلَّا إليك». ولو سألت أحدهم ما معنى: مُطْلَق ومُقَيَّد؟ فإنَّه لا يعرف شيئًا.

يا أخي، هل هناك أفضلُ وأجملُ وأيسرُ من أدعية القرآن وأدعية السُّنَّة؟ أدعية القرآن مثل: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، وأدعية السُّنَّة مثل: «**اللهمَّ أصلحْ لي ديني الَّذي هو عِصْمة أمري، وأصلحْ لي دُنْياي الَّتي فيها معاشي، وأصلحْ لي آخرتي الَّتي إليها معادي، واجعل الحياةَ زيادةً لي في كلِّ خير، واجعل الموت راحةً لي من كلِّ شرٍّ**»[2]. فلم التكلُّف إذنْ؟ ولماذا نُعَسِّر على النَّاس ونُحَفِّظُهم هذه الأدعية؟

في مرَّة من المرَّات قلتُ لواحد من الناس: لماذا لا تُصَلِّي؟ قال: لأنِّي لا أعرف الوضوء! قلتُ: لا تعرف غسل الوجه واليدين، ومسح الرأس، وغسل الرجلين؟ قال هذا أعرفه، لكنِّي لا أحفظ ما يقال في الوضوء عند غَسْل كُلِّ عضو من الأعضاء! أي أنَّه لا يعرف ما يقوله النَّاس عند بدء الوضوء. كأن يقول: الحمد لله الَّذي جعل الماء طهورًا، والإسلام نورًا. وعند الاستنشاق: اللهمَّ أَرِحْني برائحة الجنَّة وأنت عَنِّي

(١) وِرْد السَّحَر للسيد مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري الصديقي الحلواني (ت: ١١٦٢هـ).
(٢) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٠) عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

راضٍ. وعند غَسْـلِ الوجه: اللهمَّ بيِّض وجهي يوم تبيضُّ وجوه وتسودُّ وجوه. وعند غسل الذراعين: اللهمَّ أعطِني كتابي بيميني، واجعل محمدًا شفيعي وضميني. وعند مسـح الرأس: اللهمَّ حرِّم شعري وبشرتي على النَّار[١]. وهو ما اعتاد كثير من النَّاس أن يقولوه.

كلُّ حاجة وضعوا لها دعاء، والرجل المسـكين يظنُّ أنَّه لا بدَّ لكي تصحَّ صلاتُه ويصحَّ وضوؤه من حفظ هذه الدعوات الكثيرة، وليس عنده حافظةٌ تَسَعُ هذه الأشـياء. لماذا هذا كلُّه؟ لماذا نبتدع في دينِنا مثل هذه الأدعية الكثيرة ولم تجئ في كتاب ولا سُنَّة؟

وانظر إلى «الأذان الشرعي» كما يُسَمُّونه، تجده أمرًا سهلًا يسيرًا: الله أكبر الله أكبر إلخ، كم يأخذ من الوقت؟ دقيقة أو دقيقة ونصفًا؟ لكن لو أخذناه بالطريقة الَّتي عليها غالب النَّاس اليوم: من التكبير والشهادتَيْن، ثمَّ حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، ومدِّ الصوت بها كثيرًا كثيرًا، كم تأخذ؟ خمس دقائق، وربَّما أكثر أو أقل.

ويلزم أن تكون «الفلاح» أطـول من «الصـلاة»، والثانية أطول من الأولى. ثمَّ لم يكتفوا بهذا، بل وضعوا للنَّـاس صلوات على النبيِّ ﷺ تُتْلى بعد الأذان.

يا أخي، هل شـرع ربُّنا هذه الألفاظ؟ وأوحى إلـى نبيِّه عن طريق الرؤيا، الَّتي أقرَّها رسـول الله ﷺ[٢]، فهذا شـيءٌ مقصود أن يكون لله

(١) انظر كتابنا: فتاوى معاصرة (٢١٣/١، ٢١٤)، نشر دار القلم، الكويت، ط ٩، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

(٢) رواه أحمد (١٦٤٧٨)، وقال مخرِّجوه: إسـناده حسـن. وأبو داود (٤٩٩)، والترمذي (١٨٩)، كلاهما في الصلاة، وقال الترمذي: حسـن صحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٥١٢)، عن عبد الله بن زيد.

QaradawiBooks.com

تعالى نصيب كذا في الأذان، ولمحمَّـد مقدار معين، فكيف تأتي أنت وتضيف صلـوات وكلمات زائدة بحيث يُجْعَل حـظُّ النبيِّ الكريم في الأذان أكثر من حظِّ ربِّنا تبارك وتعالى؟ ليس هـذا مكانه يا أخي، لِمَ تخترع من عندك؟

فيا أيُّها الإخوة، الإسـلام وقف ضدَّ الابتداع، لئلَّا يُدْخِل النَّاس في الدِّين أشياءَ تُعَسِّر الدِّين، وتضيف إليه أشياءَ تجعله أضعاف ما أنزله الله سـبحانه وتعالى، وتكون النتيجة: أنَّ النَّاس يسـتثقلون تكاليف الدِّين ويضيقون بها ذرعًا.

رابعًا: الابتداع في الدِّين يُميت السُّنَن:

ومن هنا جاء عن السـلف، وجاء موقوفًا ومرفوعًـا أنَّه «**ما أحيا قوم بدعة إلَّا أماتوا مثلها من السُّـنَّة**»[1]. وهذا أمر طبيعي، وهو قانون: قانون كوني، وقانون اجتماعي، سَمِّه ما تُسَمِّيه، كما قال قائل: ما رأيتُ إسرافًا إلَّا وبجانبه حقٌّ مُضَيَّع. إذا رأيت إسـرافًا في جانبٍ لا بدَّ أن تجد تقتيرًا في جانب آخر، فالإنسـان إذا وضع طاقته في البدعة، فلا بدَّ أن تنحسر هذه الطاقة عند السُّنَّة؛ لأنَّ الإنسان محدود الجهد.

ولذلك تجد المُبْتَدِعة ما أسرعهم وما أنشطهم، ينشطون ويسارعون في البدع، وفي أمور السُّنَّة يضعُفون ويَفْتُرون.

أذكر وأنا طالب في القسم الثانوي من الأزهر بمعهد طنطا ـ وطنطا هذه فيها مقام (السيد أحمد البدوي) المعروف، أحد الأربعة الَّذين يعتقد العوامُّ في مصر أنَّهم أكبر أولياء الله، اقتسموا الدُّنْيا فيما بينهم يتحكَّمون

(١) سبق تخريجه صـ ٥٣.

QaradawiBooks.com

فيها، وفي مطالب أهلها ـ وهناك من مشـايخنا من يبقـى معظم النهار وبعض الليل بجوار مقام السيِّد البدوي!

ولقد ناقشـت بعض مشـايخي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان فقيهًا حنفيًّا، ولكنَّه من الجماعة الَّذين يُقَدِّسـون التصـوُّف والأولياء، وكان يُـدَرِّس لنا باب الأضحية في الفقه، وأنا كنتُ أحبُّ أن أربـط الفقه بالحياة، فقلت له: يا سيِّدنا الشـيخ، النَّاس أضاعوا هذه السُّـنَّة، وأصبح الَّذين يُضَحُّون قليلين جدًّا، وأعتقد أنَّ المشايخ عليهم تبعة في هذه الناحية، وبإمكانهم أن يُنَبِّهوا النَّاس إلى هذه السُّـنَّة. قال الشـيخ: إنَّ النَّـاس قد ضَعُفت إمكانيَّاتهم المادِّيَّة.

قلت: ولكنَّهم في مناسـباتٍ أخرى يذبحون، وهي ليست سُنَّة. قال: ماذا تعني؟

قلت: أعني أنَّهم يذبحون في مولد السـيِّد! حينما يأتي مولد السيِّد تُذْبَح عشرات بل مئات وآلاف الخراف، وفي عيد الأضحى قلَّما يوجد أحـد يُضَحِّي! فلو أنَّ المشـايخ وجَّهوهم إلى هذه السُّـنَّة، بدلًا من أن يذبحوا للسـيِّد، أن يذبحوا في عيد الأضحى فيُحْيوا سُنَّة، وحتى لو لم يَتَصَدَّقوا بشـيءٍ منها، فإنَّ مُجَرَّد إراقة الدم هو إحياء لشعيرة من شعائر الإسلام، ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢].

ما إن قلت هذا، حتَّى وجدتُ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هاج عليَّ، وأخرجني من الفصل، واعتبرني مُشَاغبًا، وكارهًا للأولياء والصالحين!

فهذا يُذَكِّرني بأنه ما أحيا قوم بدعة، وما شغلوا أنفسهم بها، إلَّا أماتوا مثلها من السُّنَّة، فهذا هو السرُّ في الإنكار على البدع.

QaradawiBooks.com

خامسًا: الابتداع في الدِّين يصرف عن الابتكار في شؤون الدنيا:

إنَّ النَّاس إذا بذلوا جهودهم وأنشطتهم في هذه الإضافات والزيادات، الَّتي أضافوها إلى الدِّين، فلن تبقى لهم طاقة للعمل للدُّنْيا، والابتكار في شؤونها.

البدعة كما قلنا: «طريقة في الدِّين مُخْتَرَعة». والاختراع يجب أن يكون في أمور الدُّنيا، ولكن ما دام الإنسان قد جعل كلَّ اختراعاته في الدِّين، فلن يخترع في الدُّنْيا.

ولذلك، المسلمون الأوائل ابتكروا في أمور الدُّنيا، وعملوا أشياء لم يسبقهم إليها أحد، وقامت في ظلِّ دينهم حضارة شامخة الذُّرَا، جمعت بين العلم واليقين، بين الدِّين والدنيا، وكانت العلوم الإسلاميَّة: الكونيَّة والرياضيَّة والطِّبِّيَّة والفلكيَّة والطبيعيَّة، هي العلوم الَّتي تُدَرَّس في العالم، ويُتَتَلْمَذُ فيها على المسلمين.

والمسلمون كان دافعهم في معظم هذه الأشياء دِينيًّا.

إنَّ علم الجبر أسسه الخوارزمي، وكان الدافع إلى اكتشافه ليَحُلَّ مسائل معيَّنة في الوصية والميراث. الميراث جزءٌ منه رياضي، والوصيَّة كذلك. ولهذا كتابه في الجبر جزآن: جزء في الوصايا والمواريث، وجزء في الجبر والمقابلة.

وعلَّق المُحَقِّقان على الجزء المُتَّصل بالجبر، أمَّا الجزء الفقهي المُتَّصل بالوصايا والمواريث، فقالوا: لم نفهمه ولم نستطع أن نعرف منه شيئًا[1].

(١) المختصر في حساب الجبر والمقابلة، ألَّفه لما يلزم الناس في مواريثهم ووصاياهم، ومقاسمتهم وتجارتهم، وما يتعاملون بينهم من مساحة الأرض، حققه علي مصطفى مشرفة ومحمد مرسي =

QaradawiBooks.com

كان العلم في الزمن الأوَّل مُتَّصلًا بالدِّيـــن، ولم يكن هناك انفصال بينهما، كان معظم العلماء والأطباء علماء دين، ابن رشـــد مُؤَلِّف كتاب «الكُلِّيَّات» في الطبِّ، كان قاضيًا، صاحب كتاب «بداية المجتهد ونهاية المُقْتَصِـــد» في الفقه، وهـــو أعـظـم ما كتب في الفقـــه المُقَارن بتركيزٍ وتلخيصٍ، وردِّ المسائل إلى أصولها.

لقد وقف المسلمون في العصور الأولى عند النصِّ وعند السُّنَن في أمور الدِّين، وابتكروا واخترعوا، وأنشـــؤوا وطوَّروا وحسَّـــنوا في أمور الحياة. ولمَّا بَعُدنا نحن عن الدِّين في عصـــور التخلُّف حدث العكس، اخترع المسلمون أشياءَ كثيرةً جدًّا في أمور الدِّين، وجَـمَـدوا فـي أمـور الدُّنيا، وقـالـوا: ما ترك الأوَّل للآخر شيئًا! وليس في الإمكان أبدع ممَّا كان! وضُرِبَت الحياةُ بالجمود والعُقْم، وأصبحت كالماء الراكد الآسِن.

فلذلك كان إنـــكار الابتداع في الدِّيـــن معناه توفيـــر طاقات النَّاس للابتكار وللتطوير في أمور الحياة.

سادسًا: الابتداع في الدِّين يُفَرِّق الأُمَّة ويُمَزِّق وَحْدَتها:

الوقوف عند الســـنن يجمع الأُمَّـــة على كلمةٍ واحـــدة، ويجعلها صفًّا متراصًّا وراء هذا الحقِّ الَّذي بيَّنه النبيُّ ﷺ؛ لأنَّ السُّنَّة واحدة، ولكن البدع لا تنتهي، الحقُّ واحدٌ ولكن الباطل ألوان، صراط الله واحدٌ ولكنَّ سُـــبُلَ الشيطان كثيرةٌ جدًّا، ولذلك جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنَّه قال: خطَّ

= أحمد، وطبع في القاهرة ١٩٣٧م، قال المحققان: وقد راعينا في نشـــر هـــذا المخطوط العناية ـ على وجه الخصوص ـ بما كان منه أساسيًّا في علم الجبر، فشرحنا هذا الجزء وعلقنا عليه، وحللنا مسائله معبرين في ذلك بعبارات الاصطلاح الحديث. أمَّا بعض المسائل التي لا ترتبط بصلب العلم (كمسائل العتق مثلًا في آخر الكتاب) فقد اكتفينا فيها بالنقل دون التعليق.

QaradawiBooks.com

لنا رسولُ الله ﷺ خطًّا ـ كان يعلمهم بوسائل الإيضاح، ووسائل الإيضاح بالنسبة لهم الرَّمْل ـ ثمَّ قال: «**هذه سُبُل، على كلِّ سبيلٍ منها شيطان يدعو إليه**». وقرأ: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ**﴾ [الأنعام: ١٥٣][(١)].

ولذلك لمَّا كانت الأُمَّة وراء السُّنَّة كانت كلمتُها واحدة، ولمَّا ظهرت الفرق انقسمت الأُمَّة إلى أكثر من سبعين فرقة، بل كلُّ فرقةٍ انقسمت إلى فرق، وكلُّ فرقة تعتقد أن ما هي عليه هو وحده الدِّين، وابتدعت من عند نفسها أشياء بدعًا، بعضها في العقائد، وصلت أحيانًا إلى الكفر: مثل الَّذين أنكروا علم الله، وقالوا: إنَّ الأمر أُنُف. يعني أنَّ الله لم يعلم هذا من قبل، وهم الَّذين برئ منهم ابن عمر وقال: لو جاء أحدهم بمثل جبل أُحُد من العمل لم يقبله الله تبارك وتعالى[(٢)]. ومنهم الَّذين قالوا في ذات الله وشبَّهوا الله بخلقه، وهم «المُشَبِّهة» و«المُجَسِّمة». ومنهم الَّذين أنكروا قدر الله ﷻ، وإن لم ينكروا علمه. ومنهم الَّذين كفَّروا المسلمين واستحلُّوا دماءهم، مثل: «الخوارج» رغم تَعَبُّدهم، ورغم ما جاء في الحديث: «**يَحْقِرُ أحدُكم صلاته إلى صلاتهم، وقيامَه إلى قيامهم، وقراءته إلى قراءتهم**»[(٣)].

وظهر بعد ذلك المُتَصَوِّفة، وجاؤوا بأقوال ما أنزل الله بها من سلطانٍ، مثل: الاحتكام إلى الذوق وإلى الوجدان الشخصي، لا إلى الشرع. فليس من الضروري أن يرجع الإنسان إلى حُكْم ربِّه، بل إلى حُكْم قلبه! يقول أحدهم مُعْتَزًّا: حدَّثني قلبي عن ربِّي! لأنَّه يأخذ من «فوق» مباشرةً! ولذلك

(١) رواه أحمد (٤١٤٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والنسائي في الكبرى في التفسير (١١١٧٤)، وابن حبان في المقدمة (٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والحاكم في التفسير (٢/٢٣٩)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٨).

(٣) سبق تخريجه صـ ٢٤.

QaradawiBooks.com

لمَّا قيل لأحدهم: تعالَ نقرأْ مصنَّف عبد الرزاق! قال: ماذا يفعل بعبد الرزَّاق من يأخذ عن الخلَّاق؟! يعني أنَّه يأخذ مباشرة من غير وسائط!

وقال بعضهم: تأخذون عِلْمَكم ميِّتًا عن مَيِّت، ونحن نأخذ عن الحيِّ الَّذي لا يموت[1]! مالك، عن نافع، عن ابن عمر! مات هؤلاء، هذه السلسلة الذهبيَّة ـ كما يُسَمُّونها ـ سلسلة صَدِئة عندهم، لا تنفع ولا تشفي.

ومن الأشياء الَّتي جاؤوا بها: الحقيقة والشريعة، فأهل الشريعة ينظرون إلى الظواهر، أمَّا أهل الحقيقة فهم يعرفون الأسرار والبواطن، ولذلك قالوا: من نظر إلى الخلق بعين الشريعة مقتهم، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم[2]. فالزاني والسِّكِّير وشارب الخمر والظالم والطاغية، والَّذي يُعَذِّب النَّاس ويقتلهم بالمئات والآلاف، ويهدم مُدُنًا على أهلها، هؤلاء إذا نظرت إليهم بعين الشريعة تمقتهم؛ لأنَّ الشريعة تمقت المنكر والظلم وأهله، ولكن إذا نظرت إليهم بعين الحقيقة تعذرهم؛ لأنَّهم وإن كانوا لا ينفذون أمر الله، فهم يُنَفِّذون إرادة الله؛ لأنَّ الله هو الَّذي أراد هذا. أقام العباد فيما أراد، تريد أن تُنَظِّم ملكه؟ دعِ المُلْكَ للمالك، واتركِ الخَلْق للخالق! وانتهى الأمر بسلبيَّة أمام الفساد وأمام الطغيان، وسلبيَّة في التربية، سلب شخصيَّة الإنسان، يقولون: المريد بين يدي الشيخ كالميِّت بين يدي الغاسل. من قال لشيخه: لِمَ؟ لا يفلح. من اعترض انطرد، ومن باح راح، وهكذا.

---

(١) انظر: الفتوحات المكية (٤٢٣/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت. والقائل أبو يزيد البسطامي.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١٥٨/٣)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

ثُمَّ كم طريقةٍ وطريقة!

الأُمَّة إذن لو تركناها للبدع لا يمكن أن تجتمع، أو يلتئم لها صفٌّ، إنَّما تجتمع لو وقفت خلف رسول الله ﷺ، واتَّبعت المُحْكَم من كتاب الله وسُنَّة رسوله. ولا مانع ـ بعد ذلك ـ أن تختلف في الفروع، فهذا الاختلاف لا يفسد الأخوة الإسلاميَّة، ولا يمنع الوحدة الإسلاميَّة، الصحابة اختلفوا في الفروع ولكنَّهم ظلُّوا إخوة، وظلُّوا مسلمين.

وهذا ما ناقشناه بتوسُّع، وأقمنا عليه الأدلَّة في الكثير من كتبنا، وخصوصًا في كتابنا: «الصحوة الإسلاميَّة بين الاختلاف المشروع والتفرُّق المذموم».

***

غير مرخصة للطبعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الفصل الرابع

لا يُحكم بالبدعة على أَمْر ما لم تكن صورته واضحة محدَّدة

عقد الإمام الشاطبي في كتابه «الاعتصام» بابًا في مأخذ أهل البدع في الاستدلال، وذكر نماذج من تكلُّفهم في الاستدلال، ومخالفتها لمأخذ من تقدَّمهم من المُحَقِّقين، ومنها: تحريف الأدلَّة عن مواضعها؛ بأن يَرِدَ الدليلُ على مَنَاط، فيصرف عن ذلك المناط إلى أمرٍ آخر مُوهِمًا أنَّ المَنَاطَيْن واحد، وختم هذا الباب بفصلٍ جمع فيه جملةً من الاستدلالات وقال:

سئل بعض العلماء من بعض النَّاس سؤالًا دينيًّا، وخلاصة نصِّ السؤال: ما يقول الشيخ فلان في جماعة من المسلمين، يجتمعون في رباطٍ على ضفة البحر في الليالي الفاضلة، يقرؤون جزءًا من القرآن، ويستمعون من كتب الوعظ والرقائق ما أمكن في الوقت، ويذكرون الله بأنواع التهليل والتسبيح والتقديس، ثمَّ يقوم من بينهم قوَّالٌ يذكر شيئًا في مدح النبيِّ ﷺ، ويُلْقِي من السماع ما تتوق النفس إليه، وتشتاق سماعه من صفات الصالحين، وذِكْرِ آلاء الله ونعمائه، ويشوقهم بذكر المنازل الحجازيَّة والمعاهد النبويَّة، فيتواجدون اشتياقًا لذلك، ثمَّ يأكلون ما حضر من الطعام، ويحمدون الله سبحانه، ويُرَدِّدون الصلاة على النبيِّ ﷺ، ويبتهلون بالأدعية إلى الله في صلاح أمورهم، ويدعون للمسلمين ولإمامهم، ويفترقون.

QaradawiBooks.com

فهل يجوز اجتماعهم على ما ذُكِـرَ؟ أم يُمْنَعون ويُنْكَر عليهم؟ ومن دعاهـم مـن المُحِبِّين إلى منزلـه بقصد التبـرُّك؛ هل يُجيبـون دعوته ويجتمعون على الوجه المذكور أم لا؟

إجابة بعض العلماء على هذا السؤال حسَب الظاهر:

فأجاب بما محصوله: مجالـس تلاوة القرآن وذكـر الله هي رياض الجنَّة. ثمَّ أتى بالشواهد على طلب ذكر الله.

وأمَّا الإنشادات الشعرية؛ فإنَّما الشعر كلام؛ حسنُه حسن، وقبيحه قبيح. وفـي القـرآن في شـعراء الإسـلام: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الشـعراء: ٢٢٧]، وذلك أنَّ حسَّان بن ثابت، وعبد الله بن رواحـة، وكعبًا [ابن مالـك] لما سـمعوا قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشـعراء: ٢٢٤]؛ بَكَوْا عند سـماعها، فنزل الاسـتثناء[1]، [يعني قوله تعالـى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾] وقد أُنْشِدَ الشـعرُ بين يدي رسول الله ﷺ، ورقَّت نفسه الكريمة، وذرفت عيناه لأبيات أخت النَّضْر[2]، لِمَا طُبِعَ عليه من الرأفة والرحمة.

وأمَّا التواجد عند السـماع؛ فهـو في الأصل رقَّة النفـس، واضطراب القلب، فيتأثَّر الظاهر بتأثُّر الباطن؛ قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفـال: ٢]؛ أي: اضطربـت رغبًا أو رهبًا، وعـن اضطراب القلب

(١) رواه الطبري في تفسيره (٤٢٠/١٩)، عن أبي الحسن سالم البراد مولى تميم الداري، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

(٢) انظر: السـيرة النبويَّة لابن هشـام (٤٢/٢)، تحقيق مصطفى السـقا وآخرين، نشر مصطفى الحلبي، ط٢، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

QaradawiBooks.com

يحصل اضطراب الجسم؛ قال الله تعالى: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٨] الآية، وقال: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠].

فإنَّما التواجد رقَّة نفسيَّة، وهزَّة قلبيَّة، ونهضة رُوحانيَّة، وهذا هو التواجد عن وَجْدٍ، ولا يُسْمَع فيه نكيرٌ من الشَّرْع، وذكر السُّلَمِي أنَّه كان يستدل بهذه الآية على حركة الوجد في وقت السماع، (وهي): ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤] الآية، وكان يقول: إنَّ القلوب مربوطة بالملكوت، حرَّكتها أنوارُ الأذكار وما يَرِدُ عليها من فنون السماع.

ووراءَ هذا تواجدٌ لا عن وَجْدٍ، فهو مَناطُ الذمِّ، لمخالفة ما ظهر لما بَطَن. وقد يَعْزُب فيه الأمر عند القصد إلى استنهاض العزائم، وإعمال الحركة في يقظة القلب النائم: «**يا أيُّها النَّاس، ابْكُوا، فإن لم تَبْكوا؛ فتباكَوْا**»[1]. ولكن شتَّان ما بينهما.

وأمَّا من دعا طائفة إلى منزله، فتُجَاب دعوته، وله في ذلك قَصْدُه ونِيَّتُه.

فهذا ما ظهر تقييده على مقتضى الظاهر، والله يتولَّى السرائر، وإنَّما الأعمال بالنيَّات. انتهى ما قيَّده.

تعقيب الإمام الشاطبي على هذا الجواب:

فكان ممَّا ظهر لي في هذا الجواب: أنَّ ما ذكره في مجالس الذكر الصحيح إذا كان على حسَب ما اجتمع عليه السَّلف الصالح؛ فإنَّهم كانوا يجتمعون لتدارُس القرآن فيما بينهم، حتَّى يتعلَّم بعضُهم من بعض،

(١) رواه أبو يعلى (٤١٣٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٦٠٤): أضعف من فيه يزيد الرقاشي، وقد وثق على ضعفه. وضعَّفه الألباني في الضعيفة (٦٨٨٩)، عن أنس بن مالك.

QaradawiBooks.com

ويأخذ بعضهم من بعض، فهو مجلس من مجالس الذِّكْر الَّتي جاء في مثلها من حديث أبي هُرَيْرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ: «**ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم؛ إلَّا نزلت عليهم السكينةُ، وغشيتهم الرحمةُ، وحفَّت بهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[(١)]. وهو الَّذي فهمه الصحابة رضي الله تعالى عنهم من الاجتماع على تلاوة كلام الله.

وكذلك الاجتماع على الذِّكْر؛ فإنَّه اجتماعٌ على ذِكْر الله، ففي رواية أخرى: أنَّه قال: «**لا يقعد قومٌ يذكرون الله، إلَّا حفَّتهم الملائكةُ**»[(٢)] الحديث المذكور. لا الاجتماع للذِّكْرِ على صوتٍ واحد.

وإذا اجتمع القوم على التذكُّر لنعم الله، أو التذاكر في العلم، إن كانوا علماء، أو كان فيهم عالم، فجلس إليه مُتَعَلِّمون، أو اجتمعوا يُذَكِّر بعضُهم بعضًا بالعمل بطاعة الله والبُعد عن معصيته، وما أشبه ذلك ممَّا كان يعمل به رسول الله ﷺ، في أصحابه، وعمل به الصحابة والتابعون؛ فهذه المجالس كلُّها مجالس ذكر، وهي الَّتي جاء فيها من الأجر ما جاء.

كما يُحْكَى عن ابن أبي ليلى أنَّه سُئل عن القصص فقال: أدركت أصحاب مُحَمَّد ﷺ يجلسون ويُحَدِّث هذا بما سمع، وهذا بما سمع، فأمَّا أن يُجْلِسوا خطيبًا؛ فلا[(٣)].

وكالَّذي نراه معمولًا به في المساجد من اجتماع الطلبة على مُعَلِّم يقرئهم القرآن، أو عِلْمًا من العلوم الشرعيَّة، أو تجتمع إليه العامَّة، فيُعَلِّمهم أمرَ دِينِهم، ويُذَكِّرهم بالله، ويُبَيِّن لهم سُنَّة نَبِيِّهم ليعملوا بها،

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٩).
(٢) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٠)، عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري.
(٣) رواه ابن وضاح في البدع والنهي عنها (٣٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ويُبَيِّن لهم المُحْدَثَات الَّتي هي ضلالة ليَحْذَروا منها، ويتجنَّبوا مواطنها والعمل بها.

فهذه مجالس الذِّكْر على الحقيقة، وهي الَّتي حَرَمها اللهُ أهلَ البِدَع من هؤلاء الفقراء الَّذين زعموا أنَّهم سلكوا طريق التصوُّف.

فقلَّما تجد منهم من يحسن قراءة الفاتحة في الصلاة إلَّا على اللحن؛ فضلًا عن غيرها، ولا يعرف كيف يتعبَّد، ولا كيف يستنجي، أو يتوضَّأ، أو يغتسل من الجنابة، وكيف يعلمون ذلك، وهم قد حُرِمُوا مجالس الذكر الَّتي تغشاها الرحمة، وتَنْزِل فيها السكينة، وتَحُفُّ بها الملائكة؟!

فبانطماس هذا النور عنهم ضلُّوا، فاقتدوا بجُهَّالٍ أمثالهم، وأخذوا يقرؤون الأحاديث النبويَّة والآيات القرآنيَّة، فيُنْزلونها على آرائهم لا على ما قال أهل العلم فيها، فخرجوا عن الصراط المستقيم، إلى أن يجتمعوا ويقرأ أحدهم شيئًا من القرآن يكون حسن الصوت، طيِّب النغمة، جيِّد التلحين، تشبه قراءته الغناء المذموم، ثمَّ يقولون: تعالوا نذكر الله، فيرفعون أصواتهم؛ يُمَشُّون ذلك الذكر مداولة، طائفة في جهة، وطائفة في جهة أخرى، على صوتٍ واحدٍ يشبه الغناء، ويزعمون أنَّ هذا من مجالس الذِّكْر المندوب إليها.

وكذَبوا؛ فإنَّه لو كان حقًّا؛ لكان السَّلف الصالح أولى بإدراكه وفهمه والعمل به، وإلَّا؛ فأين في الكتاب أو في السُّنَّة الاجتماع للذِّكْر على صوتٍ واحدٍ عاليًا، وقد قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]؟! والمُعْتَدُون ـ في التفسير ـ هم الرافعون أصواتهم بالدعاء.

QaradawiBooks.com

وعن أبي موسى قال: كُنَّا مع رسولِ الله ﷺ في سفر، فجعل النَّاس يجهرون بالتكبير، فقال النبيُّ ﷺ: «**ارْبَعُوا على أنفُسِكم؛ إنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا؛ إنَّكم تدعون سميعًا قريبًا، وهو معكم**»[1]. وهذا الحديث من تمام تفسير الآية، ولم يكونوا رضي الله عنهم يُكَبِّرون على صوتٍ واحد، ولكنَّه نهاهم عن رفع الصوت؛ ليكونوا مُمْتَثِلين للآية.

وقد جاء عن السَّلف أيضًا: النهي عن الاجتماع على الذِّكْر، والدعاء بالهيئة الَّتي يجتمع عليها هؤلاء المُبْتَدِعون، وجاء عنهم النهي عن المساجد المتَّخَذة لذلك، وهي الربط الَّتي يُسَمُّونها بالصفة. ذكر من ذلك ابن وهب وابن وضَّاح وغيرهما ما فيه كفاية لمن وفَّقه الله.

فالحاصل من هؤلاء أنَّهم حسَّنوا الظنَّ بأنَّهم فيما هم عليه (مُصِيبُون)، وأساؤوا الظنَّ بالسلف الصالح، أهل العمل الراجح الصريح، وأهل الدِّين الصحيح، ثمَّ لما طالبهم لسانُ الحال بالحُجَّة؛ أخذوا كلام المُجِيب، وهم لا يعملون، وقوَّلوه ما لا يرضى به العلماء.

وقد بيَّن ذلك في كلامٍ آخر؛ إذ سئل عن ذكر فقراء [يعني الصوفية] زماننا؟

فأجاب بأنَّ مجالس الذِّكْر المذكورة بين الأحاديث: أنَّها هي الَّتي يُتلى فيها القرآن، والَّتي يُتَعَلَّم فيها العلم والدِّين، والَّتي تَعْمُر بالوعظ والتذكير بالآخرة والجنَّة والنَّار؛ كمجالس سفيان الثوري، والحسن، وابن سِيرِين، وأضرابهم.

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢٠٥)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٤).

QaradawiBooks.com

أمَّا مجالس الذِّكْر اللساني، فقد صرَّح بها في حديث الملائكة السيَّاحين[١]، لكن لم يذكر فيه جهرًا بالكلمات، ولا رفع أصوات، وكذلك غيره، لكن الأصل المشروع إعلان الفرائض وإخفاء النوافل، وأتى بالآية وبقوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣]. وبحديث «**ارْبَعوا على أَنْفُسِكم**».

قال: وفقراء الوقت قد تخيَّروا أوقاتًا، وتميَّزوا بأصواتٍ هي إلى الاعتداء أقرب منها إلى الاقتداء، وطريقتهم إلى اتِّخاذها مَأْكَلة وصناعة أقربُ منها إلى اعتدادها قُرْبةً وطاعة. انتهى معناه على اختصارِ أكثرِ الشواهد.

وهي دليل على أن فتواه المُحْتَجَّ بها ليس معناها ما رام هؤلاء المُبْتَدِعة؛ فإنَّه سئل في هذه عن فقراء الوقت، فأجاب بذمِّهم، وأنَّ حديث النبيِّ ﷺ، لا يتناول عملهم، وفي الأولى إنَّما سئل عن قومٍ يجتمعون لقراءة القرآن أو لذكر الله، وهذا السؤال يصدق على قومٍ يجتمعون مثلًا في المسجد، فيذكرون الله، كلُّ واحدٍ منهم في نفسه، أو يتلو القرآن لنفسه، كما يصدق على مجالس المُعَلِّمين والمُتَعَلِّمين، وما أشبه ذلك ممَّا تقدَّم التنبيه عليه، فلا يسعه وغيره من العلماء إلَّا أن يذكر محاسن ذلك والثواب عليه.

فلمَّا سئل عن أهل البدع في الذِّكْر والتلاوة؛ بين ما ينبغي أن يعتمد عليه المُوَفَّق، ولا توفيق إلَّا بالله (العليِّ العظيم).

---

(١) إشارة إلى حديث: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم». متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٤٠٨)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٨٩).

QaradawiBooks.com

حكم الإنشادات الشعريَّة وسماعها:

وأمَّا ما ذكره في الإنشادات الشِّعْريَّة؛ فجائزٌ للإنسان أن يُنْشِدَ الشِّعْر الَّذي لا رفث فيه، ولا يُذَكِّر بمعصية، وأن يسمعه من غيره إذا أنشد، على الحدِّ الَّذي كان ينشد بين يدي رسول الله ﷺ، أو عمل به الصحابة والتابعون ومن يقتدى به من العلماء، وذلك أنَّه كان ينشد ويسمع لفوائد:

منها: المُنَافحة عن رسول الله ﷺ، وعن الإسلام وأهله، ولذلك كان حسَّان بن ثابتٍ رضي الله عنه قد نُصِبَ له منبر في المسجد، يُنْشِد عليه إذا وفدت الوفود، حتَّى يقولوا: خطيبُه أخطب من خطيبِنا، وشاعرُه أشعرُ من شاعرنا[(١)]. ويقول له عليه السلام: «**اهجُهم وجبريلُ معك**»[(٢)]. وهذا من باب الجهاد في سبيل الله، فليس للفقراء من فَضْلِه في غنائهم بالشعر قليلٌ ولا كَثِير.

ومنها: أنَّهم كانوا يتعرَّضون لحاجاتهم، ويستشفعون بتقديم الأبيات بين يدي طلباتهم؛ كما فعل ابن زُهَيْر رضي الله عنه[(٣)]، وأخت النَّضْر بن الحارث[(٤)]؛ ومثل ما يفعل الشعراء مع الكبراء؛ هذا لا حرج فيه ما لم يكُنْ في الشِّعْر ذِكْرُ ما لا يجوز، ونظيره في سائر

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٩٤/١)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢١٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٨٦)، عن البراء بن عازب.

(٣) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (٥٧٩/٣)، والبيهقي في الشهادات (٢٤٣/١٠)، وقد جمع طرقها وتكلم عليها الشيخ إسماعيل الأنصاري رحمه الله في رسالة له مفردة.

(٤) سبق تخريجه صـ٩١.

QaradawiBooks.com

الأزمنة تقديم الشعراء للخلفاء والملوك ومن أشبههم قطعًا من أشعارهم بين يدي حاجاتهم؛ كما يفعله فقراء الوقت المُجَرَّدون للسعاية على النَّاس، مع القدرة على الاكتساب، وفي الحديث: «**لا تحلُّ الصدقة لغنيٍّ، ولا لذي مِرَّة سَوِيٍّ**»[١]. فإنَّهم ينشدون الأشعار الَّتي فيها ذِكْرُ الله وذِكْرُ رسوله، وكثيرًا ما يكون فيها ما لا يجوز شرعًا، ويَتَمَنْدَلُون[٢] بذكر الله ورسوله في الأسواق والمواضع القَذِرة، ويجعلون ذلك آلةً لِأَخْذ[٣] ما في أيدي النَّاس، لكن بأصوات مُطْرِبة، يُخاف بسببها على النساء ومن لا عقل له من الرجال.

ومنها: أنَّهم ربَّما أنشدوا الشعر في الأسفار الجهاديَّة؛ تنشيطًا لكَلَال النفوس، وتنبيهًا للرواحل أن تنهض في أثقالها، وهذا حَسَنٌ.

لكنَّ العربَ لم يكن لها من تحسين النغمات ما يجري مَجْرى ما النَّاس عليه اليوم، بل كانوا يُنْشِدون الشِّعْرَ مُطْلَقًا من غير أن يتعلَّموا هذه الترجيعات الَّتي حدثت بعدهم، بل كانوا يُرَقِّقون الصوت ويُمَطِّطونه على وجهٍ يليق[٤] بأُمِّيَّة العرب الَّذين لم يعرفوا صنائع الموسيقى، فلم يكن فيه إلذاذٌ ولا إطراب يلهي، وإنَّما كان لهم شيء من النشاط؛ كما كان أَنْجَشة[٥]

---

(١) رواه أحمد (٦٥٣٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. وأبو داود (١٦٣٤)، والترمذي (٦٥٢)، وقال: حسن. كلاهما في الزكاة، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٤٤٤)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) أي: يتظاهرون.

(٣) بالمطبوع: الأخذ، والمثبت أليق بالسياق.

(٤) بالمطبوع: يليق والمثبت أليق بالسياق.

(٥) إشارة إلى الحديث المتَّفق عليه: عن أنس قال: أتى النبي ﷺ على بعض نسائه ومعهن أم سليم، فقال: «ويحك يا أنجشة، رويدك سوقًا بالقوارير». رواه البخاري في الأدب (٦١٤٩)، ومسلم في الفضائل (٢٣٢٣).

QaradawiBooks.com

وعبد الله بن رَوَاحَة[١] يَحْدُوَان بين يدي رسول الله ﷺ، وكما كان الأنصار يقولون عند حفر الخندق:

نحــن الَّذين بايعــوا مُحَمَّدَا على الجهــادِ ما بَقِينَــا أَبَدَا

فيُجيبهم ﷺ (بقوله):

«اللهمَّ لا خيرَ إلَّا خيرُ الآخرةْ فاغفرْ للأنصارِ والمُهَاجِرَةْ»[٢]

ومنهــا: أنْ يتمثَّل الرجل بالبيت أو الأبيات من الحكمة في نفســه، ليعظ نَـفْـسَـــه أو يُنَشِّــطها أو يُحَرِّكها لمقتضى معنى الشعر، أو يُذَكِّرها ذكرًا مطلقًا، كما حكى أبـو الحسـن القَرَافي الصـوفـي عـن الحسن: أنَّ قومًا أتوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقالوا: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ لنا إمامًا إذا فرغ من صلاته تَغَنَّى! فقال عمر: من هــو؟ فذُكِرَ له الرجل. فقال: قوموا بنا إليه؛ فإنَّا إن وَجَّهنا إليه يظُنُّ أنَّا تجسَّسنا عليه أمره.

قال: فقام عمر مع جماعة من أصحــاب النبيِّ ﷺ، حتَّى أتوا الرجل وهو في المســجد، فلمَّا أنْ نظر إلى عمر قام فاســتقبله فقــال: يا أميرَ المؤمنين، ما حاجتُــك؟ وما جاء بك؟ إن كانت الحاجــة لنا؛ كُنَّا أحقَّ بذلك منك أن نأتيَك، وإن كانــت الحاجة لك؛ فأحقُّ من عظَّمناه خليفةُ رسولِ الله ﷺ. قال له عمر: وَيْحَكَ، بلغني عنك أمر ساءني! قال: وما هو يا أميرَ المؤمنين؟

---

(١) إشارة إلى حديث أنس، أنَّ النبي ﷺ دخل مكـة في عـمـرة القـضـاء وعـبـد الله بن رواحة بين يديه يمشــي ... رواه الترمذي في الأدب (٢٨٤٧)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الحج (٢٨٧٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح مختصر الشمائل (٢١٠).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٢٨٣٥)، ومســلم (١٨٠٥)، كلاهما في الجهاد والسـير، عن أنس بن مالك.

QaradawiBooks.com

قال: أتتمجَّنُ فـي عبادتِكَ؟ قال: لا، يا أميـرَ المؤمنين، لكنَّها عظةٌ أعظُ بها نفسي.

قال عمـر: قُلْها، فإن كان كلامًا حسـنًا قُلْتُه معـك، وإن كان قبيحًا نهيتُكَ عنه. فقال:

وفُـــؤَاد كُـلَّـمـا عَـاتَـبْـتُـه ... في مَدَى الهُجْرَانِ يَبْغِي تَعَبِي
لَا أَرَاهُ الدَّهْـرَ إِلَّا لَاهِيًـا ... فِـي تَمَادِيـهِ فَقَدْ بَـرَّحَ بِي
يَا قَرِينَ السُّـوءِ مَا هَذَا الصبا ... فَنِـيَ العُمْرُ كَذَا فِـي اللَّعِبِ
وشَـبَاب بَانَ عَنِّـي فَمَضَى ... قَبْـلَ أَنْ أَقْضِـيَ مِنْـهُ أَرَبِي
مَا أُرَجِّـي بَعْـدَهُ إِلَّا الفَنَـا ... ضَيَّقَ الشَّـيْبُ عَلَـيَّ مَطْلَبِي
وَيْحَ نَفْسِـي لَا أَرَاهَـا أَبَدًا ... فِـي جَمِيـلٍ لَا وَلَا فِي أَدَبِ
نَفْس لَا كُنْتِ وَلَا كَانَ الْهَوَى ... رَاقِبِي الْمَوْلَى وَخَافِي وَارْهَبِي

قال: فقال عمر رضي الله عنه:

نَفْس لا كُنْتِ ولَا كَانَ الهَوَى ... رَاقِبِي الْمَوْلَى وَخَافِي وَارْهَبِي

ثم قال عمر: على هذا فلْيُغَنِّ من غَنَّى[(١)].

فتأمَّلوا قوله: «بلغني أمرٌ سـاءني»، مع قوله: «أتتمجَّنُ في عبادتِكَ». فهو من أشـدِّ ما يكون في الإنكار، حتَّى أعلمه أنَّه يُرَدِّد لسـانه أبيات حكمةٍ فيها عظةٌ، فحينئذٍ أقرَّه وسلَّم له.

هذا وما أشـبهه كان فعل القوم، وهم مع ذلك؛ لم يقتصروا في التنشيط للنفوس ولا الوعظ على مُجَرَّد الشِّـعر، بل وعظوا أنفسهم

(١) رواه ابن عسـاكر في تاريخ دمشـق (٤٤/٣١٢)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

بِكُلِّ موعظة، ولا كانوا يستحضرون لذكر الأشعار المُغَنِّين، إذ لم يكن ذلك من طلباتهم، ولا كان عندهم من الغناء المُسْتَعْمَل في أزماننا شيء، وإنَّما دخل في الإسلام بعدهم حين خالط العجم المسلمين.

وقد بيَّن ذلك أبو الحسن القرافي فقال: إنَّ الماضين من الصدر الأوَّل حُجَّة على مَنْ بعدهم، ولم يكونوا يُلَحِّنون الأشعار، ولا يُنَغِّمونها بأحسن ما يكون من النَّغَم، إلَّا من وجه إرسال الشعر واتِّصال القوافي، فإن كان صوتُ أحدهم أشجنَ من صاحبه، كان ذلك مردودًا إلى أصل الخِلْقة، لا يَتَصَنَّعون ولا يَتَكَلَّفون اهـ.

هذا ما قال، فلذلك نصَّ العلماء على كراهية ذلك المُحْدَث، وحتَّى سئل مالك بن أنسٍ رضي الله عنه عن الغناء الَّذي يستعمله أهل المدينة؟ فقال: إنَّما يفعله الفُسَّاق[1].

ولم يكن المُتَقَدِّمون أيضًا يَعُدُّون الغناء جزءًا من أجزاء طريقة التعبُّد وطلب رقَّة النفوس وخشوع القلوب، حتَّى يقصدوه قصدًا، ويتعمَّدوا لياليَ الفاضلة، فيجتمعوا لأجل الذِّكْر الجهري، والشَّطْح، والرَّقْص، والتَّغَاشي، والصِّيَاح، وضرب الأقدام، على وزن إيقاع الكفِّ أو الآلات وموافقة النغمات.

هل في كلام النبيِّ ﷺ وعمله المنقول في الصحاح أو عمل السَّلف الصالح أو أحد من العلماء في ذلك أثر؟ أو في كلام المُجيب ما يُصَرِّح بجواز مثل هذا؟!

(١) رواه الخلال في الأمر بالمعروف صـ ٦٥، تحقيق يحيى مراد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

QaradawiBooks.com

بل سئل عن **إنشـــاد الأشـــعار بالصوامع** [يعني: المآذن]، كما يفعله المؤذنون اليوم في الدعاء بالأسحار؟ فأجاب بأنَّ ذلك بِدْعة مضافة إلى بدعةٍ؛ لأنَّ الدعـــاء بالصوامع بدعة، وإنشـــاد (الشـــعر) والقصائد بِدْعَة أخرى؛ إذ لم يكن ذلك في زمن السَّلف المُقْتَدى بهم.

كما أنَّه سُئِل عن **الذِّكْر الجهري أمام الجِنَازة**؟ فأجاب بأنَّ السُّنَّة في اتِّباع الجنائز الصمتُ والتفكُّر والاعتبار، وأنَّ ذلك فعل السلف، واتِّباعهم سُـــنَّة، ومخالفتهم بدعة، وقد قال مالك: لن يأتي آخر هذه الأُمَّة بأهدى ممَّا كان عليه أوَّلها»[1].

ويعرض الإمام الشـــاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ بأنـــاة وتفصيل لبقيـــة الأجوبة على الأسئلة، ينبغي أن تراجع في موضعها، من كتابه: «الاعتصام».

* * *

(١) انظر: الاعتصام للشاطبي (١/٢٦٧ ـ ٢٧٤).

QaradawiBooks.com

الفصل الخامس

خطرُ الابتداع في الأديان ومضارُّه

من قرأ تاريخ الأديان في العالم، وجدها تعرَّضت للتحريف، بالزيادة في الدِّين، أو النقص منه، وهي تتفاوت في حجمه ونوعه، أهو قليل أم كثير، سطحي أم عميق، في الأصول أم الفروع؟

الابتداع حرَّف الأديان عن حقيقتها:

فمن التحريفات والابتداعات ما غيَّر الدِّين بالكُلِّيَّة: في عقائده وشعائره ومفاهيمه وقِيَمه وسلوكيَّاته، كما حدث في النَّصرانيَّة، فقد انتقلت من نصرانيَّة المسيح عيسى ابن مريم إلى نصرانيَّة «سانت بولس»، ثمَّ بعد ذلك انتقلت عن طريق «المجامع المُقَدَّسة» إلى نصرانيَّة «روما» ومَلِكِها قُسْطَنْطِين، الَّذي طعَّم النَّصرانيَّة بالعقائد الرومانيَّة الوثنيَّة، وهو ما عبَّر عنه أحد العلماء المسلمين بأن «روما لم تتنصَّر، لكنَّ النَّصرانيَّة تروَّمت»[1]!

وأسباب هذا في النَّصرانيَّة معروفة، وهي سلطة المجامع المسكونيَّة المُقَدَّسة في الإضافة إلى العقائد، أو الحذف منها، أو تعديلها.

وكذلك «سلطة البابا»، الَّذي يعتبره النصارى معصومًا، فمن حقِّه أن يصدر من التعاليم ما يُحَلِّل أو يُحَرِّم، أو يوجب على أهل ديانته ما يريد،

(١) تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار (١٦٨/١)، نشر دار المصطفى، القاهرة.

QaradawiBooks.com

في ضوء فهمه وقراءته للعهد القديم، والعهد الجديد، أو يُخَفِّف عنهم ما يريد بالحذف أو التعديل.

ومن هنا رأينا النصارى قد اخترعوا في دينهم من قديم نظام «الرَّهبانيَّة»، وهو نظامٌ قاسٍ على الفطرة الإنسانيَّة، وقد مارس رهبان أوربا في العصور الوسطى من الشدائد والتعذيبات للجسم الإنساني، ما لا يكاد يُصَدَّق، من الجوع والعطش، والحرمان من النظافة، ومن النوم، ومن الوقوف على رِجْل واحدة، والوقوف في حرارة الشمس، ونحو ذلك من المشقَّات الزائدة، والمبالَغ فيها، والَّتي حرَّم الإسلام أمثالها، وقال القرآن: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۞ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء: ٢٨]، وقال رسول الإسلام: «**إنَّ لجسَدِكَ عليك حقًّا**»[(١)].

وقال القرآن الكريم عن النَّصارى: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

ولهذا لم يشرع الإسلام الرَّهبانيَّة، ورَغَّب في الزواج، ونهى عن التبتُّل، قال رسول الله ﷺ: «**الدُّنْيا متاعٌ، وخيرُ متاع الدُّنْيا المرأة الصالحة**»[(٢)]، إلى آخره.

حكمة تشديد الإسلام في منع البدع:

ولقد كان الإسلام حكيمًا غاية الحكمة، حين احتاط لهذا الأمر، وحرَّم أشدَّ التحريم على البشر أن يُشَرِّعوا في الدِّين ما لم يأذن به الله،

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصوم، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٧)، وأحمد (٦٥٦٧)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

وأن يبتدعوا صورًا للتقرُّب إلى الله لم يجئ بهـا وحيه المعصوم، حتَّى أعلن في صراحة قاطعة أنَّ «**كُلَّ بدعةٍ ضلالة**»[١].

والَّذي يقرأ تاريخ الأديان يرى الحكمة في هذا التشديد ماثلة للعيان، واضحة وضوح الصُّبح لذي عَيْنَيْن.

كيف أفسد الابتداع الأديان كلَّها؟

إنَّ الابتداع في الدِّين هو الكوَّة الَّتي تسـلَّل منها الشـيطان إلى عامَّة المتدينيـن من أتباع الملل، فأفسـد عليهم دينهـم وحياتهم، وخـرَّب عليهم عقائدهـم وعباداتهم، ولم يدع في حياتهـم الدِّينيَّة دعامة إلَّا أتى عليها من القواعد، وفتح عليهم أبوابًا من الفساد، لم يستطيعوا بعد إغلاقها.

وعن طريق الابتداع: زحف الشرك، ودخلت الوثنيَّة على الأمم، حتَّى الكتابيَّة منها، فأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، وعـبـدوا مـن دون الله مـا لا يضرُّهـم ولا ينفعهم، قائلين: هؤلاء شفعاؤنا عند الله!

وعن طريق الابتداع: جاء الغلـوُّ في الدِّين، والتنطُّع فيه، وإدخال الحرج والعنت والآصار والأغلال على أتباعه، واخترع النَّاس ألوانًا من الشـعائر والتعبُّدات، كلُّهـا عنتٌ وإرهـاق، وتكليف ما لا يكاد يُطاق.

وعن طريق الابتـداع: حرَّم الغلاة ما أحلَّ الله مـن الزينة والطيبات، وأهملوا الدُّنْيا باسـم الدِّين، وخَرَّبوا العمران بدعـوى الإيمان، وعذَّبوا الأجساد بزعم تصفية الأرواح!

(١) سبق تخريجه صـ١٠.

QaradawiBooks.com

وعن طريق الابتداع: حدثت التحريفات الهائلة، والانحرافات الشنيعة في كثير من الأديان، وقع فيها رجال ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

ويكفي أن نتأمَّل ما ابتدعه النصارى من نظام «الرَّهبانيَّة»، وما فيه من غُلُوٍّ وعتوٍّ وقسوة على الطبيعة، وشرودٍ عن الفطرة، لنعلم كيف ينحرف العقل البشري إذا مشى وحده، ولم يعتصم بحبل الله، ولم يستضئ بنوره وهداه، وكيف يجور ويتعسَّف، ويرتكب أكبر الحماقات والجهالات، مع أنَّ قصدَه ونيَّته ـ فيما يحسب ـ التقرُّب إلى الله تعالى؟!

وكذلك نرى مشركي العرب، كيف اتَّخذوا الأوثان، وعبدوا الأحجار والأصنام، لتُقَرِّبهم إلى الله زلفى، فأساس الشِّرْك في الحقيقة هو الابتداع.

وكيف سوَّلت لهم شياطينهم تحريمَ ما أحلَّ الله من طيِّبات الحرث والأنعام؟ بل كيف زيَّنوا لهم ذبح أولادهم وفِلَذات أكبادهم، تقرُّبًا إلى الآلهة ـ فيما زعموا ـ ليُرْدُوهم وليَلْبِسوا عليهم دينهم!

وكيف طوَّعت لهم أنفسهم أن يطوفوا بالبيت عُرَاة، كما ولدتهم أمَّهاتُهم، رجالًا ونساءً، لا يستحيون ولا يتحرَّجون، وكيف هم بعملهم هذا ـ في زعمهم ـ إلى الله يتقرَّبون؟!

تقرأ في سورة الأنعام نماذج من هذه المُبْتَدَعات والتحريمات، في قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝ وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ

QaradawiBooks.com

سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۞ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۞ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾

[الأنعام: ١٣٧ ـ ١٤٠].

مجال الابتداع هو الدُّنْيا وشؤونها:

إنَّ الَّذي جاء به الإسلام من عند الله، وعلَّمه للنَّاس جميعًا، أحمرهم وأسودهم: أنَّ مجال الابتداع والابتكار ليس هو الدِّين، فالدِّينُ توقيفٌ من الله يجب أن يبقى مصونًا منزَّهًا عن عبث العابثين، وتحريف الغالين، وانتحال المُبْطِلين، وتأويل الجاهلين.

أمَّا مجال الابتداع الحقيقي المشروع، فهو «الدنيا وشؤونها»، وما أوسعها، وما أكثر ما تحتاج إليه من طاقات الافتنان والابتكار، ولهذا حين انتكس المسلمون، وساءت حالهم، وفسد أمرهم، وانحلَّ مجتمعُهم، أصبح الأمر الطبيعي عندهم معكوسًا، والوضع مقلوبًا، فوقفوا في شؤون الدُّنْيا جامدين كالحجارة أو أشدَّ جمودًا، لا يبتكرون، ولا يخترعون، ولا يكتشفون، ولا يجتهدون، شعارهم: ما ترك الأوَّل للآخر شيئًا، وليس بالإمكان أبدع ممَّا كان! وقف الاختراع في العلم، والتفنُّن في الأدب، والابتكار في الصناعة، والاجتهاد في الفقه.

وأمَّا في «الدين» الَّذي أكمله الله، وأتمَّ عليهم النعمة به، فاخترعوا وابتدعوا من صور التعبُّد والتقرُّب إلى الله ما لم يأذن به الله، ولم ينزل به سلطانًا.

QaradawiBooks.com

الاتِّباع في الدِّين والابتداع في الدنيا:

ومن هنا نعلم بجلاء: أنَّ الأصل في أمور الدِّين هو الاتِّباع، وفي شؤون الدُّنْيا هو الابتداع. فالدِّين قد أكمله الله تعالى، فلا يقبل الزيادة، كما لا يقبل النقصان: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

أصلان في التعبُّد لله:

والتعبُّد لله يقوم على أصلين كبيرين:

الأصل الأوَّل: ألَّا يُعْبَدَ إلَّا الله تعالى:

وكل ما عبده النَّاس، من نَجْم في السماء، أو صنمٍ في الأرض، أو نباتٍ أو حيوانٍ أو إنسان، فهو باطل، وهذا ما جاء به كلُّ رسل الله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

الأصل الثاني: ألَّا يعبد الله تعالى إلَّا بما شرعه:

ألَّا يُعْبَد اللهُ جلَّ شأنُه إلَّا بما شرع في كتابه، وعلى لسان رسوله، وكل من أحدث في دين الله أمرًا لم يجئ به قرآنٌ ولا سُنَّة، فهو مردودٌ على صاحبه، كما في الحديث الصحيح المُتَّفق عليه عن عائشة: «**مَنْ أحدث في أمْرِنا ما ليس فيه، فهو رَدٌّ**»[(١)]، وفي رواية مسلم عنها: «**مَنْ عمل عملًا ليس عليه أمْرُنا**»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٩.

(٢) سبق تخريجه صـ١٠.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفي صحيح مسلمٍ عن جابر: «**خيرُ الحديث كتاب الله، وخيرُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وشرُّ الأمور مُحْدَثَاتُها، وكُلُّ بدعةٍ ضلالة**»[١].

وفي حديث العِرْبَاض بن ساريةَ، الَّذي رواه أحمد وأصحاب السنن: «**إيَّاكم ومُحْدَثَاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**»[٢].

وبهذا حمى النبيُّ ﷺ الدِّين من المُحْدَثَات والمُبْتَدَعات الَّتي دخلت على الأديان السابقة فحرَّفتها، وأضافت إليها ما ليس منها، وعسَّرت منها ما يسَّره الله، وحرَّمت ما أحلَّه، وأحلَّت ما حرَّمه.

ابتداع النصارى الرَّهبانيَّة العاتية:

وقد ضربنا مثلًا على ذلك: ما ابتدعه النصارى من الرَّهبانيَّة العاتية، الَّتي صادروا بها فطرة الله الَّتي فطر النَّاس عليها، فحرَّموا الزواج، وزينة الله الَّتي أخرج لعباده، والطيِّبات من الرزق، وغلا بعضهم حتَّى حرم على نفسه الماء والنظافة، واعتبروا البقاء على القذارة أقرب إلى الله، والنظافة أدنى إلى الشيطان. حتَّى قال أحدُ رهبان العصور الوسطى في أوربا مُتَحَسِّرًا: لقد كان من قبلنا يعيش أحدهم طُولَ عُمرِه لا يبُلُّ أطرافه بالماء، ولكنَّنا ـ وا أسفاه ـ أصبحنا في زمنٍ يدخل فيه النَّاس الحمَّامات[٣]!

ويبدو أنَّ دخول الحمَّامات تلك عدوى انتقلت إليهم من المسلمين في الأندلس! فقد ذكروا أنَّه كان يوجد في مدينة قُرْطبة وحدها ستُّمائة حمَّام[٤]!

---

(١) سبق تخريجه صـ١٠.

(٢) سبق تخريجه صـ١٠.

(٣) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للعلامة أبي الحسن الندوي صـ ١٨٥، نشر دار القلم، الكويت، ط ٨، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

(٤) بل عدها بعضهم تسعمائة حمام، ذكر ذلك المقري التلمساني في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٥٤٠/١)، تحقيق د. إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت. وأكثر من هذا =

QaradawiBooks.com

وهذا التشـديد على النَّفْس هو ما حذَّرت منه السُّـنَّة، فعن أنس بن مالك، أنَّ رسـول الله ﷺ كان يقول: «**لا تُشَدِّدوا على أنفسـكم، فيُشَدِّدُ عليكـم، فإنَّ قومًا شـدَّدوا على أنفسـهـم، فشـدَّد الله عليـهـم، فتلك بقاياهـم فـي الصـوامـع والديار،** ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]»[(١)].

التسهيل في أمر الدُّنْيا والحث على الابتكار فيها:

وفي مقابل هذا التشـديد في أمر الدِّين، وإيجـاب الاتِّباع فيه: كان التسهيل في أمر الدُّنيا، وفتح باب الإبداع والابتكار في كلِّ ما يتعلَّق بها.

ولا غرو أن حثَّ الرسـول الكريـم على ابتكار مناهـج الخير، واختراع ما تجود به القرائح المُبْدِعة من صـور العمران، والإصلاح والتجديد، في العلم والعمل والزراعة والصناعة والفنِّ وغيرها. وفي هذا جاء الحديث الصحيح: «**من سـنَّ في الإسـلام سُـنَّةً حسنةً، فله أجرُها، وأجرُ من عَمِلَ بها مِـنْ بَعْدِه، من غير أن يَنْقُصَ من أجورهم شيء**»[(٢)].

وهذا ما مضى عليه الصحابة والمسـلمون في القرون الأولى: نجد الصحابة فعلوا أشياء لم يفعلها الرسـول ﷺ، اقتضاها تطوُّر الحياة في زمنهم، ووجـدوا فيها الخيـر والمصلحة للأُمَّـة، ولم يتقـدَّم بها أمرٌ

= ما ذكره الخطيب في تاريخه: أن حمامات بغداد بلغت ستين ألف حمام (٤٣٩/١)، تحقيق د. بشار عواد، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

(١) رواه أبـو داود في الأدب (٤٩٠٤)، وأبو يعلـى (٣٦٩٤)، وقال الهيثمي فـي مجمع الزوائد (٢٥٦/٦): رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، غير سعيد بن عبد الرحمٰن بن أبي العمياء، وهو ثقة. وقال الألباني في الضعيفة (٣٤٦٨): إسناده يحتمل التحسين.

(٢) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٧)، وأحمد (١٩١٥٦)، عن جرير بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

ولا نظير، مثل كتابة وجمع القرآن في مصحفٍ واحدٍ زمن أبي بكر، وجمْعهم على حرفٍ واحدٍ زمنَ عثمان، وجعْل الخلافة شورى، وضرْب النُّقُود، واتِّخاذ السِّجْن، وغير ذلك، ممَّا استدلَّ به الأصوليُّون على حُجِّيَّة المصلحة المُرْسَلة[1].

وعمر كان له في خلافته القِدْح المُعَلَّى في الابتكارات، وعرف تاريخه بكثرة «الأوَّليَّات». ولذا قيل: هو أوَّل من دوَّن الدواوين، وأوَّل من مصَّر الأمصار، واتَّخذ التاريخ، إلى آخر ما عرف من أوَّليَّاته رضي الله عنه.

وعلى هذا المنهج مضى خير قرون الأمة، قاوموا المُحْدَثَات في العقيدة، والمُبْتَدَعَات في العبادة، وحافظوا على جوهر الدِّين من الشوائب والطفيليَّات الغريبة. وفي الوقت نفسه ابتكروا علومًا جديدة لخدمة الدِّين، مثل: علوم النحو والصرف والبلاغة، ووضعوا معاجم اللُّغَة، وطوَّروا علوم الفقه والتفسير والحديث ودوَّنوها، وابتكروا علومًا خادمةً لها، لضبط قواعدها، وردِّ فروعها إلى أصولها، فكان علمُ أصول الفقه، وأصول الحديث، وأصول التفسير، وعلوم القرآن، وعلوم الكلام والتصوُّف والسُّلوك والسِّيرة والتاريخ والطبقات.

وترجموا علوم الأمم الأخرى، فاقتبسوا منها، وعدَّلوا وهذَّبوا فيها، وأضافوا إليها، ونبغ منهم أعدادٌ لا تُحصى في علوم الطبِّ والفَلَك والفيزياء والكيمياء والبصريَّات والرياضيَّات وتقويم البلدان، وغيرها من أنواع المعارف والعلوم.

(١) انظر: شرح تنقيح الفصول للقرافي صـ ٤٤٦، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، نشر شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط ١، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

QaradawiBooks.com

وابتكروا علومًا أخرى لم تعرفها الأمم السابقة كاليونان وغيرهم، مثل «علم الجبر»، الَّذي اخترعه العلَّامة الخوارزمي، وهو يُؤَلِّف رسالة في علم المواريث والوصايا.

ولمَّا تخلَّف المسلمون: انعكست الآية عندهم، فابتدعوا في أمور الدِّين، وجَمَدوا في أمور الدنيا[1]!

أثر تحريم البدع في الإسلام:

وتحريم الإسلام الابتداع في العبادة، وتشديده في الأمر باتِّباع ما جاء به الرسول، قد حفظ على المسلمين عباداتهم، وصانها من التحريف والتبديل، والزيادة والنقصان.

فالعبادات الإسلاميَّة واحدةٌ في جوهرها في كلِّ مذهبٍ من مذاهب الإسلام: الصلاة عند جميع المسلمين منذ عهد الرسول ﷺ إلى اليوم: عند السُّنَّة والشِّيعة والزيديَّة والإباضيَّة، هي هذه الأقوال والأعمال المخصوصة، المُفْتَتَحة بالتكبير المُخْتَتَمَة بالتسليم. خمس صلوات في اليوم والليلة، في كلِّ صلاةٍ عددٌ مُعَيَّن من الركعات، وفي كُلِّ ركعة تلاوةُ قرآنٍ وأذكارٌ وركوعٌ وسجودان عند الجميع، ولكلِّ صلاة شروط مُتَّفَق عليها من الطهارة وأخذ الزينة واستقبال القبلة، وهكذا.

والصوم عند جميع المسلمين يتمثَّل في هذا الشهر العربي ـ رمضان ـ ثلاثين يومًا أو تسعة وعشرين يومًا، يبدأ كلُّ يوم من طلوع الفجر وينتهي عند غروب الشمس.

(١) انظر كتابنا: السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة صـ ٢٤٥ ـ ٢٤٧، مع بعض التصرف.

QaradawiBooks.com

وهكذا الزكاة والحج، كلُّها عبادات مُحَدَّدة معروفة بتفاصيلها، منقولة عن رسول الله ﷺ بالتواتر القاطع جيلًا عن جيل.

تحريف العبادات في شتَّى الديانات سوى الإسلام:

وهذه مَيْزة لعبادات الإسلام لم يظفر بها دينٌ من الأديان، فكلُّ العبادات في شَتَّى الديانات قد عَدَت عليها الأيام، وخضعت لتحريف السَّدَنة، وألاعيب الكهنة، وغُلُوِّ العامَّة، ولم تجد من يقول للمُبْتَدِعين: قِفُوا عند حدود الله، ولا تَشْرعوا ما لم يأذن به الله.

وهل يستطيع أحدٌ أن ينكر على الكاهن إذا ابتدع أو غيَّر، وفي يديه مفاتيح الجنَّة وملكوت السماء؟ إنَّه يستطيع أن يطرد من رحمة الله من شاء، ويُدْخِل فيها من شاء، ويبيع من قراريط الجنَّة ما يشاء! وقد أعطاهم الإنجيل الحُجَّة حين قيل لهم: ما حلَّلتموه في الأرض فهو محلول في السماء، وما عقدتموه في الأرض فهو معقود في السماء[1]!

أمَّا الإسلام فقد نفى من أوَّل الأمر فكرة الكهنوت، واحتكار أسرار الملكوت، وجعل أمر العبادة في أيدي المسلمين جميعًا، وفرضهم حُرَّاسًا عليها، وأوصاهم أن يتَّبعوا ولا يبتدعوا، وأن يأخذوا على يد كُلِّ مُبْتَدِع مُحَرِّف، كائنًا من كان.

وإذا أخذنا الشريعة المسيحيَّة مثلًا وجدناها قد تغيَّرت وتناسخت على يد المسيحيِّين أنفسهم، وخرجوا على الناموس الَّذي أعلن المسيح: أنَّه جاء ليُتِمَّه لا لينقضَه.

(١) إنجيل متَّى (١٨/١٨)، ونصه: الحقَّ أقول لكم: كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطًا في السماء، وكُلَّ ما تَحُلُّونه على الأرض يكون محلولًا في السماء.

QaradawiBooks.com

فقد استحلُّوا الخنزير، وأحلُّوا السبت، وعوَّضوا منه يوم الأحد، وتركوا الخِتَان، والاغتسال من الجنابة، وكان المسيح يُصَلِّي إلى بيت المقدس، فصلَّوا هم إلى المشرق. ولم يُعَظِّم المسيح صليبًا قطُّ، فعظَّموا هم الصليب وعبدوه، ولم يصُم المسيح عليه السلام صومهم هذا أبدًا ولا شرعه، ولا أمر به البتَّة، بل هم وضعوه على هذا العدد، ونقلوه إلى زمن الربيع، فجعلوا ما زادوا فيه من العدد عِوَضًا عن نقله من الشهور الهلاليَّة إلى الشهور الرُّوميَّة، وتعبَّدوا بالنجاسات، وكان المسيح عليه السلام في غاية الطهارة والطِّيب والنظافة، وأبعد الخلق عن النجاسة، فقصدوا بذلك تغيير دِين اليهود ومراغمتهم، فغيَّروا دينَ المسيح، وتقرَّبوا إلى الفلاسفة وعُبَّاد الأصنام، بأنْ وافقوهم في بعض الأمر ليُرْضُوهم، وليستنصروا بذلك على اليهود[١].

فهذه هي المسيحيَّة، وذلك هو الإسلام.

وجود العلماء المجاهرين بالحقِّ المطاردين للبِدَع:

نعم، إنَّ بعض المسلمين في بعض الأزمنة قد ابتدعوا في دِينِهم ما لم يجئْ به كتابٌ ولا سُنَّة، ولكنَّهم وجدوا في كلِّ عصر من يجهر فيهم بالحقِّ، ويردُّهم إلى سواء الصراط، ويُحيي فيهم السُّنَّة، ويطارد البدعة، تصديقًا لوعد الله الَّذي وعد به هذه الأُمَّة الخاتِمة على لسان رسوله ﷺ، حيث قال: «**لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي قائمةً بأمر الله، لا يضرُّهم من خذلهم أو خالفهم، حتَّى يأتيَ أمرُ الله وهم ظاهرون على الناس**»[٢].

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم (٢/٢٧٠)، تحقيق محمد حامد الفقي، نشر مكتبة المعارف، الرياض.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٧١)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧)، عن معاوية. =

QaradawiBooks.com

«إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة، على رأسِ كُلِّ مائةِ سنةٍ من يُجَدِّدُ لها دِينَها»[١].

على أنَّ الَّذي امتاز به الإسلام بلا ريب: أنَّ شعائره وعباداته الأصليَّة بقيت سليمة في جوهرها، مصونة من التحريف والتبديل.

قال أبو بكر: لستُ تاركًا شيئًا كان رسولُ الله ﷺ يعمل به إلَّا عملتُ به، إنِّي أخشى إن تركتُ شيئًا من أمره أن أزيغ[٢].

وقد خطب عمر بن الخطاب النَّاس فقال: أيُّها النَّاس، قد سُنَّت لكم السُّنَن، وفُرِضَت لكم الفرائض، وتُرِكْتُم على الواضحة، إلَّا أن تميلوا بالنَّاس يمينًا وشمالًا[٣].

وقال ابن مسعود: أيُّها النَّاس، لا تبتدعوا، ولا تَنَطَّعوا، ولا تَعَمَّقوا، وعليكم بالعتيق المأثور الموروث، خُذُوا ما تعرفون، ودَعُوا ما تُنْكِرُون[٤].

= وقد صح هذا الحديث واستفاض عن عدد من الصحابة بألفاظ متقاربة، رواها الجماعة وغيرهم.

(١) رواه أبو داود في الملاحم (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٦٥٢٧)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٢٢/٤)، وسكت عنه، ولكن نقل تصحيحه المناوي في فيض القدير (١٨٤٥)، فلعله سقط من المطبوع، وسكت عنه الذهبي، عن أبي هريرة.

(٢) جزء من حديث متَّفق عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣٠٩٢، ٣٠٩٣)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٥٩).

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢٣٣١)، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(٤) رواه الدارمي في المقدمة (١٤٥).

QaradawiBooks.com

وعن الحسن في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، قال: كتب الله صيامَ رمضان على من كان قبلكم، فأمَّا اليهود فرفضوه، وأمَّا النصارى فشقَّ عليهم الصوم، فزادوا فيه عشرًا، وأخَّروه إلى أخفِّ ما يكون عليهم فيه الصوم من الأزمنة.

فكان الحسن إذا حدَّث بهذا الحديث قال: عملٌ قليلٌ في سُنَّة ـ اتِّباع المأثور ـ خيرٌ من كثير في بدعة[١].

ولمَّا بويع عمر بن عبد العزيز بالخلافة صَعِد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: أيها النَّاس، إنَّه ليس بعد نبيِّكم نبيٌّ، ولا بعد كتابكم كتابٌ، ولا بعد سُنَّتِكم سُنَّة، ولا بعد أُمَّتِكم أُمَّة، ألا وإنَّ الحلال ما أحلَّ الله في كتابه، على لسان نبيِّه، حلال إلى يوم القيامة، ألا وإنَّ الحرام ما حَرَّم الله في كتابه، على لسان نبيِّه، حرامٌ إلى يوم القيامة، ألا وإنِّي لستُ بمُبْتَدِعٍ ولكنِّي مُتَّبِع، أَلَا وإنِّي لستُ بقاضٍ ـ يعني لست بمُشَرِّع ـ ولكنِّي مُنَفِّذ[٢].

فهذا هو موقف الخلفاء والحُكَّام في الإسلام: مُتَّبِعون في الدِّين لا مُبْتَدِعون، ومُنَفِّذون للشرع لا مُشَرِّعون.

وقد وقف أئمَّة الإسلام في وجه كلِّ بدعة يراد لها أن تظهر في عبادة

(١) رواه المروزي في السنة (٨٨)، وابن بطَّة في الإبانة الكبرى (١٥١)، عن الحسن مرفوعًا، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٠٧٨)، موقوفًا.

(٢) الاعتصام للشاطبي (٨٦/١).

QaradawiBooks.com

النَّاس لله، حتَّى وإن بدت صغيرة في عيـــن الرائي، ولكنَّ الصغيرة تجُرُّ إلى الكبيرة، ومعظم النار من مُسْتَصْغَرِ الشَّرَر[١].

جاء رجل إلى الإمام مالك وهو بالمدينة وقال له: يا أبا عبد الله، مـن أين أُحْـرِم؟ قال: من ذي الحُلَيْفة ـ مـكـان إحـــرام أهـل المدينة ـ مـن حيث أحـرم رسول الله ﷺ.

فقال: إنِّي أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر (قبر النبي ﷺ). قال: لا تفعل، فإني أخشى عليك الفتنة!

قال: وأيُّ فتنة في هـــذا؟! وإنَّما هي أميال أزيدها! قـــال: وأيُّ فتنةٍ أعظم من أن ترى أنَّك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ؟! إنِّي ســـمـعـت الله يـقـول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣][٢].

فمع أنَّ الرجل كان يريد الإحرام من أشرف البقاع في المدينة، وهو مسجد الرسول ﷺ وموضع قبره، وأنَّه يزيد ولا ينقص ـ حيث يُحْرِم من موضع أبعد من الميقات المُحَدَّد ـ خشـــي عليه الإمـــام مالك الفتنة في الدُّنيا، والعذاب في الآخرة، لما يحمل عمله في ثناياه من تفضيلٍ لنفسه وعمله، ونسبة النقص إلى عـمـل رسول الله ﷺ.

(١) أُلفت كتب عديدة قديمًا وحديثًا في الإنكار على البدع المحدثة في الدين، منها: الحوادث والبدع للطرطوشي، والاعتصام للشاطبي، والإبداع للشيخ علي محفوظ، وليس من الإسلام للشيخ محمد الغزالي.

(٢) سبق تخريجه صـ٧٥.

QaradawiBooks.com

وقد قال الإمام مالك أيضًا: من أحدث في هذه الأُمَّة شيئًا لم يكن عليه سلفها، فقد زعم أنَّ رسول الله ﷺ قد خان الدِّين؛ لأنَّ الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذٍ دينًا لا يكون اليومَ دِينًا[١]!

فإذا كان الدِّين قد أكمله الله، وأتمَّ به النعمة، فلا مجالَ فيه لإحداث زيادة؛ لأنَّ الكامل لا يقبل الزيادة، ومحاولة الزيادة عليه اتِّهام له بعدم الكمال[٢].

* * *

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٥٨/٦).

(٢) انظر: العبادة في الإسلام صـ ١٣٧ ـ ١٤٤ بتصرف، عنوان: ألا يعبد الله إلَّا بما شرع، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢٩، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطبع

الفصل السادس

أسباب الابتداع في الدِّين

إلام يستند المُبْتَدِعون؟

ما أسباب الابتداع في دين الله الَّذي شرعه للنَّاس وأكمله لهم، وأتمَّ به النعمة عليهم؟ وما الَّذي يجعل البدع تنتشر بين الناس؟ وما الَّذي يجعل النَّاس يستجيبون للمبتدعين، ويسيرون في ركابهم؟ مع تحذير القرآن والسُّنَّة الصحيحة، وعلماء الصحابة والسابقين وأئمَّة الأُمَّة، من الابتداع في الدِّين، واعتبار كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار؟

لا بدَّ أنَّ هناك مستندات أو شِبْه مستندات يُعَوِّل عليها دُعاة البدعة، يجعل لبدعتهم قبولًا عند العامَّة، وتروِّج بضاعتهم عند الجماهير، الَّتي تنخدع بسرعة، ولا تُفَرِّق بين الصالح والفاسد، ولا بين الرابح والكاسد، ولا بين النقود الأصليَّة والنقود الزائفة.

تتمثَّل هذه المستندَات في عدَّة أشياء، منها:

١ ـ اتِّباع الهوى:

أوَّل ما يستند إليه المُبْتَدِعون، هو: اتِّباع الهوى، لا يتَّبعون دليلًا قاطعًا يجزم به، من عقلٍ صريح، أو من نقلٍ صحيح، فلا كتابَ لديهم، ولا سُنَّة عندهم، وقد حذَّر القرآن الكريم من اتِّباع الهوى في آيات

QaradawiBooks.com

كثيرة، كما قال تعالى لداود: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، وفي مقام آخر قال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، وخاطب رسوله محمدًا فقال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، وهنا نجد فرقًا كبيرًا بين مُتَّبع السُّنَّة ومُتَّبع البدعة؛ فصاحب السُّنَّة يتَّبع الهُدى، الَّذي جاء به الوحي الإلٰهي في القرآن والسُّنَّة، أمَّا صاحب البدعة، فهو يتَّبع هواه بغير هدى من الله. والهوى يُعْمِي ويُصِمُّ عن رؤية الأمور على حقيقتها، ثمَّ عن اتِّباعها بعد أن تبيَّن له.

ولهذا قال السلف: شرُّ إلٰهٍ عُبِدَ في الأرض الهوى[1]. واستدلُّوا بقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣].

والسَّلَف كثيرًا ما يُعَبِّرون عن أصحاب البدع، ولا سيَّما البدع الكبرى، الَّتي تتَّصل بالعقائد أكثر ممَّا تتَّصل بالأعمال، فيقولون عنهم «أصحاب الأهواء». كأنَّما يُشِيرون إلى أنَّ معتمدهم الأوَّل في استمساكهم بالبدعة، ودفاعهم عنها، ودعوتهم إليها؛ إنَّما هو الهوى قبل كُلِّ شيء.

وإذا كان بين هؤلاء الأقوام أناسٌ يُخْلِصون في طلب الحقِّ، فإنَّهم إذا أنصتوا إلى عالِمٍ قويِّ الحُجَّة، نَيِّر البصيرة؛ فكثيرًا ما ينزلون عن رأيهم المُبْتَدَع، الَّذي فارقوا به سائر الأُمَّة، ويرجعون إلى ما ارتضته الأُمَّة، كما فعل ابن عبَّاس حين أرسله عليٌّ ﷺ إلى الخوارج، ليجادلهم ويناقشهم بالقرآن والسُّنَّة، بالعلم والحُجَّة والمنطق السليم، فرجع منهم عن رأيهم

(١) انظر: المدخل لابن الحاج (١١٦/٣)، نشر دار التراث.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

عدَّة آلاف، حوالي نصفهم، وعادوا إلى الأُمَّة الوسط، وألقوا أسلحتهم الَّتي كانوا يُقاتلون بها جمهور الأُمَّة(١).

ولذلك دعا أئمَّة السُّنَّة في كل الأعصار إلى تحكيم النصوص القرآنيَّة والنبويَّة الواضحة الدلالة، لا إلى تحكيم الهوى المُضَلِّل، كما قال الله تعالى لرسوله: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨، ٤٩].

إنَّ المنافقين محرومون أبدًا من اتِّباع الهدى الَّذي أنزل الله به كتبه، وبعث به رسله؛ لأنَّهم اتَّخذوا الكتاب مهجورًا، ولم يرجعوا إلَّا إلى الأهواء الَّتي تُحَرِّكهم وتقودهم إلى كلِّ شيء، ولا يهتدون من ورائها سبيلًا، ولذا يقول القرآن: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴾ [محمد: ١٤]، وتحدَّث عن المنافقين، فقال: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۝ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد: ١٦، ١٧]، ويقول سبحانه: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤].

---

(١) رواه أحمد (٦٥٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والحاكم في قتال أهل البغي (١٥٢/٢ ـ ١٥٤)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في إرواء الغليل (٢٤٥٩).

QaradawiBooks.com

فمُتَّبع الهوى في نظر القرآن أضلُّ سبيلًا من الأنعام؛ لأنَّ الأنعام لم تؤتَ ما أُوتُوا من العقول والنظر، ولم يُنْزَل عليهم كتابٌ، ولم يُبْعَثْ لهم رسول، ومع هذا أدَّت ما هي مخلوقة له، ولم تتمرَّد على عملها الَّذي أُعِدَّت له، على خلاف بني الإنسان.

٢ ـ اتِّباع المتشابهات:

وممَّا يستند إليه المُبْتَدِعون: اتِّباع المُتشابِهات من الأدلَّة، فهم لا يعتمدون على الأدلَّة البيِّنة، الواضحة الدلالة، الَّتي لا شبهة فيها، ولا احتمالات في مفهومها، وهي الَّتي سمَّاها القرآن «المُحْكَمات»، فالراسخون في العلم عمدتهم هذه «المُحْكَمات» بخلاف الزائغين، فهم يركضون وراء المتشابهات، كما قال القرآن: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، فالمُبْتَدِعون والمُرَوِّجون للبدع، ليس لهم إلَّا اتِّباع المتشابهات من الأدلَّة، فهي مرجعهم وعُمْدَتهم، الَّتي يلوذون بها، ويرجعون إليها، ويستمسكون بحبالها.

فيستدلُّ منهم من ينكر رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فيقول: هذا هو القرآن الكريم ينفي أنَّ الله يدرك بالأبصار، فكيف يزعم زاعمون أنَّ هناك أحاديث تُرْوى تُعْلِمنا أنَّ الله سبحانه يرى بالأبصار؟

ونقول لهؤلاء: إنَّ أهل السُّنَّة والجماعة ـ الَّذين هم جمهور الأُمَّة الأكبر، ومنهم أئمَّة المذاهب الأربعة، وأئمَّة الكتب الستَّة، وأعلام التفسير والحديث، ورجال الفقه والسلوك، ورجال اللغة والأدب ـ يرون

QaradawiBooks.com

أنَّ الرؤيــة الَّتي أثبتوهــا للمؤمنين في الآخرة لا تســتلزم الإدراك؛ لأنَّ الإدراك رؤية مع إحاطة، وهم لا يقولــون بالإحاطة، بل يرون ربَّهم يوم القيامة دون أن يحيطوا به، يرونه ولا تدركه أبصارهم.

وهذا ما ثبت بالأحاديث الصحاح الكثيرة، بل ما ثبت بصريح القرآن نفسه، حيث قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وقــال المُفَسِّــرون في قولــه تعالــى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، الحُسْنى هي الجنَّة، والزيادة: هي رؤية الله ﷻ في الجنَّة.

ولكنَّ المُتَمَسِّكين بالبدع تركوا هذه الآيات المُحْكَمات ولجؤوا إلى المُتشــابِهات، وهناك أمثلة شتَّى للمُتَمَسِّكين بالمتشــابهات من الأدلَّة، المدافعين عنها.

الإمام أحمد في ردِّه على الجَهْمِيَّة يشير إلى المُتَشَابه:

وقد شــرح الإمام ابن تيمية ما قاله الإمام أحمد، وعقَّب عليه تعقيبًا علميًّا مفصَّلًا، حيث قــال الإمام أحمد في أوَّل ما كتــب في «الردُّ على الزنادقة والجَهْمِيَّة فيما شكَّت فيه من متشــابه القرآن وتأوَّلته على غــير تأويله»، ممَّا كتبه في حبسه، وقد ذكره الخلال في كتاب «السُّنَّة» والقاضي أبو يَعْلى، وأبو الفــضــل التَمِيمي، وأبو الوفاء ابن عَقِيل، وغير واحد من أصحاب أحمد، ولم يَنْفِه أحد منهم عنــه، قال في أوله: «الحمد لله الَّذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلى الهــدى، ويصبرون منهم علــى الأذى، يُحْيُون بكتــاب الله الموتى، ويُبَصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيلٍ لإبليس قد أَحْيَوْه، وكم من تائهٍ ضالٍّ قد هَــدَوْه، فما أحســن أثرَهم على النَّاس، وأقبــح أثر النَّاس

QaradawiBooks.com

عليهم! يَنْفُون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المُبْطِلين، وتأويل الجاهلين، الَّذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عِنَان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفــون للكتاب، متَّفقون على مخالفــة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلَّمون بالمُتشابه من الكلام، ويخدعون جُهَّال النَّاس بما يُشَبِّهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المُضِلِّين».

ابن تيمية يشرح ما قصده أحمد:

قال ابن تيمية: «والمقصود هنا قوله: يتكلَّمون بالمُتَشابِه من الكلام، ويخدعون جُهَّال النَّاس بما يُشَبِّهون عليهم، وهذا الكلام المُتَشَابِه الَّذي يخدعون به جُهَّال النَّاس، هو الَّذي يتضمَّن الألفاظ المتشــابهة المُجْمَلة الَّتي يعارضون بها نصوص الكتاب والسُّنَّة، وتلك الألفاظ تكون موجودة مُستعمَلة في الكتاب والسُّنَّة وكلام النَّاس، لكنْ بمعانٍ أُخَر غير المعاني الَّتي قصدوها هم بها، فيقصدون هم بها معانيَ أُخَر، فيحصل الاشــتباه والإجمال، كلفــظ العقل والعاقــل والمعقول، فإنَّ لفــظ العقل في لغة المسلمين إنَّما يدلُّ على عَرَض، إمَّا مُسَمَّى مصدر عَقَلَ يَعْقِلُ عَقْلًا. وإمَّا قوَّة يكون بها العَقْل، وهي الغريزة[1]، وهم يريدون بذلك جوهرًا مُجَرَّدًا قائمًا بنفسه.

وكذلك لفظ المادَّة والصــورة، بل وكذلك لفظ: الجوهر، والعَرَض، والجســم، والتحيُّز، والجهــة، والتركيب، والجزء، والافتقــار، والعلَّة، والمعلول، والعاشق، والعشق، والمعشوق، بل ولفظ الواحد في التوحيد، بل ولفظ الحــدوث والقِدَم، بــل ولفظ الواجب والممكــن، بل ولفظ الوجود والموجود والذات، وغير ذلك من الألفاظ.

(١) في المطبوع: العزيزة.

QaradawiBooks.com

وما من أهل فـنٍّ إلَّا وهم معترفـون بأنَّهم يصطلحـون على ألفاظٍ يتفاهمون بها مرادَهم، كما لأهل الصناعات العلميَّة ألفاظ يُعَبِّرون بها عن صناعتهـم، وهذه الألفاظ هـي عُرْفِيَّـة عرفًا خاصًّا، ومرادهـم بها غير المفهوم منها في أصل اللغة، سواء كان ذلك المعنى حقًّا أو باطلًا»[1].

التوحيد عند هؤلاء وعند المسلمين:

والمُمَثِّلون للإسلام الحقِّ وللسُّنَّة والجماعة من العلماء والمُحَقِّقين، يناقشون هؤلاء المبتدعة في مصطلحاتهم، الَّتي أصبحت مشتبهة وملتبسة عليهم، حتَّى أوْضَحِ هذه المعاني لدى المسلمين وهو التوحيد، الَّذي هو جوهر الإسلام ولبُّه، لا يريدون به ما يريد سائر المسلمين.

فهم يريـدون بلفظ التوحيـد والواحد فـي اصطلاحـهم كـما وضح ابن تيميَّة: «ما لا صفة له، ولا يُعلم منه شـيء دون شـيء، ولا يرى، والتوحيد الَّذي جاء به الرسـول لم يتضمَّن شيئًا من هذا النفي، وإنَّما تضمَّن إثبات الإلٰهيَّة لله وحده، بأن يُشْـهَد أن لا إلٰه إلَّا هو، ولا يعبـد إلَّا إيَّـاه، ولا يُتَـوَكَّل إلَّا عليه، ولا يُوَالـى إلَّا له، ولا يُعَادَى إلَّا فيه، ولا يُعْمَل إلَّا لأجله، وذلك يتضمَّن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات.

قال جابر بن عبد الله في حديثه الصحيح في سـياق حـجَّـة الـوداع: فـأهـلَّ رسـول الله ﷺ بالتوحيد: «**لبَّيْكَ اللهمَّ لبَّيْكَ، لبَّيْكَ لا شريكَ لك لبَّيْكَ، إنَّ الحمدَ والنِّعْمَةَ لك والمُلْك، لا شـريكَ لك**»[2]. وكـانـوا فـي

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢٢١/١ ـ ٢٢٣)، تحقيق د. محمد رشـاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ط ٢، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

(٢) رواه مسلم في الحج (١٢١٨).

QaradawiBooks.com

الجاهليَّة يقولون: لبَّيْك لا شريك لك، إلَّا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك. فأهلَّ النبيُّ ﷺ بالتوحيد كما تقدَّم.

قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦].

وأخبر عن كلِّ نبي من الأنبياء أنَّهم دعوا النَّاس إلى عبادة الله وحده لا شريك له. قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال تعالى عن المشركين: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]، وهذا في القرآن كثير.

وليس المراد بالتوحيد مجرَّد توحيد الرُّبوبيَّة، وهو اعتقاد أنَّ الله وحده خلق العالم، كما يظنُّ ذلك من يظنُّه من أهل الكلام والتصوُّف، ويظنُّ هؤلاء أنَّهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

ويظــنُّ هؤلاء أنَّهم إذا شــهدوا هذا وفَنَــوْا فيه، فقد فَنَــوْا في غاية التوحيد.

وكثير من أهل الكلام يقول: التوحيد له ثلاثـة معـانٍ، وهـو: واحـد في ذاتـه لا قسـيم له أو لا جزء لــه، وواحد في صـفـاتـه لا شــبيه له، وواحـد فـي أفـعـالـه لا شريك له.

وهذا المعنى الَّــذي تتناوله هذه العبــارة فيها ما يوافــق ما جاء به الرسول ﷺ، وفيها ما يخالف ما جاء به الرسول، وليس الحق الَّذي فيها هو الغاية الَّتي جاء بها الرســول، بل التوحيد الَّــذي أمر به أمر يتضمَّن الحق الَّذي في هذا الكلام وزيادة أخرى، فهذا من الكلام الَّذي لبس فيه الحق بالباطل، وكُتِمَ الحق.

وذلك أنَّ الرجل لو أقر بما يستحقُّه الربُّ تعالى من الصفات، ونزَّهه عن كلِّ ما يُنَزَّه عنه، وأقرَّ بأنَّه وحده خالق كلِّ شيء، لم يكن مُوَحِّدًا، بل ولا مؤمنًا، حتَّى يشــهد أن لا إلٰــه إلَّا الله، فيقرُّ بــأنَّ الله وحده هو الإلٰه المستحقُّ للعبادة، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له.

والإلٰه هو بمعنى المألوه المعبود الَّذي يستحقُّ العبادة، ليس هو الإلٰه بمعنى القادر على الخلق، فإذا فسَّــر المُفَسِّــر الإلٰــه بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أنَّ هذا أخصُّ وصفِ الإلٰه، وجعل إثبات هذا التوحيد هو الغاية في التوحيد ـ كما يفعل ذلك من يفعله من المُتَكَلِّمة الصِّفَاتيَّة، وهو الَّذي ينقلونه عن أبي الحســن وأتباعه ـ لم يعرفوا حقيقة التوحيد الَّذي بعث الله به رسوله، فإنَّ مشركي العرب كانوا مُقِرِّين بأنَّ الله وحده خالقُ كلِّ شيء، وكانوا مع هذا مُشْرِكِين.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

QaradawiBooks.com

قال طائفة من السلف: تسألهم من خلق السماوات والأرض، فيقولون: الله. وهم مع هذا يعبدون غيره.

وقال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [العنكبوت: ٦١]، فليس كلُّ من أقرَّ أنَّ الله ربُّ كلِّ شيء وخالقه يكون عابدًا له دون ما سواه، داعيًا له دون سواه، راجيًا له، خائفًا منه دون ما سواه، يُوالي فيه، ويُعادي فيه، ويُطيع رسله، ويأمر بما أمر به، وينهى عمَّا نهى عنه.

وقد قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وعامَّة المشركين أقرُّوا بأنَّ الله خالق كلِّ شيءٍ، وأثبتوا الشفعاء الَّذين يشركونهم به وجعلوا له أندادًا، قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ۞ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا ﴾ [الزمر: ٤٣، ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

QaradawiBooks.com

ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب، ويدعوها كما يدعو الله تعالى، ويصوم لها، وينسك لها، ويتقرَّب إليها، ثمَّ يقول: إنَّ هذا ليس بشرك، وإنَّما الشرك إذا اعتقدت أنَّها هي المُدَبِّرة لي، فإذا جعلتُها سببًا وواسطة لم أكن مشركًا».

قال ابن تيمية: «ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أنَّ هذا شرك، فهذا ونحوه من التوحيد الَّذي بعث الله به رسله، وهم لا يدخلونه في مُسَمَّى التوحيد الَّذي اصطلحوا عليه، وأدخلوا في ذلك نفي صفاته»[1].

٣ ـ انتشار الجهل بحقيقة الدين:

ومن أهم الأسباب الَّتي تنتشر بها البدع في النَّاس وتروج بضاعتها في سوقهم: وجود الجهل بالدِّين وبحقائقه، وفقد التمييز بين أصوله وفروعه، وفرائضه ونوافله، وما هو منه وما ليس منه.

وهو ما لمسناه للأسف، ووجدناه منتشرًا في بلاد كثيرة، وخصوصًا في أهل القرى والأرياف، الَّذين يقلُّ فيهم العلماء، ويكثر فيهم الجهلاء، وتشيع بينهم كلمة المُزَيِّفين، الَّذين يقبلون الأحاديث الضعيفة جدًّا، والَّتي لا أصل لها، بل المكذوبة الموضوعة على رسول الله ﷺ، فتراهم يذكرونها للنَّاس، وينتفخون بذكرها، كأنَّها من صحاح الصحاح.

ويحفظون من تفسير القرآن ما لا يدلُّ عليه سائر القرآن، ولا حديث صحيحٌ ولا حسن، ولا إجماع من العلماء، ولا يقول به جمهورهم. ولا يُؤَكِّده قياسٌ معلوم، وفهمٌ سليم من عالمٍ كريم.

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/٢٢٤ ـ ٢٢٨).

QaradawiBooks.com

إنَّهم يَهْرِفون بما لا يعرفون، وينطقون من غير عقل، ويعيشون على غير أصل، ويبنون على غير أســاس، ولا يرجعون إلى حُجَّة لدى عالم ثقة، أو كتابٍ أو سُــنَّة. وافتقادهم للعلم الحقِّ وللعالم الحقِّ هو الَّذي أوقعهم فيما أوقعهم فيه، وقــد جاء في الحديث: «**يحملُ هذا العِلْمَ من كُلِّ خَلَــفٍ عُدُولُه، ينفُون عنــه تحريفَ الغالين، وانتحــالَ المُبْطِلين، وتأويلَ الجاهلين**»[1].

وكثيرًا ما تجد بينهم السحرة، الَّذين يُتقنون السِّحر، والَّذين يدَّعونه ولا يعرفون عنه شــيئًا، والَّذيــن يدَّعون علم الغيــب، وهم لا يعرفون حاضرهم ولا حاضر غيرهم، والمُخَرِّفين من كلِّ جنسٍ ونوع.

وبعض البلاد يُفْتَقَد فيها العالم الشــرعي، الَّذي يُحســن الفقه في الدِّين، ويعرف كيف يجيب عن أســئلة الســائلين، ويردُّ على شبهات المجادلين أو المماحكين بالدليل القوي، والمنطق السليم، من صريح الكتاب، وصحيح السُّنَّة، ومعقول القياس، ومن الأدلَّة الشرعيَّة المعتبرة لدى علمــاء الأُمَّة الكبــار، حتَّى تــكاد تقرأ في هذه البــلاد الحديث المرفوع الصحيح المُتَّفق عليه، الَّــذي رواه عبد الله بن عمرو: «**إنَّ الله لا يقبض العِلْــمَ انتزاعًا ينتزعه من النَّاس، ولكــنْ يقبضُ العلم بقبض العلماء، حتَّى إذا لم يُبْقِ عالمًا، اتَّخذ النَّاس رؤوسًــا جهالًا، فسُــئِلوا فأفتوا بغير عِلْم، فضلُّوا وأضلوا**»[2].

ولذا يتزعَّم النَّاس من يزعمون لأنفســهم العلم، ممَّن يدعي بعضهم أنَّه من مشايخ الطرق الصوفيَّة، وهو لا يكاد يحسن القراءة، أو يدعي أنَّه

(١) سبق تخريجه صـ١٠.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، كلاهما فـي العلم، عـن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

أخذ العلم من العالم الفلاني، وهو لا يحسن أن يقرأ صفحة من كتاب علمٍ معتبر، ولو فعل لضحك النَّاس من أخطائه الفادحة والفاضحة.

نسمع من النَّاس في تلك القرى و(العزب) البعيدة عن منارات العلم من الأفكار والرؤى والحكايات ما تعجب له وتدهش منه، وتستغرب أن يكون هذا إلى اليوم في ديار المسلمين.

هذا الجهل العميق والعريق هو الَّذي ينشر الخرافات والمبتدعات، ولا دواء لذلك إلَّا أن نُعَلِّم النَّاس، وننقلهم من هذه الحالة الَّتي يعيشون فيها حيث يأكلون ويشربون وينامون، وكأنَّهم ليسوا من الآدميِّين الَّذين كلَّفهم الله بعبادته، إلى معرفة ما أوجبه الله عليهم، فيعرفوا ربَّهم، ويعرفوا رسولهم، ويعرفوا دينهم، ويعرفوا عقائده، وعباداته المفروضة، وحقوقهم وواجباتهم، حتَّى يستطيعوا أن يطالبوا بما لهم من حقٍّ، ويُؤَدُّوا ما عليهم من واجب.

ولهذا يجب على كل الدول الإسلاميَّة تعميم تعليم محو الأُمِّيَّة، فإنَّ من العار على الأُمَّة الإسلاميَّة، الَّتي جعل الله تعالى معجزتها الكبرى كتابًا أنزله إليهم، وقام رسولهم ـ وهو النبيُّ الأُمِّيُّ ـ بأوَّل محاولة لمحو الأُمِّيَّة في بلاد العرب، ونشر العلم، وحثِّ الأُمَّة على أن تتعلَّم وتُشِيع العلم ما استطاعت. وهذا واجب العلماء والمُعَلِّمين والدعاة، أن ينهضوا بالأُمَّة في هذه الناحية، حتَّى تنتقل إلى أُمَّة العلم والتعليم والهداية.

٤ ـ الاعتماد على الأحاديث الواهية والموضوعة:

ومن أهمِّ ما يستندون إليه لجهلهم بحقائق الدِّين: ما أورده الإمام الشاطبي في كتابه «الاعتصام» وهو: «اعتمادهم على الأحاديث الواهية

QaradawiBooks.com

الضعيفــة، والمكذوب فيها على رســول الله ﷺ، والَّتــي لا يقبلها أهل صناعة الحديث في البناء عليهــا: كحديث الاكتحال يوم عاشــوراء[١]، وإكرام الديك الأبيض[٢]، وأكل الباذنجــان بنيَّة[٣]! وأنَّ النبيَّ ﷺ تواجد واهتزَّ عند السماع حتَّى سقط الرداء عن مَنْكِبَيه[٤]، وما أشبه ذلك.

فإنَّ [مُعْتَمِد] أمثال هذه الأحاديث على ما هو معلوم جاهل أو مخطئ في نقل العلم، فلم يُنقل الأخذ بشيء منها عمَّن يُعْتَدُّ به في طريقة العلم، ولا طريقة السلوك.

وإنَّما أخذ بعــض العلماء بالحديث الحســن، لإلحاقه عنــد المُحَدِّثين بالصحيح؛ لأنَّ سنده ليس فيه من يُعاب بجرحة مُتَّفق عليها، وكذلك أخذ من أخذ منهم بالمرسل ليس إلَّا، من حيث ألحق بالصحيح في أنَّ المتروك ذكره كالمذكور والمُعَدَّل، فأمَّا ما دون ذلك فلا يؤخذ به بحالٍ عند علماء الحديث.

ولو كان من شأن أهل الإسلام الذابِّين[٥] عنه الأخذُ من الأحاديث بكلِّ

---

(١) ذكره الســخاوي في المقاصد الحســنة صـ ٦٣٢، رقم (١٠٨٥)، وقــال: موضوع. وقال: قال الحاكم: منكر، والاكتحال يوم عاشوراء لم يرد عن النبي ﷺ فيه أثر، وهو بدعة ابتدعها قتلة الحســين عليه السلام. تحقيق محمد عثمان الخشــت، نشــر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٢) رواه الطبراني في مســند الشــاميين (١٤٢٨)، بلفظ: الديك الأبيــض صديقي. عن أبي زيد الأنصاري، وقال الألباني في الضعيفة (٣٦١٨): موضوع.

(٣) قال السخاوي في المقاصد الحسنة صـ ٢٣١، رقم (٢٧٩): باطل لا أصل له.

(٤) قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥٦٣/١١): حديث مكذوب موضوع باتفاق أهل العلم بهذا الشأن.

(٥) في أصل طبعة المنار مكان الذابين: إذًا يبين (؟). وعلامة الاستفهام من الشيخ رشيد رحمه الله، والصواب فيما نرى: الذابِّين، أي المدافعين. ونســخة الاعتصام للشاطبي بها أخطاء كثيرة، حاول العلَّامة الشيخ رشيد رضا أن يصحِّحها، ولكن فاته كثير منها. وقد بدا لنا في بعضها ما لم يبد له، رحمه الله.

QaradawiBooks.com

ما جاء عن كلِّ من جاء؛ لم يكن لانتصابهم للتعديل والتجريح معنى، مع أنَّهم قد أجمعوا على ذلك، ولا كان لطلب الإسناد معنى يتحصَّل، فلذلك جعلوا الإسناد من الدِّين. ولا يعنون: «حدَّثني فلان، عن فلان» مجردًا، بل يريدون ذلك لِمَا تضمَّنه من معرفة الرجال الَّذين يُحَدِّث عنهم، حتَّى لا يُسْنِد عن مجهول، ولا مجروح، ولا مُتَّهم، إلَّا عمَّن تحصل الثقة بروايته؛ لأنَّ رُوح المسألة أن يغلب على الظنِّ من غير ريبة أنَّ ذلك الحديثَ قد قاله النبيُّ ﷺ، لنعتمد عليه في الشريعة، ونسند إليه الأحكام.

والأحاديث الضعيفة الإسناد لا يغلب على الظنِّ أنَّ النبيَّ ﷺ قالها، فلا يمكن أن يسند إليها حكم، فما ظنُّك بالأحاديث المعروفة الكذب؟! نعم الحامل على اعتمادها في الغالب إنَّما هو ما تقدَّم من الهوى المُتَّبع.

وهذا كلُّه على فرض ألَّا يعارض الحديثَ أصلٌ من أصول الشريعة، وأمَّا إذا كان له معارض، فأحرى ألا يؤخذ به؛ [لأنَّه] هدمٌ لأصل من أصول الشريعة، والإجماع على منعه إذا كان صحيحًا في الظاهر، وذلك دليل على الوهم من بعض الرواة، أو الغلط من بعض الرواة، أو النسيان، فما الظنُّ به إذا لم يصحَّ؟

وجه كلام الإمام أحمد:

على أنَّه قد رُوِيَ عن أحمد بن حنبل أنَّه قال: الحديث الضعيف خيرٌ من القياس[1]. وظاهره يقتضي العمل بالحديث غير الصحيح؛ لأنَّه قدَّمه على القياس المعمول به عند جمهور المسلمين، بل هو إجماع السَّلف رضي الله عنهم، فدلَّ على أنَّه عنده أعلى رتبة من العمل بالقياس.

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١٥٩/٦)، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م. ورواه ابن حزم في المحلى (٨٧/١) بلفظ: الحديث الضعيف أحب إلينا من الرأي.

QaradawiBooks.com

والجواب عن هذا: أنَّه كلامُ مجتهدٍ يحتمل اجتهاده الخطأ والصواب؛ إذ ليس له على ذلك دليل يقطع العذر.

وإن سلم، فيمكن حملُه على خلاف ظاهره؛ لإجماعهم على طرح الضعيف الإسناد، فيجب تأويله على أن يكون أراد به: الحسن السند وما قاربه[١] على القول بإعماله.

أو أراد «خير من القياس» لو كان مأخوذًا به، فكأنَّه يردُّ القياس بذلك الكلام، مبالغة في معارضة من اعتمده أصلًا حتَّى ردَّ به الأحاديث. وقد كان رحمه الله يميل إلى نفي القياس، ولذلك قال: ما زلنا نلعن أهل الرأي ويلعنونا، حتَّى جاء الشافعي فمزج بينَنا[٢].

أو أراد بالقياس: القياس الفاسد الَّذي لا أصل له من كتابٍ ولا سُنَّة ولا إجماع، ففضَّل عليه الحديث الضعيف وإن لم يعمل به.

وأيضًا فإذا أمكن أن يُحْمَل كلامُ أحمد على ما يسوغ، لم يصحَّ الاعتماد عليه في معارضة كلام الأئمَّة رضي الله عنهم[٣].

---

(١) في الأصل: دار به، وأعتقد أنَّ الصواب ما أثبتناه.

(٢) ذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك (٩١/١)، نشر مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط١.

(٣) قال العلامة ابن القيم عند بيان ترجيح أحمد الحديث الضعيف والمرسل على القياس بشرطه ما نصُّه: وليس المراد بالضعيف عنده الباطل ولا المنكر، ولا ما في روايته متَّهم بحيث لا يسوغ الذهاب إليه في العمل به. بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح، وقسم من أقسام الحسن. ولم يكن يقسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف، بل إلى صحيح وضعيف، وللضعيف عنده مراتب. إعلام الموقعين (٢٥/١) تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
وسبقة إلى مثله شيخه ابن تيمية رحمهما الله تعالى، فصرَّح بأن أول من قسَّم الحديث إلى ثلاثة أقسام صحيح وحسن وضعيف: الترمذي، وأنَّ الضعيف الذي يرجِّحه أحمد على الرأي هو الحسن عند الترمذي ومَن اختار تقسيمه، كحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، =

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

رواية الضعيف في الترغيب والترهيب:

فإن قيل: هذا كلُّه ردٌّ على الأئمَّة الَّذين اعتمدوا على الأحاديث الَّتي لم تبلغ درجة الصحيح؛ فإنَّهم كما نصُّوا على اشتراط صحَّة الإسناد؛ كذلك نصُّوا أيضًا على أن أحاديث الترغيب والترهيب لا يشترط في نقلها للاعتماد صحَّة الإسناد، بل إن كان ذلك فبها ونعمت، وإلَّا فلا حرج على من نقلها واستند إليها، فقد فعله الأئمَّة كمالكٍ في الموطأ، وابن المبارك في رقائقه، وأحمد بن حنبل في رقائقه، وسفيان في جامع الخير، وغيرهم.

فكل ما في هذا النوع من المنقولات راجع إلى الترغيب والترهيب، وإذا جاز اعتماد مثله جاز فيما كان نحوه ممَّا يرجع إليه، كصلاة الرغائب، والمعراج، وليلة النصف من شعبان، وليلة أوَّل جمعة من رجب، وصلاة الإيمان، والأسبوع، وصلاة بر الوالدين، ويوم عاشوراء، وصيام رجب، والسابع وعشرين منه، وما أشبه ذلك، فإنَّ جميعها

= وحديث إبراهيم الهَجَري. فما ضعفوه بعلَّة تقضي الترك لا يأخذ به أحمد، ولا يرجحه على القياس، وما ضعفوه بعلَّة من علل الحديث لا يقتضي الترك، يأخذ به ويرجِّحه على القياس، إذا لم يكن ثمَّ شيء يدفعه من حديث صحيح، أو قول صحابي، أو إجماع. وهذا الذي يقول به أحمد كان عليه جمهور الفقهاء في عصره الذي تحرَّر فيه نقد الحديث، أي لم يكونوا يتركون العمل بكلِّ ما أعلَّه المحدِّثون، بل ما أعلُّوه بمثل عدم الثقة بأحد رواته. أمَّا من ضعفوه بالتفرُّد بزيادة في حديث لم يروها من هم أوثق منه فقد يعمل بحديثه، لأن زيادة الثقة حجَّة. وقد قدَّم أبو حنيفة حديث القهقهة في الصلاة، وحديث الوضوء بنبيذ التمر، وحديث أكثر الحيض على القياس. وقد ذكر الإمام أحمد جماعة من الضعفاء الذين يروي عنهم في المسند وذكر أنَّه يروي عنهم لاعتبار ولتأييد بعض الروايات ببعض لا للاحتجاج. ومن ذلك قوله في ابن لهيعة: ما كان حديثه بذاك. وما أكتب حديثه إلَّا للاعتبار به والاستدلال. أنا قد أكتب حديث الرجل كأني أستدل به مع حديث غيره يشتد به، لا أنَّه حجة إذا انفرد اهـ. انظر: مجموع الفتاوى (٢٥٢/١)، (٢٤٨/١٨، ٢٤٩).

QaradawiBooks.com

راجع إلى الترغيب في العمل الصالح، فالصلاة على الجملة ثابت أصلها، وكذلك الصيام، وقيام الليل، كلُّ ذلك راجع إلى خير نقلت فضيلته على الخصوص.

وإذا ثبت هذا، فكل ما نُقِلَت فضيلته في الأحاديث، فهو من باب الترغيب، فلا يلزم فيه شهادة أهل الحديث بصحَّة الإسناد، بخلاف الأحكام.

فإذن، هذا الوجه من الاستدلال من طريق الراسخين لا من طريق الَّذين في قلوبهم زيغ، حيث فرَّقوا بين أحاديث الأحكام، فاشترطوا فيها الصحَّة، وبين أحاديث الترغيب والترهيب، فلم يشترطوا فيها ذلك.

فالجواب: أنَّ ما ذكره علماء الحديث من التساهل في أحاديث الترغيب والترهيب لا ينتظم مع مسألتنا المفروضة[١].

وبيانه: أنَّ العمل المُتَكَلَّم فيه، إمَّا أن يكون منصوصًا على أصله جملة وتفصيلًا، أو لا يكون منصوصًا عليه لا جملةً ولا تفصيلًا، أو يكون منصوصًا عليه جملةً لا تفصيلًا»[٢] انتهى.

---

(١) قال الحافظ السخاوي حول رواية الحديث الضَّعيف: وقد سمعت شيخنا (أي الحافظ ابن حجر) مرارًا يقول وكتبه لي بخطه: إن شرائط العمل بالضعيف ثلاثة: (**الأول**) متَّفق عليه، أن يكون الضعف غير شديد. فيخرج من انفرد من الكذابين والمتهمين بالكذب ومن فحش غلطه. (**الثاني**) أن يكون مندرجًا تحت أصل عام، فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصل. (**الثالث**) ألَّا يعتقد عند العمل به ثبوته، لئلا ينسب إلى النبي ﷺ ما لم يقله. قال: والأخيران عن ابن عبد السلام وعن صاحبه ابن دقيق العيد، والأول نقل العلائي الاتفاق عليه. انظر: القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع صـ ٢٥٥، نشر دار الريان للتراث، وكتابنا: المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري (٤٧/١ ـ ٦١)، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٢) انظر: الاعتصام للشاطبي (٢٢٤/١ ـ ٢٢٨).

QaradawiBooks.com

٥ ـ التقليد الأعمى:

ومن أهمِّ ما يستندون إليه: التقليد الأعمى، فهم لا يعتمدون على الدليل، الَّذي يتمسَّك به دعاة السُّنة، ويستنيرون به، من كتابٍ ناطق، أو سنةٍ ماضية، أو إجماعٍ ثابت، أمَّا هؤلاء، فهم لا يتمسَّكون إلَّا بالرجال غير المعصومين، بأقوالهم لا بأدلَّتهم، وأقوالهم ليست حُجَّة على الخلق، ولا براهين على الحقِّ؛ لأنَّ غير المعصوم لا يزيد على غيره من النَّاس، ولا يستطيع أن يلزم أحدًا بقوله.

فكلُّ من يعتمد بدعة من البدع في أصول الدِّين، أو فروعه، لا يستطيع هو أن يقيم الدليل الشرعي الصحيح، الَّذي يثق النَّاس بصحَّته، ويُسَلِّمون بدلالته، وإنَّما يعتمد على فلان من النَّاس، فهو حُجَّته وعمدته وكل رأس ماله. وهذا الشخص ليس نبيًّا يؤخذ بما يقوله على أنَّه دليلٌ قاطع، أو برهانٌ ساطع، بل كلُّ البشر بعد الرسل، شأنهم شأنه في وسائل، يؤخذ من كلامهم ويردُّ عليهم، وكلُّ كلامهم في حاجةٍ إلى ما يدلُّ عليه، وليس هو دليلًا في نفسه.

ولذلك حرص العلماء الرَّبَّانيُّون من أهل السُّنَّة والجماعة على أن يُعَلِّموا جماهير النَّاس الاستقلال في الرأي، والاعتماد على الأدلَّة، وإن كانت بسيطةً ومجملة، على قدر تحمُّلهم من العلم، ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧].

ومن فضائل الأدلَّة الإسلاميَّة: أنَّها غير مُنَفِّرة ولا ثقيلة على عموم النَّاس، بل هي أدلَّة مُيَسَّرة، مقدور ـ للعموم ـ على فهمها والاقتباس منها. فإنَّ الله تعالى قال عن القرآن: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨].

QaradawiBooks.com

ولذلك سُمِّيَ «الكتاب المبين»، وقال: سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ولذلك يسمعه الإنسانُ الأُمِّيُّ؛ الَّذي لا يَقْرأ ولا يَكْتب ولا يَحْسُب، ويتأثَّر به، ويعرف مضمونه العامَّ.

أمَّا قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، فليس الثِّقَل هنا لغموضه، وبُعْد فَهْم المراد منه، بل لعِظَم ما جاء به من عقائد وعبادات وقيم وتعاليم، يلزم الاستعداد له، بمثل قيام الليل وتلاوة القرآن، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ١ ـ ٥].

٦ ـ تقديم العقل على الشرع:

ومن أسباب الابتداع، وخصوصًا الابتداع العقائدي: تقديم العقل على الشرع. وهو ما وقع فيه من يُسَمَّون «الفلاسفة الإسلاميِّين»، مثل: الكِنْدي والفارابي وابن سينا وغيرهم، ومثل المعتزلة، وهم أمثلُ من الفلاسفة، وأقرب إلى احترام الشرع منهم، وإن كانوا قد قالوا بالتحسين والتقبيح العقليَّيْن.

وهذه قضيَّة خطيرة جدًّا، بحيث تجعل كلمة العقل هي العليا أبدًا، فإذا اجتمع نصٌّ شرعيٌّ ونظريَّة عقليَّة، وإن لم تكن ثابتة ثبوتًا قطعيًّا، يؤول النصُّ الشرعي ليوافق هذه النظريَّة العقليَّة.

والفلاسفة أجرأ من المعتزلة في ذلك وأوسع مدى، فقد أوَّلوا كلَّ ما يتعلَّق بالبعث الجسماني في القرآن والسُّنَّة، وما يتعلَّق بالنعيم الحِسِّي في الجنَّة، والعذاب الحِسِّي في النَّار.

QaradawiBooks.com

فنجد الفيلسوف الكبير يُعَظِّم أرسطو طاليس أعظمَ ممَّا يُعَظِّم محمدًا رسول الله، الَّذي قال الله فيه: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۞ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ ـ ٤]، فإذا جاء في الكتاب العظيم الَّذي جاء به مُحَمَّد ـ وهو القرآن ـ أنَّ الله أعدَّ للمؤمنين به، وللمُتَّقين من عباده جنَّة تجري منها الأنهار، ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ۞ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ۞ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۞ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۞ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ۞ وَحُورٌ عِينٞ ۞ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ۞ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الواقعة: ١٧ ـ ٢٤].

أخرج هذ الفيلسوف هذا الكلام الواضح بمعانيه ودلالاته إلى معانٍ أخرى، ليس فيها أكلٌ ولا شربٌ ولا نساء، ولا شيءٌ من لذات الدُّنْيا الَّتي يعرفها النَّاس؛ لأنَّ أرسطو لم يعرف هذه الجنَّة ولم يُقِرَّ بما فيها.

وكذلك ما ورد عن النَّار، وما فيها من مثل قوله تعالى في سورة الحجِّ: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ۞ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ۞ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ۞ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٢].

فهذا لا يعترف به الفيلسوف؛ لأنَّ أرسطو لم يعرفه ولم يقُلْ به. وأرسطو سمَّوْه: «المُعَلِّم الأوَّل»، فما لم يعتبره المُعَلِّم الأوَّل لا يجوز أن يكون في المعلومات الأساسيَّة.

أمَّا المسلم فالمُعَلِّم الأوَّل عنده مُحَمَّد ﷺ، الَّذي قال له ربَّه: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]، وقال عن القرآن: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٢].

QaradawiBooks.com

إنَّ هذا في الحقيقة ليس تقديمًا للشرع في حدِّ ذاته على العقل، فليس عندنا قضيَّة عقليَّة قطعيَّة قضى بها العقل، عارضها الشرع، إنَّما هناك قضايا اعتقدها بعض النَّاس، واعتبروها حقائق منطقيَّة، ورثوها من اليونان وفلسفتهم، فنقلوها وزادوا عليها، وردُّوا كلَّ ما يخالفها.

إنَّ الإسلام يحترم العقل ويُقَدِّره، ويُسَلِّم له بما يُقَرِّره بنفسه، ويُقيم عليه الأدلَّة، ويأمر الإسلام بالنزول عنده، والتسليم لبراهينه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ في ثلاثة عشر موضعًا، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤، النحل: ١٢، الروم: ٢٤].

وقد رفض القرآن التقليد الأعمى للآخرين، مثل الآباء والأجداد: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

إنَّ إنسان الآخرة هو إنسان الدُّنيا، وسيبعثه الله كما كان في الدُّنيا، بجسمه وروحه، بكيانه كلِّه، المادِّي والمعنوي، وليس ذلك بمُعْجِزٍ له، فمن بدأه أقدرُ على إعادته، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٣، ٤]. وإنَّما ذكر البنان؛ لما أودع الله فيه من خصائص تميز كل إنسان عن غيره، برغم ملايين البشر، كما تثبت ذلك مسألة «البصمة».

إنَّنا نحن المسلمين، لا نرفض العقل الحُرَّ المُسْتَقِلَّ، ولكنَّنا نرفض العقل المقيَّد بأفكارٍ وفلسفاتٍ معيَّنة، سحرته وسخرته وأخرجته عن

QaradawiBooks.com

حاكميَّته، وأمسى يعمل بما توحيه إليه، منقادًا لها، متأثرًا بها، لا يستطيع أن يجهر بمخالفتها.

لقد ألفت من قديم كتابًا عن «العقل والعلم في القرآن»، بيَّنت فيه كيف ارتقى الإسلام بالعقل الإنساني، واحتكم إليه، وجعله هادي النَّاس إلى الله، وموصلهم إلى هداه، فإذا وصل الإنسان إلى وحي الله، وآمن عقله به، سلم له، وتلقى منه، وأخذ عنه، وهذا هو المنطق الحر الَّذي تقر به الفطر السليمة، وتهدي إليه العقول الحكيمة.

ووفق منطق هذا العقل، استقبل المسلمون معارف الأمم السابقة وفلسفاتها، فنقلوها إلى العربيَّة، واشتغل بها علماؤهم، وأضافوا إليها، ونقحوا فيها، واخترعوا وزادوا عليها علومًا جديدة، مثل علم الجبر وغيره، ونقدوا بعضها، كما نقل الإمام الغزالي في كتابه «تهافت الفلاسفة» الَّذي صدَّره بكلمة أرسطا طاليس: أفلاطون صديق، والحقُّ صديق، ولكنَّ الحقَّ أصدق منه[1].

لا يوجد دين كالإسلام يحترم العقل البشري، ويترك له مجالات يعمل فيها في الكون، والَّتي يكتشف بها ما يكتشف من قوانينه، ويسخرها في خدمة البشر، والَّتي يستطيع به الإنسان أن يستخدمه في معرفة خالق الكون، وبارئ الإنسان، وواهب الحياة، والَّذي يفهم خطاب الله تعالى له، من خلال النظر في شرعه، فهو الَّذي يفهمه ويشرحه ويفسره، بما يناسب الزمان والمكان والحال والعرف، إلخ.

وقد كتب الإمام ابن تيمية كتابًا صدر في عشرة أجزاء سمَّاه: «درء

(١) تهافت الفلاسفة صـ ٧٦، تحقيق د. سليمان دنيا، نشر دار المعرفة، ط ٦.

QaradawiBooks.com

تعارض العقل والنقل»، وهو الَّذي يبيِّن فيه بعقلانية وإيمان ووضوح: أنَّ صحيح المنقول، لا يناقض صريح المعقول، والعكس أيضًا صحيح.

ولكن المشكلة هي مشكلة الَّذين يضخمون ما سمَّوه عقلًا، بحيث أعطوه حق التقدم على النص الشرعي، وهو ما وقع فيه العقليون عامَّة، ابتداءً من الفلاسفة، حتَّى الإسلاميين منهم، وحتى المعتزلة، الَّذين سمَّاهم بعضهم: «أحرار الفكر في الإسلام»! وكأن علماء الإسلام الآخرين، الَّذين يمثلون جمهور الأمة، عبيد الفكر، مع أنَّ الواقع أنَّ الَّذين سموهم أحرار الفكر هم الَّذين عبَّدوا أنفسهم للآخرين.

إنَّ البدع الكُلِّيَّة الكبرى، إنَّما وراءها عقول مُقَلِّدة، لا عقول حرَّة، ولا عقول مُسْتَقِلَّة.

إنَّ المعتزلة ـ الَّذين يسمَّون القَدَرِيَّة ـ والرافضة، والخوارج، والمُرْجِئَة، كلهم إنَّما قادهم إلى الابتداع ذلك العقل، الَّذي لا ينقاد إلى كتاب الله، ولا إلى سُنَّة رسول الله، ولا يتَّبع الأصول، ولا يجادل الآخرين بالَّتي هي أحسن.

حتى الخوارج الَّذين يبالغون في اتِّباع النصوص، لا يأخذون النصوص كلَّها، بل يأخذون بالقرآن دون السنن، ويكتفون ببعض النصوص دون بعض، والمفروض في المسلم المنقاد للحقِّ: أن يرجع إلى القرآن كلِّه، ولا يأخذ بعضَه، ويترك بعضَه، كما قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

QaradawiBooks.com

وهو ينقاد إلى ما جاء وصحَّ عن رسول الله، كما ينقاد إلى ما جاء عن الله ﷻ، فهو الَّذي أمر بذلك، فوجب أن ننقاد له، ونتبع ما أمرنا به، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠]، ويقول: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ ﴾ [النساء: ٨٠].

٧ ـ تحريف الأدلَّة عن مواضعها ونماذج منها:

ومن أسباب الابتداع والانحراف: تحريف الأدلَّة عن مواضعها، أي: الاستدلال بما ليس بدليلٍ شرعي صحيح، ومن تلك النماذج في تحريف الأدلَّة:

أولًا: الاستدلال على سكنى الكهوف والمقابر ونحوها:

من ذلك: استدلال بعض المتأخِّرين من المُتَصَوِّفة، على جواز اتِّخاذ «الخلوات» والعزلة فيها عن النَّاس، والانقطاع عن الجمع والجماعات، والسكنى في المغاور والكهوف والمقابر، والأماكن المهجورة ونحوها، بعدَّة أمور، ليس في شيء منها دليل على صحَّة ما فعلوا.

١ ـ قالوا: إنَّ الخلوات تُشْبِه الاعتكاف الشرعي.

٢ ـ وقالوا: إنَّ النبيَّ ﷺ تحنَّث بغار حراء قبل الوحي.

٣ ـ واحتجَّ بعضهم بفعل أهل الصُّفَّة.

الخلوة في الكهوف والمقابر ليست هي الاعتكاف الشرعي:

فأمَّا الأوَّل، فتشبيه الخلوة بالاعتكاف الشرعي غلط؛ لأنَّ الاعتكاف الشرعي، الَّذي شرعه النبيُّ ﷺ وفعله هو وأصحابه إنَّما هو في مساجد

QaradawiBooks.com

المسلمين، وبين ظهرانَيْهم، فلا ينقطع عن جمعةٍ ولا جماعة. وكان اعتكاف النبيِّ ﷺ في مناسبات خاصَّة، كالعشر الأواخر من رمضان، فهذا الاعتكاف لا يأخذ صورة العزلة عن المجتمع، ولا الانقطاع عن الحياة، ولا صفة الدوام، إنَّما هي فترة مؤقَّتة للخلوة مع الله، وتلاوة كتابه، والاستغراق في ذِكْرِه وشُكْرِه وحُسْنِ عبادته.

ما كان قبل النبوَّة لا يُحْتَجُّ به ما لم يستمرَّ بعد النبوَّة:

وأمَّا الثاني، فالاحتجاج به خطأ أيضًا، كما قال الإمام ابن تيمية: «فإنَّ ما فعله ﷺ قبل النبوَّة، إن كان قد شرعه بعد النبوَّة، فنحن مأمورون باتِّباعه فيه، وإلَّا فلا. وهو من حين نبَّأه الله تعالى لم يَصْعَد بعد ذلك إلى غار حراء، ولا خلفاؤه الراشدون. وقد أقام صلوات الله عليه بمكَّة قبل الهجرة بضع عشرة سنة، ودخل مكَّة في عمرة القضاء وعام الفتح، أقام بها قريبًا من عشرين ليلة، وأتاها في حجَّة الوداع؛ وأقام بها أربع ليال، وغار حراء قريبٌ منه ولم يقصده.

وذلك أنَّ هذا كانوا يأتونه في الجاهليَّة، ويقال: إنَّ عبد المطلب هو الَّذي سنَّ لهم إتيانه؛ لأنَّه لم تكن لهم هذه العبادات الشرعيَّة، الَّتي جاء بها بعد النبوَّة صلوات الله عليه، كالصلاة والاعتكاف في المساجد، فهذه تُغْني عن إتيان حراء»[1].

حقيقة وضع أهل الصُّفَّة:

وأمَّا احتجاج بعضهم على مشروعيَّة الانقطاع في الزوايا والربط، بلا كسبٍ ولا عمل، ولا مشاركةٍ في طلب علمٍ أو تعليم، أو إصلاح بين

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٣٩٤).

QaradawiBooks.com

النَّاس ـ مع توافر القُدْرة والأهليَّة ـ بعمل أهل الصُّفَّة في حياة النبيِّ ﷺ، فهو احتجاج خاطئ كذلك.

وقد وضح ذلك الإمام الشاطبي، فقال: «ولا بدَّ من بسط طَرَف من الكلام في هذه المسألة بحول الله حتَّى يتبيَّن الحقُّ فيها لمن أنصف ولم يُغالط نفسه، وبالله التوفيق.

وذلك أنَّ رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة؛ كانت الهجرة واجبة على كلِّ مؤمن بالله، ممَّن كان بمكَّة أو غيرها، فكان منهم من احتال على نفسه، فهاجر بماله أو شيء منه، فاستعان به لمَّا قدم المدينة في حرفته، الَّتي كان يحترف من تجارة أو غيرها ـ كأبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه ؛ فإنَّه هاجر بجميع ماله، وكان خمسة آلاف ـ ومنهم من فرَّ بنفسه، ولم يقدر على استخلاص شيءٍ من ماله، فقدم المدينة صِفْر اليَدَيْن.

وكان الغالب على أهل المدينة العمل في حوائطهم وأموالهم بأنفسهم، فلم يكن لغيرهم معهم كبيرُ فضل في العمل.

وكان من المهاجرين من أشركهم الأنصار في أموالهم، وهم الأكثرون؛ بدليل قصَّة بني النَّضِير؛ فإنَّ ابن عبَّاس رضي الله عنه قال: لمَّا افتتح رسولُ الله ﷺ بني النضير؛ قال للأنصار: «**إنْ شئتم قسمتُها بين المهاجرين، وتركتم نصيبكم فيها، وخلَّى المهاجرون بينكم وبين دُوركم وأموالكم؛ فإنَّهم عيالٌ عليكم**». فقالوا: نعم. ففعل ذلك نبيُّ الله ﷺ ؛ غير أنَّه أعطى أبا دُجَانة وسهل بن حُنَيف، وذكر أنَّهم فقراء[1].

(١) لم أقف عليه من حديث ابن عباس. ورواه أبو داود في الخراج والإمارة (٣٠٠٤)، وصحَّح إسناده الألباني في صحيح أبي داود (٢٥٩٥)، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، بمعناه.

QaradawiBooks.com

وقد قال المهاجرون أيضًا لرسول الله ﷺ: يا رسولَ الله، ما رأينا قومًا أبذلَ من كثير، ولا أحسن مواساةً من قليل من قومٍ نزلنا بين أظهرهم ـ يعني الأنصار ـ لقد كَفَوْنا المؤنة، وأشركونا في المَهْنَأ، حتَّى لقد خِفْنا أن يذهبوا بالأجر كلِّه. فقال النبيُّ ﷺ: «**لا، ما دعوتم الله لهم وأثنيتُم عليهم**»[(١)].

ومنهم من كان يلتقط نوى التمر، فيَرَضُّها، ويبيعها علفًا للإبل، ويتقوَّت من ذلك الوجه، ومنهم من لم يجد وجهًا يكتسب به لقوتٍ ولا لسُكْنى، فجمعهم النبيُّ ﷺ في صُفَّة كانت في مسجده، وهي سقيفة كانت من جملته، إليها يأوون، وفيها يقعدون، إذ لم يجدوا مالًا ولا أهلًا، وكان النبيُّ ﷺ، يحضُّ النَّاس على إعانتهم، والإحسان إليهم.

وقد وصفهم أبو هُرَيْرة رضي الله عنه، إذ كان من جملتهم، وهو أعرف النَّاس بهم؛ قال في الصحيح: وأهل الصُّفَّة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهلٍ ولا مال، ولا على أحدٍ، إذا أتته ـ يعني النبيَّ ﷺ ـ صدقةٌ، بعث بها إليهم، ولا يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هديَّة، أرسل إليهم، وأصاب منها، وأشركهم فيها[(٢)].

فوصفهم بأنَّهم أضياف الإسلام، وحكم لهم ـ كما ترى ـ بحكم الأضياف، وإنَّما وجبت الضيافة في الجملة؛ لأنَّ من نزل بالبادية، لا يجد منزلًا ولا طعامًا لشراء، إذ لم يكن لأهل الوَبَرِ أسواق يُنال منها ما يُحتاج إليه من طعام يشترى، ولا خانات يُأوى إليها، فصار الضيف مضطرًا وإن كان ذا مال، فوجب على أهل الموضع (ضيافته وإيواؤه) حتَّى يرتحل، فإن كان لا مال له؛ فذلك أحرى.

---

(١) رواه أحمد (١٣١٢٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الأدب (٤٨١٢)، والترمذي في صفة القيامة (٢٤٨٧)، وقال: حسن صحيح غريب. وصحَّحه الألباني في المشكاة (٣٠٢٦)، عن أنس.

(٢) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٥٢).

QaradawiBooks.com

فكذلك أهل الصُّفَّة لمَّا لم يجدوا منزلًا، آواهم النبي ﷺ إلى المسجد حتَّى يجـدوا، كما أنَّهم حين لم يجدوا ما يقوتهـم، ندب النبيُّ ﷺ إلى إعانتهم. وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، إلى قوله: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٧٣] الآية.

فوصفهم الله تعالى بأوصاف منها: أنَّهم أحصروا في سـبيل الله؛ أي: مُنِعوا وحُبِسـوا حين قصـدوا الجهاد مع نبيِّـه ﷺ، كأنَّ العذر أحصرهـم، فلا يسـتطيعون ضربًـا فـي الأرض لاتِّخاذ المسـكن ولا للمعاش؛ لأنَّ العدو قد كان أحاط بالمدينة، فلا هم يقدرون على الجهاد حتَّى يكسـبوا مـن غنائـمه، ولا هـم يتفرَّغـون للتجارة أو غيرها، لخوفهم مـن الكُفَّار، ولضعفهم فـي أوَّل الأمر، فلم يجدوا سبيلًا للكسب أصلًا.

وقد قيل: إنَّ قولـه تعالى: ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [البقـرة: ٢٧٣]، أنَّهم قـوم أصابتهم جراحات مع رسـول الله ﷺ، فصاروا زَمْنَى، وفيهم أيضًا نزل قولـه تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [الحشـر: ٨]. ألا ترى كيف قال: ﴿ أُخْرِجُواْ ﴾. ولم يقل: خرجوا من ديارهم وأموالهم؟! فإنَّه قد كان يحتمل أن يخرجوا اختيارًا، فبان أنَّهم إنَّما خرجوا اضطرارًا، ولو وجدوا سبيلًا ألا يخرجوا؛ لفعلوا. ففيه ما يدلُّ على أنَّ الخروج من المال اختيارًا ليس بمقصود للشـارع، وهو الَّذي تدلُّ عليه أدلَّة الشريعة.

فلأجل ذلك بوَّأهم رسول الله ﷺ الصُّفَّة، فكانوا في أثناء ذلك ما بين طالبٍ للقرآن والسُّـنَّة، كأبي هُرَيْرة، فإنَّه قصر نفسه على ذلك، ألا ترى

QaradawiBooks.com

إلى قوله في الحديث: وكنتُ ألزمُ رسولَ الله ﷺ على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا[١].

وكان منهم من يتفرَّغ إلى ذكر الله وعبادته وقراءة القرآن، فإذا غزا رسول الله ﷺ غزا معه، وإذا أقام أقام معه.

حتَّى فتح الله على رسوله وعلى المؤمنين، فصاروا إلى ما صار النَّاس إليه غيرهم، ممَّن كان له أهلٌ ومالٌ من طلب المعاش واتِّخاذ المسكن؛ لأنَّ العذر الَّذي حبسهم في الصفة قد زال، فرجعوا إلى الأصل لما زال العارض.

فالَّذي حصل: أنَّ القعود في الصفة لم يكن مقصودًا لنفسه، ولا بناء الصفة للفقراء مقصودًا؛ بحيث يُقال: إنَّ ذلك مندوب إليه لمن قدر عليه، ولا هي رتبة شرعيَّة تُطْلب؛ بحيث يُقَال: إنَّ ترك الاكتساب، والخروج عن المال، والانقطاع إلى الزوايا يشبه حالة أهل الصُّفَّة، وهي الرتبة العليا. لأنَّها تشبُّه بأهل صُفَّة رسول الله ﷺ، الَّذين وصفهم الله تعالى في القرآن بقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام: ٥٢] الآية، وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨] الآية؛ فإن ذلك لم يكن على ما زعم هؤلاء، بل كان على ما تقدَّم.

والدليل على ذلك من العمل: أنَّ المقصود بالصُّفَّة لم يدم، ولم يثابر أهلها ولا غيرهم على البقاء فيها، ولا عُمرت بعد النبيِّ ﷺ، ولو كان من قصد الشارع ثبوت تلك الحالة؛ لكانوا هم أحقَّ بفهمها أوَّلًا، ثمَّ بإقامتها والمكث فيها عن كلِّ شغل، وأولى بتجديد معاهدها، لكنَّهم لم يفعلوا ذلك البتَّة.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢٠٤٧)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٩٣).

QaradawiBooks.com

فالتشبُّه بأهل الصُّفَّة إذن في إقامة ذلك المعنى، واتِّخاذ الزوايا والرُّبُط لا يصحُّ».

قال الشاطبي: «فليفهم المُوَفَّق هذا الموضع؛ فإنَّه مَزِلَّةُ قَدَمٍ لمن لم يأخذ دِينَه عن السَّلف الأقدمين والعلماء الراسخين.

ولا يظنُّ العاقل أنَّ القعود عن الكسب ولزوم الرُّبُط مباح، أو مندوب إليه، أو أفضل من غيره؛ إذ ليس ذلك بصحيح، ولن يأتي آخر هذه الأُمَّة بأهدى ممَّا كان عليه أوَّلها.

ويكفي المسكين المغترَّ بعمل الشيوخ المتأخِّرين أنَّ صدور هذه الطائفة المُتَسَمَّين بالصوفيَّة لم يتَّخذوا رباطًا ولا زاوية، ولا بنوا بناءً يُضاهون به الصُّفَّة للاجتماع على التعبُّد والانقطاع عن أسباب الدنيا؛ كالفُضَيْل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، والجُنَيْد، وإبراهيم الخوَّاص، والحارث المحاسبي، والشِّبْلي، وغيرهم ممَّن سابق في هذا الميدان.

وإنَّما محصول هؤلاء أنَّهم خالفوا رسول الله ﷺ، وخالفوا السَّلف الصالح، وخالفوا شيوخ الطريقة الَّتي انتسبوا إليها، ولا توفيق إلَّا بالله»[1].

ثانيًا: معنى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾:

ومن وضع النصوص في غير موضعها، استدلال بعضهم بقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ على أنَّ «الأولياء» يتصرَّفون في الكون كما يشاؤون كرامةً من الله لهم.

(١) الاعتصام للشاطبي (١/٢٠١ ـ ٢٠٥).

QaradawiBooks.com

وكثيرًا ما سمعنا بعض من ينتسبون إلى العلم ـ خصوصًا من المُتَصَوِّفة ـ مستشهدًا بها على هذه الدعوى العريضة. وكأنَّما وجد الدليل الَّذي لا يخطئ، والبرهان الَّذي لا ينقض!

والحقُّ أنَّ الآية وردت في القرآن الكريم بهذا اللفظ في مَوْضِعَيْن من القرآن، وكلاهما في جزاء أهل الجنَّة، بمعنى أنَّ لهم فيها من أسباب النعيم والسعادة كلَّ ما تشتهيه أنفسهم.

أمَّا الموضع الأوَّل، ففي سورة الزمر، حيث قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الزمر: ٣٣، ٣٤].

والثاني في سورة الشورى، حيث قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَٰتِ ٱلْجَنَّٰتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الشورى: ٢٢].

وهذا المعنى قد تكرَّر في عدَّة مواضع من سور القرآن الكريم، ففي سورة النحل: ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [النحل: ٣٠، ٣١]، وفي سورة الفرقان: ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ۝ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ﴾ [الفرقان: ١٥، ١٦]، وفي سورة قّ: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [قّ: ٣٥].

وبهذا نعلم أنَّ هذه الآيات جميعًا، ليس فيها دليلٌ ولا شبهةُ دليلٍ، على أنَّ الأولياء يتصرَّفون في هذا الكون كما يشاؤون، حَسَبما يزعم الزاعمون، وإنَّما ذلك من تحريف الكلم عن مواضعه.

QaradawiBooks.com

ثالثًا: أنتم أعلم بشؤون دنياكم:

ومن النصوص الَّتي حرَّفها بعض المعاصرين عن موضعها، الحديث الَّذي رواه مسلم في قضيَّة تأبير النخل، حيث أشار النبيُّ ﷺ على الأنصار برأيٍ على سبيل الظنِّ منه، فأخذوا به، وحسبوه من قبيل الوحي الواجب اتِّباعه، ولكنَّ الثمر لم يصلح في ذلك الموسم، فكلَّمهم الرسول في ذلك، فذكروا له أنَّهم التزموا بما أشار عليهم به، فقال: «**إنَّما ظننتُ ظنًّا، فلا تؤاخذوني في الظنِّ**»[(١)]، «**أنتم أعلم بأمْرِ دُنْياكم**»[(٢)].

وهنا يريد بعض النَّاس أن يهدم بهذا الحديث الواحد، الوارد في هذه المناسبة الخاصَّة، كلَّ ما جاء من سننٍ وأحاديث ـ فضلًا عن الآيات القرآنيَّة الكريمة ـ في تنظيم شؤون الحياة الدنيويَّة: فرديَّة وأُسْريَّة واجتماعيَّة، حتَّى إنَّ أطول آية في كتاب الله، نزلت في شأن من شؤون دنيا النَّاس، وهو المداينة وكتابة الدِّين.

معنى حديث: «أنتم أعلمُ بشؤون دُنْياكم»:

إذن، ما معنى هذا الحديث: «**أنتم أعلمُ بشؤون دُنْيَاكم**»؟

إنَّ معناه واضحٌ لا لبس فيه، وهو أنَّ الدِّين لا يتدخَّل في أمور البشر الَّتي تدفع إليها غرائزهم وحاجاتهم الدنيويَّة، إلَّا حيث يكون فيها إفراطٌ أو تفريطٌ أو انحراف، كما أنَّه يتدخَّل ليربط حركات الإنسان كلَّها ـ حتَّى الغريزيَّة والعاديَّة منها ـ بأهداف اجتماعيَّة عليا، وقيم روحيَّة مثلى، ثمَّ ليرسم له آدابًا إنسانيَّة راقية في أداء هذه الأعمال، تميِّزه عن الحيوان الأعجم، وتصله بربِّه الأعلى، الَّذي خلقه فسوَّاه، ونفخ فيه من رُوحه.

---

(١) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦١)، عن طلحة بن عبيد الله.

(٢) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦٣)، عن أنس، وعائشة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فالناس بطبيعتهم لا بدَّ أن يأكلوا، سواء أمر الدِّين بذلك أم لم يأمر، ولكن قد وجدت من قديم، بعض النحل والفلسفات الَّتي قامت على تعذيب الجسد، وحرمانه من الطيِّبات، كما وجد في الحياة أناسٌ يُسْرفون في تمتيع الأجساد، والعبِّ من الشهوات. ولهذا جاء القرآن بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۞ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة: ٨٧، ٨٨]، ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

نضرب هنا بعض الأمثلة للأمور الدُّنْيويَّة وموقف الإسلام منها:

أ ـ القتال:

فالإسلام جاء يُحَدِّد أهداف القتال، ويأمر بالاستعداد له، وأخذ الحذر من العدوِّ، وإعداد ما يستطاع من القوَّة، بمثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ٧١]، ﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ [النساء: ١٠٢]، ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ﴾ [البقرة: ١٩٠]. وقوله ﷺ: «**أَلَا إنَّ القوَّةَ الرَّمْيُ**»[(١)]، «**مَنْ علم الرَّمْيَ ثُمَّ تركه، فليس مِنَّا**» أو «**قد عصى**»[(٢)]، «**من قاتل لتكون كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[(٣)].

أمَّا نوع الأسلحة الَّتي تستعمل في القتال، وطريقة صنعها، وكيفيَّة التدريب عليها، وما شابه ذلك، فليس من شأن الدِّين، قد يكون السلاح

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٩١٧)، عن عقبة بن عامر.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٩١٩)، عن عقبة بن عامر.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢٣)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٤)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

في عصرٍ ما هو السيف والرمح والقوس، وفي عصرٍ ثانٍ هو المنجنيق والمدفع، وفي عصر آخر: هو القنابل الحارقة أو المُتَفجِّرة.

وقد يستخدم المحاربون في وقتٍ ما الخيل، وفي وقتٍ آخر الفيلة، وفي وقتٍ ثالثٍ الدبابات أو الطائرات أو الصواريخ، أو سفن الفضاء.

وتوجيه الدِّين في عصر الخيل بالنظر إلى القتال، هو نفس توجيهه في عصر الصاروخ.

الهدف هو الهدف: أن تكون كلمة الله هي العليا. والأدب هو الأدب: «**لا تَغْدِروا، ولا تُمَثِّلوا**»(١)، ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وإعداد القُوَى المستطاعة، وأخذ الحذر، وتدريب الأُمَّة، هو هو، تتغيَّر الآلات والوسائل والكيفيَّات، أمَّا المبادئ والغايات فهي ثابتة باقية.

ب ـ الزراعة:

فالإسلام يحثُّ عليها، ويعِدُ الزراع بأفضل المثوبة عند الله، «**ما من مسلمٍ يزرع زرعًا، أو يغرس غرسًا، فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمة، إلَّا كان له به صدقة**»(٢). ويحثُّ على غرس الشجر خاصَّة: «**من نصب شجرةً، فصبر على حفظها، والقيام عليها، حتَّى تُثْمر، فإنَّ له في كلِّ شيءٍ يُصَاب من ثمرها صدقةً عند الله** ﷻ»(٣).

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٣١)، عن بريدة بن الحصيب.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٠)، ومسلم في المساقاة (١٥٥٣)، عن أنس بن مالك.

(٣) رواه أحمد (١٦٥٨٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٩٢٨): رواه أحمد وفيه قصة وإسناده لا بأس به. عمَّن شهد النبي ﷺ.

QaradawiBooks.com

ولكنَّ الدِّين لا يتدخَّل ليعلِّم النَّاس كيف يزرعون؟ وماذا يزرعون؟ ومتى يزرعون؟ وبأيِّ شيءٍ يزرعون؟ وبماذا يسقون الزرع؟ أبالشادوف، أم بالطنبور، أم بالساقية، أم بالآلة الميكانيكيَّة؛ بالريِّ التقليدي أم بالرش أم بالتنقيط أم غيرها؟

الدين لا دخل لـه هنا، فليس هذا من اختصاصه، إنَّما هو من اختصاص وزارة الزراعة، أو ما يشابهها من المؤسَّسات!

وتطور أدوات الزراعة من المحراث الَّذي تجرُّه الأبقار، إلى المحراث الميكانيكي، وتغيُّر طريقة الري وأدواته، من الشادوف والسواقي إلى الآلات الميكانيكيَّة الحديثة، أو الريِّ من الآبار الارتوازيَّة، لا يُغَيِّر من موقف الدِّين وتوجيهاته الراسخة الأولى.

ج ـ التداوي:

لقد فهم بعض النَّاس من قديم أنَّ المرض شيءٌ قدَّره الله على الإنسان، وما قدَّره الله نافذ لا محالة، فما فائدة التداوي؟

والنبيُّ ﷺ يلحظ ذلك، فيُبَيِّن للنَّاس أنَّ المرض من الله، والدواء من الله: «**يا عبادَ الله، تداوَوْا؛ فإنَّ الله ما أنزل داءً إلَّا أنزل له دواءً**»[(١)]، «**تَدَاوَوْا، ولا تتداووا بحرامٍ**»[(٢)]، «**ما أنزل الله داءً إلَّا أنزل له شفاءً،**

(١) رواه أحمد (١٨٤٥٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٨)، وقال: حسن صحيح. كلاهما في الطب، عن أسامة بن شريك.

(٢) رواه أبو داود في الطب (٣٨٧٤)، والبيهقي في الضحايا (٥/١٠)، وضعف إسناد أبي داود النووي في خلاصة الأحكام (٣٢٦٧)، وصحَّح إسناده ابن الملقن في تحفة المحتاج (٨٤٧)، عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

علمه من علمه، وجهله من جهله»[١]، وسئل النبيُّ ﷺ عن الأدوية: هل تَرُدُّ من قَدَر الله شيئًا؟ فقال: «**هي من قَدَرِ الله**»[٢]، وهو بصفة عامَّة يوصي بصيانة البدن، وحفظه ووقايته من كلِّ أذًى؛ لأنَّه عدَّة المؤمن للجهاد، وأدائه واجبه نحو ربِّه ونَفْسه وأسرته والنَّاس أجمعين.

أمَّا الدواء فما هو؟ وكيف يصنع؟ ومن أيِّ المواد؟ وما مقداره؟ إلخ، فليس هذا من شأن الدين، وإنَّما هو من شأن وزارة الصحَّة، أو ما شابهها.

لكن يبقى الدِّين هو الأوَّل في الحثِّ على التداوي، وعدم التداوي بالحرام، وفي رعاية حق البدن، ساريًا غير منسوخ ولا مُبَدَّل.

* * *

غير مرخصة للطباعة

(١) سبق تخريجه صـ٥٠.

(٢) رواه أحمد (١٥٤٧٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف على خطأ فيه. والترمذي (٢٠٦٥)، وقال: حسن. وابن ماجه (٣٤٣٧)، كلاهما في الطب، وحسَّنه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (١١)، عن أبي خزامة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفصل السابع

أخطار البدعة على الدِّين وعلى أصحابها

البدعة لا يُتَاب منها:

من أهم الأخطار الَّتي تحملها البدعة في الدِّين على صاحبها: أنَّها لا يُتاب منها كما يتاب من المعاصي عامَّة؛ لأنَّ من مقومات البدعة: أنَّها تفعل مبالغةً في التعبُّد إلى الله تعالى، فكيف يتوب ممَّا يتعبَّد به ويتقرَّب إلى الله سبحانه، وهذا ما نبَّه عليه السَّلف رضي الله عنهم، وحذَّروا منه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإذا كانت التوبة والاستغفار تكون من ترك الواجبات، وتكون ممَّا لم يكن علم أنَّه ذنب، تبيَّن كثرة ما يدخل في التوبة والاستغفار، فإنَّ كثيرًا من النَّاس إذا ذُكِرَت التوبة والاستغفار، يستشعر قبائح قد فعلها، فعلم بالعلم العامِّ أنَّها قبيحة: كالفاحشة، والظلم الظاهر. فأمَّا ما قد يُتَّخَذ دِينًا، فلا يعلم أنَّه ذنب إلَّا من علم أنَّه باطل، كدِين المشركين، وأهل الكتاب المبدَّل، فإنَّه ممَّا تجب التوبة والاستغفار منه، وأهله يحسبون أنَّهم على هدى، وكذلك البدع كلُّها.

ولهذا قال طائفة من السلف، منهم الثوري: البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية؛ لأنَّ المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يتاب منها. وهذا معنى ما روي عن طائفة أنَّهم قالوا: إنَّ الله حجر التوبة على كلِّ صاحب

QaradawiBooks.com

بـدعـة. بمعـنـى أنَّـه لا يتوب منها؛ لأنَّه يَحْسب أنَّه على هدى، ولو تاب لتاب عليه، كما يتوب على الكافر.

ومن قال: إنَّه لا يقبل توبة مُبْتَدِع مطلقًا فقــد غـلـط غلـطًـا منكرًا. ومن قال: ما أذن الله لصاحب بدعة في توبة. فمعناه ما دام مبتدعًا يراها حســنة لا يتوب منها، فأمَّا إذا أراه الله أنَّها قبيحــة، فإنَّه يتوب منها. كما يرى الكافر أنَّه على ضلال؛ وإلَّا فمعلــومٌ أن كثيرًا ممَّن كان على بدعةٍ تبيَّن له ضلالها، وتاب الله عليه منها. وهؤلاء لا يحصيهم إلَّا الله.

و«الخوارج» لمَّا أرســل إليهم ابن عبَّــاس، فناظرهم، رجـع منـهـم نـصـفـهـم، أو نحوه، وتابــوا[1]، وتاب منهم آخــرون على يد عمر بن عبد العزيز وغيره[2]، منهم من سمع العلم فتاب، وهذا كثير، فهذا القسم الَّذي لا يعلم فاعلوه قُبْحَه قسم كثير من أهل القبلة، وهو في غيرهم عامٌّ، وكذلك ما يترك الإنسان مـن واجبات لا يعلم وجوبها كثيرة جدًّا، ثمَّ إذا علم ما كان قد تركه من الحسنات من التوحيد والإيمان، وما كان مأمورًا بالتوبة منه، والاستغفار ممَّا كان سيِّئة، والتائب يتوب ممَّا تركه وضيَّعه، وفرَّط فيه من حقوق الله تعالى، كما يتوب ممَّا فعله من الســيئات، وإن كان قد فعل هذا وترك هذا قبل الرسالة، فبالرسالة يستحقُّ العقاب على ترك هذا وفعل هذا. وإلَّا فكونه كان فاعلًا للســيئات المذمومة، وتاركًا للحسنات الَّتي يذم تاركها، كان تائبًا قبل ذلك.

فإن قيــل: إذا لم يكن معاقبًــا عليها فلا معنى لقبحهــا. قيل بل فيه معنيان:

(١) سبق تخريجه صـ١٢١.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣٥٨/٥).

QaradawiBooks.com

أحدهما: أنَّه سببٌ للعقاب، لكن هو متوقِّف على الشرط وهو الحُجَّة، قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فلولا إنقاذه لسقطوا، ومن كان واقفًا على شفير فهلك، فهلاكه موقوف على سقوطه، بخلاف ما إذا بان وبعد عن ذلك، فقد بعد عن الهلاك. فأصحابها كانوا قريبين إلى الهلاك والعذاب.

الثاني: أنَّهم مذمومون منقوصون معيبون. فدرجتهم منخفضة بذلك ولا بدَّ. ولو قدر أنَّهم لم يُعَذَّبوا لا يستحقُّون ما يستحقُّه السليم من ذلك من كرامته أيضًا وثوابه. فهذه عقوبةٌ بحرمان خير، وهي أحد نوعي العقوبة.

وهذا وإن كان حاصلًا لكل من ترك مستحبًّا، فإنَّه يفوته خيره، ففرق بين ما يفوته ما لم يحصل له، وبين ما ينقص ما عنده. وهذا كلام عام فيما لم يعاقب عليه من الذنوب.

وأمَّا من لم يرسل إليه رسول في الدنيا: فقد رويت آثار أنَّهم يرسل إليهم رسول في عرصات القيامة، كما قد بسط في مواضع.

وقد تنازع النَّاس في (الوجوب والتحريم)، هل يتحقق بدون العقاب على الترك؟ على قولين: قيل: لا يتحقق؛ فإنَّه إذا لم يعاقب كان كالمباح. وقيل: يتحقَّق؛ فإنَّه لا بدَّ أن يذمَّ وإن لم يعاقب.

وتحقيق الأمر أنَّ العقاب نوعان: نوع بالآلام، فهذا قد يسقط بكثرة الحسنات. ونوع بنقص الدرجة وحرمان ما كان يستحقه، فهذا يحصل إذا لم يحصل الأول.

والله تعالى يكفر سيئات المسيء، كما قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، فيكفرها تارة بالمصائب، فتبقى درجة صاحبها كما كانت، وقد تصير

QaradawiBooks.com

درجته أعلى، ويكفرها بالطاعات، ومن لم يأت بتلك السيئات أعلى درجة. فيحرم صاحب السيئات ما يسقط بإزائها من طاعته، وهذا ممَّا يتوب منه من أراد ألَّا يخسر، ومن فرط في مستحبات فإنَّه يتوب أيضًا؛ ليحصل له مُوجبها. فالتوبة تتناول هؤلاء كلَّهم»[1].

البدعة أخطر من الكبيرة:

وقد اعتبر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: البدعة هي العقبة الثانية، بعد الكفر وقبل الكبائر، وهي سبع عقبات، بعضها أصعب من بعض لا ينزل الشيطان من عقبة إلى ما دونها، إلَّا إذا عجز عن الظفر به فيها، فبعد أن تحدَّث ابن القيِّم في «المدارج» عن عقبة الكفر في ثلاثة أسطر، تحدَّث عن العقبة الثانية، فقال: «وهي عقبة البدعة، إمَّا باعتقاد خلاف الحقِّ، الَّذي أرسل الله به رسوله، وأنزل به كتابه، وإمَّا بالتعبُّد بما لم يأذن به الله، من الأوضاع والرسوم المحدثة في الدين، الَّتي لا يقبل الله منها شيئًا. والبدعتان في الغالب متلازمتان، قلَّ أن تنفكَّ إحداهما عن الأخرى. كما قال بعضهم: تزوَّجت بدعة الأقوال ببدعةِ الأعمال، فاشتغل الزوجان بالعرس، فلم يَفْجَأْهم إلَّا وأولاد الزنى يَعيثون في بلاد الإسلام، تضجُّ منهم العباد والبلاد إلى الله تعالى.

وقال شيخنا: تزوَّجت الحقيقةُ الكافرة بالبدعة الفاجرة، فتولَّد بينهما خسران الدُّنْيا والآخرة.

فإنْ قطع هذه العقبة، وخلص منها بنور السُّنَّة، واعتصم منها بحقيقة المتابعة، وما مضى عليه السَّلف الأخيار، من الصحابة والتابعين لهم

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٦٨٤ ـ ٦٨٧).

QaradawiBooks.com

بإحسان، وهيهات أن تسمح الأعصار المتأخِّرة بواحدٍ من هذا الضرب! فإن سمحت به نَصَبَ له أهلُ البدع الحبائل، وبَغَوْه الغوائل، وقالوا: مُبْتَدِع مُحْدِث.

العقبة الثالثة: وهي عقبة الكبائر، فإن ظفر به فيها، زيَّنها له، وحسَّنها في عينه، وسوَّف به، وفتح له باب الإرجاء، وقال له: الإيمان هو نفس التصديق، فلا تقدح فيه الأعمال، وربَّما أجرى على لسانه وأذنه كلمة طالما أهلك بها الخلق، وهي قوله: لا يضر مع التوحيد ذنب، كما لا ينفع مع الشرك حسنة».

قال ابن القيم: «والظفر به في عقبة البدعة أحبُّ إليه، لمناقضتها الدين، ودفعها لما بعث الله به رسوله، وصاحبها لا يتوب منها، ولا يرجع عنها، بل يدعو الخلق إليها، ولتضمنها القول على الله بلا علم، ومعاداة صريح السُّنة، ومعاداة أهلها، والاجتهاد على إطفاء نور السنة، وتولية من عزله الله ورسوله، وعزل من ولاه الله ورسوله، واعتبار ما ردَّه الله ورسوله، ورد ما اعتبره، وموالاة من عاداه، ومعاداة من والاه، وإثبات ما نفاه، ونفي ما أثبته، وتكذيب الصادق، وتصديق الكاذب، ومعارضة الحقِّ بالباطل، وقلب الحقائق بجعْل الحقِّ باطلًا، والباطل حقًّا، والإلحاد في دِينِ الله، وتعمية الحقِّ على القلوب، وطلب العِوَج لصراط الله المستقيم، وفتح باب تبديل الدِّين جملة»[1].

حرمان صاحب البدعة من نور القرآن والسُّنَّة:

ومن أضرار البدعة على صاحبها إذا استمرأها واستمرَّ عليها: أن تحرمه من النور، ومن الرُّوح، اللذين يستمتع بهما صاحب السُّنَّة،

(١) مدارج السالكين (١/٢٣٧ ـ ٢٣٩).

QaradawiBooks.com

فصاحب السُّـنَّة ـ كما قال ابن القيِّم ـ «حيُّ القلب مستنيره، وصاحب البدعة: ميِّت القلب مظلمه. وقد ذكر الله سبحانه هذين الأصلين في كتابه في غير موضع، وجعلهما صفة أهل الإيمان، وجعل ضدهما صفة من خرج عن الإيمان.

فإنَّ القلب الحيَّ المستنير هو الَّذي عقل عن الله، وأذعن وفهم عنه، وانقاد لتوحيده، ومتابعة ما بعث به رسول الله ﷺ وآله.

والقلب المَيِّت المُظْلِم الَّذي لم يعقل عن الله، ولا انقاد لما بعث به رسول الله ﷺ، ولهذا يصف سبحانه هذا الضرب من النَّاس بأنَّهم أموات غير أحياء، وبأنَّهم في الظلمات لا يخرجون منها، ولهذا كانت الظلمة مُسْتَوْلية عليهم في جميع جهاتهم، فقلوبهم مظلمة ترى الحقَّ في صورة الباطل، والباطل في صورة الحقِّ، وأعمالهم مظلمة، وأقوالهم مظلمة، وأحوالهم كلُّها مظلمة، وقبورهم ممتلئة عليهم ظلمة.

وإذا قسمت الأنوار دون الجسر للعبور عليه بقوا في الظلمات، ومدخلهم في النَّار مظلم، وهذه الظلمة هي الَّتي خلق فيها الخلق أولًا، فمن أراد الله سبحانه وتعالى به السعادة أخرجه منها إلى النور، ومن أراد به الشقاوة تركه فيها، كما روى الإمام أحمد وابن حِبَّان في صحيحه، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ الله خلق خلقه في ظُلْمة، ثُمَّ ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النُّور اهتدى، ومن أخطأه ضلَّ**»[1].

(١) رواه أحمد (٦٦٤٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الإيمان (٢٦٤٢)، وقال: حسن. وابن حبان في التاريخ (٦١٦٩)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٠٧٦)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

فلذلك أقول: جفَّ القلم على علم الله، وكان النبيُّ ﷺ يسأل الله تعالى أن يجعل له نورًا في قلبه، وسمعه، وبصره، وشعره، وبشره، ولحمه، وعظمه، ودمه، ومن فوقه، ومن تحته، وعن يمينه، وعن شماله، وخلفه، وأمامه، وأن يجعل ذاته نورًا، فطلب ﷺ النور لذاته، ولأبعاضه، ولحواسِّه الظاهرة والباطنة، ولجهاته الستِّ.

وقال أبي بن كعب رضي الله عنه: المؤمن مدخله من نور، ومخرجه من نور، وقوله نور، وعمله نور.

وهذا النور بحسَب قُوَّته وضعفه يظهر لصاحبه يوم القيامة، فيسعى بين يديه ويمينه. فمن النَّاس من يكون نوره كالشمس، وآخر كالنجم، وآخر كالنخلة السَّحُوق، وآخر دون ذلك، حتَّى إنَّ منهم من يعطى نورًا على رأس إبهام قدمه، يضيء مرَّة ويطفئ أخرى، كما كان نور إيمانه ومتابعته في الدُّنيا، كذلك فهو هذا بعينه يظهر هناك للحسِّ والعِيَان.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، فسمَّى وحيه وأمره روحًا لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح، وسماه نورًا؛ لما يحصل به من الهدى واستنارة القلوب، والفرقان بين الحق والباطل.

وقد اختلف في الضمير في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا﴾، فقيل: يعود على الكتاب. وقيل: على الإيمان. والصحيح أنَّه يعود على الرُّوح، في قوله: ﴿رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾، فأخبر تعالى أنَّه جعل أمره رُوحًا ونورًا وهدًى، ولهذا ترى صاحب اتِّباع الأمر والسُّنَّة، قد كُسِيَ من الرُّوح والنور وما يتبعهما من الحلاوة والمهابة والجلالة والقبول ما قد حرمه غيره، كما قال الحسن: إنَّ المؤمن مَنْ رزق حلاوة ومهابة.

QaradawiBooks.com

وقال جلَّ وعلا: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، فأولياؤهم يُعيدونهم إلى ما خلقوا فيه، من ظلمة طبائعهم وجهلهم وأهوائهم، وكلما أشرق لهم نور النبوَّة والوحي، وكادوا أن يدخلوا فيه منعهم أولياؤهم منه وصدوهم، فذلك إخراجهم إياهم من النور إلى الظلمات.

وقال جل وعلا: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فإحياؤه سبحانه وتعالى بروحه الَّذي هو وحيه، وهو روح الإيمان والعلم، وجعل له نورًا يمشي به بين أهل الظلمة، كما يمشي الرجل بالسراج المضيء في الليلة الظلماء، فهو يرى أهل الظلمة في ظلامتهم، وهم لا يرونه كالبصير الَّذي يمشي بين العميان»[1].

* * *

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (٤١/٢، ٤٢)، تحقيق عواد عبد الله المعتق، نشر مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الفصل الثامن

أقسام البدعة

تنقسم البدعة عند العلماء إلى عدة أقسام متقابلة، يحسن بنا هنا أن نذكرها، ونحيط بها علمًا، ما دمنا نتحدَّث عن البدعة بجميع أنواعها ومراتبها. ونريد للقارئ المسلم الحريص، ألَّا يفوته شيء منها.

تنقسم البدعة ـ فيما نرى، وفيما قرأنا ـ إلى هذه الأقسام:

١ ـ بدعة بسيطة، وبدعة مُركَّبة.

٢ ـ وبدعة حقيقيَّة، وبدعة إضافيَّة.

٣ ـ وبدعة كُلِّيَّة، وبدعة جُزْئِيَّة.

٤ ـ وبدعة فعليَّة، وبدعة تَرْكيَّة.

٥ ـ وبدعة اعتقاديَّة، وبدعة عمليَّة.

٦ ـ وبدعة في العبادات، وبدعة في العادات.

كما أنَّ هناك من علماء الإسلام من يرى أنَّ البدعة تنقسم إلى الأحكام الشرعيَّة الخمسة المعروفة، وهي الواجب، والمستحبُّ، والمباح، والحرام، والمكروه. وسنخصُّ كلَّ واحدٍ من هذه الأمور هنا بحديث يناسبه إن شاء الله.

QaradawiBooks.com

١ ـ انقسام البدعة إلى بسيطة ومُرَكَّبة:

بعد إثبات البدعة، والاستدلال عليها، والانتهاء من الحكم عليها بأنَّ كل بدعة ضلالة ونحو ذلك، لا بدَّ من تقسيم البدعة إلى عدة أقسام، فمن أقسام البدعة: انقسامها إلى بسيطة ومُرَكَّبة.

فالبسيطة، هي البدعة المفردة، الَّتي تشتمل على أمرٍ واحدٍ ممَّا ابتدعه النَّاس، في العقيدة أو في العبادة أو في المعاملة، وهي أشبه بالبدعة الجزئيَّة.

وأمَّا البدعة المركَّبة، فهي الَّتي تحتوي على مجموعة بدع في بدعة واحدة، كما رأينا في بدعة النصف من شعبان، وإحياء العوامِّ لهذه الليلة، وهي مجموعة طقوس، تبدأ بعد المغرب ليلة الخامس عشر من شعبان، يتجمع النَّاس لها في المسجد، وبعد صلاة المغرب، يبدأ الجميع بقراءة سورة «يسَ»، وبعدها يصلون ركعتين (بنيَّة طول العمر)، على اعتقاد أن هذه الليلة هي الَّتي تقسم فيها الآجال والأرزاق، ثمَّ ركعتين أخريَيْن (بنيَّة الغِنَى عن النَّاس)، ثمَّ يدعون الدعاء المشهور عند الناس: «اللهمَّ يا ذا المنِّ ولا يُمَنُّ عليه، يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الطَّوْل والإنعام...». وفي هذا الدعاء تناقض مشهور أشرنا إليه في موضع آخر[1].

ومنها: إحياء بعض الطُّرقيَّة لياليَ معيَّنة في المسجد بنوع يُسَمُّونه الذكر، وهو لون من الرقص يجيدونه ويتنافسون فيه، ولهم منشد ينشدهم أشعارًا، كثيرًا ما تكون فيها تجاوزات، ومعهم أوتار يعزفون عليها، حتَّى يشتد تواجدهم، ويحدثون في المسجد ضجيجًا وأصواتًا لا تليق بجلال

(١) انظر كتابنا: فتاوى معاصرة (٣٧٩/١ ـ ٣٨٣).

QaradawiBooks.com

المسجد ووقاره. وبعد ذلك يقبلون على شيخهم ويعظمونه تعظيمًا فيه كثير من المبالغة، وكثيرًا ما يكون شبه أُمِّي، لا يتميَّز بعِلْم ولا دين.

٢ ـ البدعة منها حقيقيَّة ومنها إضافيَّة:

والبدعة كما يُقَسِّمها العلماء، تنقسم إلى بدعة حقيقيَّة، وإلى بدعة إضافيَّة، أي نسبيَّة، وقد أشار إلى ذلك الأستاذ البنَّا في أصوله العشرين. فما الفرق بينهما؟

البدعة الحقيقيَّة:

أمَّا الفرق بينهما في الحكم، فهو أنَّ الحقيقيَّة، مُتَّفَق عليها بين علماء الأمة أنَّها بدعة ضلالة، وأنَّها هي المقصودة بقوله ﷺ: «**كُلُّ بدعةٍ ضلالة**»[1]. لا يخالف في ذلك أحد.

البدعة الإضافيَّة:

بخلاف البدعة الإضافيَّة، فقد يخالف فيها مخالفون، ويدافع عنها مدافعون.

أمَّا الفرق المهمُّ فهو في ماهيَّة كلٍّ منهما، وتعريفه تعريفًا يُبَيِّن مُقَوِّمات كلٍّ منهما، حتَّى تتميَّز عن الأخرى، وتتميَّز بمُشَخِّصَاتها.

أمَّا الحقيقيَّة فقد بيَّنها العلَّامة الشيخ علي محفوظ، في كتابه القَيِّم «الإبداع في مضارِّ الابتداع» بقوله: «ما كان الابتداع فيها من جميع وجوهها، فهي بدعة محضة، ليست فيها جهة تندمج بها في السُّنَّة، وهي الَّتي لم يدلَّ عليها دليلٌ شرعيٌّ من كتابٍ أو سنةٍ، أو إجماعٍ ولا قياسٍ،

(١) سبق تخريجه صـ١٠.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ذلك أنَّ علماء الأُمَّة أجمعوا على أنَّ ثَمَّ دليلًا شرعيًّا غير ما ذكر، واختلفوا في تشخيصه، فقال قوم: هو الاستصحاب. وهم الشافعيَّة. وقوم الاستحسان. وهم الحنفيَّة. وقوم المصالح المرسلة. وهم المالكيَّة.

وبالجملة هو نوعٌ خاصٌّ من الدليل مُعْتَبَر عند أهل العلم لا في الجملة ولا في التفصيل، ولذا سُمِّيَت بدعة حقيقيَّة؛ لأنَّها شيءٌ مخترعٌ على غير مثال سابق، فهي بعيدة عن الشرع، خارجة عنه من كلِّ وجه، إن كان المبتدع قد يتمسَّك فيها [برأيٍ] يزعمه شبهة وليس بها.

ومن أمثلتها: التقرُّب إلى الله تعالى بالرَّهبانيَّة وترك الزواج، مع وجود الداعية إليه، وفقد المانع الشرعي، كرهبانيَّة النصارى المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧].

والرَّهبانيَّة هي: المبالغة في العبادة بالرياضة، والانقطاع عن النَّاس. وسبب ابتداعهم إيَّاها: أنَّ الجبَّارين ظهروا على المؤمنين بعد المسيح عليه السلام، فقاتلوهم حتَّى لم يبق منهم إلَّا القليل، فخافوا أن يفتنوهم في دينهم، فاختاروا الرَّهبانيَّة في رؤوس الجبال، فارِّين بدينهم، منقطعين للعبادة.

والاستثناء منقطع، أي: ما فرضناها نحن عليهم رأسًا، ولكنَّهم استحدثوها ابتغاء رضوان الله، فذمَّهم حينئذٍ بقوله: ﴿فَمَا رَعَوْهَا﴾، من حيث إنَّ النذر عهد مع الله تعالى، لا يحل نكثه، لا سيَّما إذا قصد به رضاه تعالى، فما رعاها كلهم بل بعضهم، ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾، لإيمانهم إيمانًا صحيحًا برسول الله ﷺ، بعد رعاية رهبانيتهم،

QaradawiBooks.com

لا لمجـرد رعايتها، فإنَّها بعـد البعثة لغو محض، وكفـر بحت، والآية لا تتعلق بهـذه الأمـة، إذ لا رهبانيَّة في الإسـلام، فهي منسـوخة في شريعتنا، بمثل قوله ﷺ: «**من رغب عن سُنَّتي فليس مِنِّي**»[(١)][(٢)].

١ ـ البدعة الكُلِّيَّة والبدعة الجزئيَّة:

من أقسام البدعة: انقسامها إلى بدعة كُلِّيَّة، وبدعة جُزْئِيَّة.

البدعة الكُلِّيَّة:

فالبدعة الكُلِّيَّة: هـي الَّتي تتعلَّق بمبدأ كُلِّيٍّ عـامٍّ، وتندرج تحتها أنواع وأفراد وجزئيَّات شتَّى، فهي تعتبر كالأصل أو القاعدة لبدع أخرى تنبني عليها[(٣)].

ومعظمها يتعلَّق بالبـدع الاعتقاديَّة والفِكْرِيَّة، مثـل بدع الخوارج، والروافض وقولهم: بعصمة الأئمَّـة، واتِّهامهم للصحابة بإنكارهم وصيَّة الرسول لعليٍّ وبنيه، وذُرِّيته من بعده.

والجبريَّة وقولهم: بأنَّ الإنسان مجبور ومسيَّر لا مخيَّر.

والمعتزلة وقولهم: بالأصول الخمسـة (التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر).

والمُرْجِئَة وقولهم: لا يضرُّ مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

(٢) انظر: الإبداع في مضار الابتداع للشـيخ علي محفوظ صـ ٤٧، ٤٨، نشـر مكتبة الرشـد، السعودية، ط ١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٣) انظر: الاعتصام (٢/٢٠٠، ٢٠١).

QaradawiBooks.com

والباطنيَّة وقولهم: إنَّ للشـريعة ظاهرًا وباطنًـا، وإخراجهم دلالات الألفاظ عن معانيها اللُّغويَّة، ووضعهم لها بأهوائهم معاني لا تدلُّ عليها حقيقةً ولا مجازًا.

ومن ذلك: بدعة من يُسَمُّونهم «القرآنيِّين» أو «أنصار القرآن»، ويعنون بهم الَّذين ينكرون السُّنَّة، وهي الأصل الثاني في الإسلام التالي للقرآن، الَّذي أمر بطاعة الله وطاعة رسوله.

وشر منهم: الَّذين لا يأخذون بالقرآن كلِّه، بل لا يأخذون إلَّا بالقرآن المَكِّي، الَّذي يدور على العقائد والكُلِّيَّات الدِّينيَّة المحضة. أمَّا ما يتَّصل بالتشـريع للحياة الإنسـانيَّة، كالأسـرة والمجتمع والدولة والعلاقات الدوليَّة، فهو مرفوض[1].

وأغرب من هؤلاء: من لا يرفض السُّـنَّة كُلَّها، وإنَّما يرفض أحاديث الآحاد منها، ويعنون به: ما لم يبلغ حدَّ التواتر. وهو جمهرة السُّـنَّة، أو (٩٩٪) منها.

وأمثل من هؤلاء: من لم يرفض قرآنًا ولا سُنَّة، ولكنَّه قال بالتحسين والتقبيح العقليَّيْن، ولم يكتفِ بتحسـين الشرع وتقبيحه، ومن هنا يقدم العقل على الشرع دائمًا.

البدعة الجزئيَّة:

وأمَّا البدعة الجزئيَّة، فهي الَّتي تتعلَّق بمسألةٍ واحدة، مثل بدعة التلفُّظ بالنيَّة والجهر بها في الصلاة، ومثل المبالغة في الطهارة إلى حدِّ الوسوسة، ومثل إضافة المؤذن الصـلاة على النبي ﷺ جهرًا بعـد الأذان، واختراع

(١) مثل محمود محمد طه، الذي حوكم في السودان، وقضت المحكمة بردته.

QaradawiBooks.com

ألفاظ لم ترد عنه ﷺ، مثل: الصلاة والسلام عليك، يا أوَّل خلق الله. ومثل أن يقول المستمع عند الشهادة بالرسالة: مرحبًا بحبيبي وقرَّة عَيْني مُحَمَّد بن عبد الله، ويقبل إبهامَيْه، ويمسح بهما عَيْنَيْه، إلى غير ذلك.

٢ ـ البدعة الفعليَّة والتركيَّة:

من أقسام البدعة: البدعة الفعليَّة والتركيَّة.

البدعة الفعليَّة:

أمَّا الفعليَّة، فهي معظم ما ذكرناه من أنواع البدع الَّتي يقع فيها النَّاس ويفعلونها من كُلِّيَّة وجزئية، وبسيطة ومركبة، وحقيقيَّة وإضافيَّة.

البدعة التركيَّة:

والبدعة التركيَّة: تتمثَّل في ترك ما واظب عليه النبيُّ ﷺ، وأصحابه، اعتقادًا بأنَّ تركه أفضل وأقرب إلى مرضاة الله سبحانه، من فعله، ومن ذلك ترك صلاة العيد في الخلاء، توهُّمًا بأنَّ صلاتها في المسجد أفضل، وتعمُّد عدم إشراك النساء فيها، على خلاف السُّنَّة المأثورة.

ومثل ذلك: التعبُّد بترك ما شرعه الله وأذن فيه، مثل الزواج. وترك التمتُّع بما أخرج الله من الزينة، والطيِّبات من الرزق، على غرار ما شرعته الرَّهبانيَّة في الديانة النَّصرانيَّة، وما شرعته مذاهب التقشُّف، وحرمان الجسد أو تعذيبه، في الفلسفات والديانات المختلفة مثل: المانويَّة والبرهميَّة وغيرها، وما فعله غلاة المُتَصَوِّفة في الديانة الإسلاميَّة.

وفي رأيي أنَّ ترك السُّنَّة لا يكون بدعة، إلَّا إذا اقترن بما أشرنا إليه من التعبُّديَّة، أي يكون الدافع إليه دينيًّا بحتًا، واعتقاد أنَّه أفضل من العمل بالسُّنَّة الواردة.

QaradawiBooks.com

فأما ترك السُّنَّة كسلًا أو تهاونًا، أو نحو ذلك، فيدخل في باب المعصية أو الكراهة، لا في باب البدعة.

مثل: ترك بعض النَّاس سُنَّة الجمعة البعديَّة باستمرار، وترك الاعتكاف في رمضان، وفي العشر الأواخر منه.

ومثل ذلك: ترك بعض النَّاس الزواج، لانشغاله بالمعيشة، أو بالسفر، أو بالعلم، كما فعل كثير من العلماء والصالحين، في مختلف الأزمان.

فهذا الترك لا يُعْتَبر بِدْعة، إلَّا إذا كان الترك من باب التديُّن والتعبُّد، وقد ألَّف صديقنا العالم الثبت المُحَدِّث الفقيه الشيخ عبد الفتَّاح أبو غُدَّة رَحِمَهُ اللَّهُ، كتابًا عنوانه «العلماء العُزَّاب» وذكر فيه عددًا من كبار علماء الأُمَّة وأئمَّتها، مثل الطبري والزمخشري والنووي وابن تيمية.

٣ ـ البدعة الاعتقاديَّة والعمليَّة:

وتنقسم البدعة من ناحية موضوعها إلى بدع تتعلَّق بالاعتقاد، وإلى بدع تتعلَّق بالأعمال.

البدعة الاعتقاديَّة:

فما يتعلَّق بالاعتقاد: البدع الكبرى، مثل: بدعة الخوارج في تكفير المسلمين بالجملة، مع أنَّ الأصل في الإسلام هو إعلان الشهادتين، وما تزال الشهادتان تدفع عن صاحبها ما لم يغيرها. ومثل تكفير مرتكب الكبيرة، مع قوله تعالى عن القاتل المتعمد: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨].

QaradawiBooks.com

ومثل: المعتزلة، الَّذين قالوا بالمنزلة بين المنزلتين، لمن اقترف كبيرة، لا هو بمؤمنٍ ولا هو بكافر، ولكنَّه مُخَلَّد في النار. ومثل قولهم بخلق القرآن. وقولهم: إنَّ الله ليس له صفة اسمها العلم، ولا صفة اسمها القدرة.

ومثل: قول المُرْجِئَة: لا يضرُّ مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة. هذا مع ربط نصوص القرآن والسُّنَّة بين الإيمان والعمل، فالإيمان: ما وقر في القلب وصدقه العمل.

ومثل: تكفير الشيعة لصحابة رسول الله ﷺ، أو تفسيقهم أو تبديعهم، إلَّا قليلًا منهم، وهم الَّذين أثنى الله عليهم في كتابه في عدة سور، وأثنى عليهم رسوله في أحاديث كثيرة مستفيضة. وزعم كثير منهم أنَّ القرآن يمكن أن يكون فيه خطأ، بل فيه أخطاء بالفعل، والقرآن المحفوظ عند المسلمين الحالي، ليس هو كل القرآن بالكامل.

إلى غير ذلك من الأباطيل الَّتي يعتقدها الملايين من البشر، الَّذين يزعمون أنَّهم من المسلمين. ولم يسلم لهم الآخرون بهذا الإسلام.

البدعة العمليَّة:

أمَّا البدع العمليَّة، فهي الَّتي تتَّصل بالأعمال الدِّينيَّة، كما في الأذان والصلوات والأذكار والدعوات بالزيادة فيها، أو حذفها كلها، وتغيير صيغها، بصيغ من صنع الإنسان نفسه. وكثيرًا ما تكون فيها مخالفات بيِّنة للقرآن وللحديث وللأصول الدِّينيَّة الَّتي اجتمعت عليها الأُمَّة، ونقلت عن السَّلف الماضين.

QaradawiBooks.com

٤ ـ بدع العبادات وبدع العادات:

وهناك بدع العبادات وبدع العـــادات. فأمَّا بدع العبادات، فقد ضربنا لها أمثلـــة كثيرة، مثل: بدع في زيادة الأذان عن الأذان الشـــرعي. ومثل: اختراع صلوات كصلاة الرغائب في أوَّل رجب، وغيرها كثير.

وأمَّا بدع العادات، فإنَّ تصوُّر بعض العادات دِينًا، تضاف إلى جملة الدين، ويتعبـــد بها، مثل: الموالـــد الَّتي تقام للأوليـــاء ـ الَّذين تعرفهم النَّاس ـ ويعتبرونها جـزءًا مـن الـدِّيـن، وهـي فـي الحقيقة أفراح شعبيَّة، خلطوها بأمورٍ من الدِّين، أو مُلْصَقة به.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الفصل التاسع

أمثلة للبدع في الواقع ما أُقِرَّ منها وما لم يُقَر

الغلوُّ في شخصيَّة النبيِّ الكريم:

ومن هذه الإضافة: ما أشاعه بعض الغُلاة عن شخصيَّة النبيَّ ﷺ، فهو ـ عندهم ـ أوَّل خلــق الله، وهو في قبره يعلم أمور أُمَّتــه، وتُعْرَض عليه أعمالها.

والصحيح أنَّ ما يعرض على النبيِّ من أعمال الأُمَّة في البرزخ: الصلاة والسلام عليه خاصَّة، دون بقيَّة أعمال الأُمَّة، وورد في هذا حديثان:

أحدهما: قال ﷺ: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ؛ فإنَّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»[(١)].

والثاني: قال ﷺ: «**صلُّوا في بيوتكم، ولا تتَّخذوها قبورًا، ولا تتَّخذوا بيتي عيدًا، وصلُّوا عليَّ وسلِّموا، فإنَّ صلاتكم تبلغني حيثما كنتم**»، وفي رواية: «**وســلامكم يَبْلُغني**»[(٢)]. وقال شيخ الإســلام: يُشير بذلك إلى أنَّ

(١) رواه أحمد (٨٨٠٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في المناسك (٢٠٤٢)، وصحَّح إسناده النووي في رياض الصالحين (١٤٠١)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه عبد الرزاق في الصــلاة (٤٨٣٩)، وأبو يعلى (٦٧٦١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤٩٧): فيه عبد الله بن نافع وهو ضعيف. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٨٥)، عن الحسن بن علي.

QaradawiBooks.com

ما ينالني منكم من الصلاة والسلام، يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم، فلا حاجة لكم إلى اتخاذه عيدًا[١].

ومن الأدلَّة على أنَّ أعمال الأُمَّة لا تعرض على النبيِّ ﷺ، وأنَّه لا يدري عنها، ما ثبت في الصحيحين، عن سهل بن سعد الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي فَرَطُكم على الحوض، من مرَّ عليَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، ليَرِدَنَّ عليَّ أقوامٌ أعرفهم ويَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحالُ بيني وبينهم**». قال أبو حازم فسمعني النُّعمان بن أبي عيَّاش فقال: هكذا سمعتَ من سَهْل؟ فقلتُ: نعم. فقال: أشهدُ على أبي سَعِيدٍ الخُدْري، سمعتُه وهو يزيد: «**فأقول: إنِّهم من أُمَّتي!**». فيقال: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فقال: «**سُحْقًا سحقًا لمن غيَّر بعدي**»[٢].

فقوله في الحديث: فيقال: «**إنَّك لا تدري ما أحدثوا بَعْدَكَ**». صريح في أنَّ أعمال أُمَّته لا تُعْرَض عليه، وأنَّه لا يدري عنها.

وبهذا يتبيَّن أنَّ القول بأنَّ أعمال الأُمَّة كُلَّها تُعْرَض على النبيِّ ﷺ في البرزخ خطأ اعتقادي، وأنَّ الصواب أنَّه إنَّما يُعْرَض على النبيِّ ﷺ ـ في البرزخ ـ من أعمال الأُمَّة الصلاة والسلام عليه خاصَّة، دون بقيَّة أعمالها.

هذا مع أنَّ النبيَّ ﷺ نهى المسلمين عن الغلوِّ في ذاته عليه الصلاة والسلام، وقال: «**لا تُطْرُوني كما أطرت النَّصارى عيسى ابن مريم، ولكن قولوا عبد الله ورسوله**»[٣].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (١٧٣/٢).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٥٨٣، ٦٥٨٤)، ومسلم في الفضائل (٢٢٩٠)، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٤٥)، عن عمر بن الخطاب.

QaradawiBooks.com

ولما قال أحدهم: ما شاء الله وشئت، يا رسولَ الله. قال: «**أجعلتَني لله نِدًّا؟! قلْ: ما شاء الله وحْدَه**»[١].

ولمَّا قال له بعضهم: يا مُحَمَّد، يا سـيِّدَنا وابنَ سَيِّدِنا، وخيرَنا وابنَ خيرِنا. قال: «**يا أيُّها النَّاس، عليكم بتقواكم، لا يَسْتَهْوِيَنَّكم الشيطانُ، أنا مُحَمَّد بـنُ عبد الله، عبدُ الله ورسـوله، والله ما أحـبُّ أن ترفعوني فوقَ منزلتي الَّتي أنزلني اللهُ**»[٢]، وفي رواية: «**السَّيِّد اللهُ تبارك وتعالى**»[٣].

وقال: «**اللهمَّ لا تجعلْ قبري بعدي وثنًا يُعْبَد**»[٤].

ولهذا قال البُوصِيري في بُرْدَتِه:

دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمو ... واحكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتَكِمِ
وانسُبْ إلى ذاتِه ما شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ ... وانسُـبْ إلى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ[٥]

الغلوُّ في الصالحين:

وأخطر من ذلك: ما اعتقدوه في شـأن الأوليـاء عامَّة، وبعض أفراد منهم خاصَّة، كالَّذين يُسَـمُّونهم «الأقطاب الأربعة»، وأنَّ لكلٍّ منهم ربع الدُّنيا، يتصـرَّف فيها، وهم على ما زعموا: أحمـد البدوي المدفون في

(١) رواه أحمد (١٨٣٩)، وقـال مخرِّجوه: صحيح لغيـره. وابن ماجه في الكفـارات (٢١١٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٣٩)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (١٢٥٥١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٠٩٧)، عن أنس.

(٣) رواه أحمد (١٦٣٠٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٤٨٠٦)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٠٠)، عن عبد الله بن الشخير.

(٤) رواه أحمد (٧٣٥٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده قويٌّ. عن أبي هريرة.

(٥) انظر: البردة مع شرح الباجوري صـ ٤٣، نشر مكتبة الصفا، القاهرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

طنطا من مصر، وإبراهيم الدسوقي في دسوق بها، وأحمد الرفاعي دفين قرية أُمِّ عُبَيْدة في واسط جنوبَ العراق، وعبد القادر الجيلاني دفين بغداد.

وكل هذه أباطيل، ما أنزل الله بها من سلطان، ولا قام عليها في الدين برهان، ولم يعط الله أحدًا من خلقه شيئًا من هذا، حتَّى الصحابة ﷺ، وهم سادة الأولياء، وصفوة الصالحين، لم يدَّعِ أحدٌ منهم، ولم يدَّعِ أحدٌ لهم أنَّهم أوتوا شيئًا من ذلك.

الغلوُّ في العبادات:

وكما تكون الزيادة في العقائد، تكون في العبادات. ومجال الزيادة هنا أكثر وأشهر، وهو المتبادر إلى الذهن عرفًا إذا ذكرت كلمة «البدعة»، فالذهن ينصرف إلى الابتداع في العبادات، الَّتي شرعها الله، وحدد لها كيفيات ومواقيت ومقادير، لا يجوز تحويرها ولا تعديلها، فضلًا عن تبديلها.

البدعة هنا أنواع ومراتب:

ونقرر هنا: أنَّ البدعة مراتب وأنواع، أشدها وأخطرها: البدعة الحقيقيَّة أو الأصليَّة. وذلك مثل الصلاة: الَّتي اخترعها المبتدعون في أوَّل شهر رجب، وسمَّوها: صلاة الرغائب.

ومثل ما ابتدعوه في إحياء ليلة النصف من شعبان من عدة طقوس، تبدأ بعد صلاة المغرب ـ شهدتها بنفسي، وشاركت فيها في زمن الصبا، تقليدًا لجمهور النَّاس في قريتي، قبل أن أتعلَّم ما يجب تعلمه ـ ومنها: قراءة سورة يسّ، ومنها: ركعتان بنية طول العمر.

ومنها: ركعتان بنية الغنى عن النَّاس.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولم يجئ في القــرآن، ولا في الســنة، حديث صحيح أو حســن، ولا حتَّى ضعيف، يشرع للنَّاس هذه الصلوات.

ومنها: قراءة الدعاء المعروف والمحفوظ عند العامَّة: اللهمَّ يا ذا المن ولا يمن عليه، يــا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الطــول والإنعام، لا إلٰه إلَّا أنت، ظهر اللاجئين، وجار المستجيرين، وأمان الخائفين.

اللهم إن كنت كتبتني عندك في أمِّ الكتاب شقيًّا أو محرومًا أو مطرودًا أو مقتَّرًا عليَّ في الرزق، فامحُ اللهمَّ بفضلك شقاوتي وحرماني وطردي وإقتار رزقي، وأثبتني عندك في أم الكتاب سعيدًا مرزوقًا وموفقًا للخيرات كلها، فإنــك قلت وقولك الحق، فــي كتابك المنزل، على لســان نبيك المرسل: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد: ٣٩].

وهذا الدعاء كله مــن أوله إلى آخره، لم يثبت في كتاب ولا سُــنَّة، ولا عمل به الصحابة، ولا التابعون لهم بإحســان. فكيف يعتبره العامَّة سُنَّة مشروعة يدعون إليها ويحيونها بصورة جماعيَّة، في ليلة النصف من شعبان في كلِّ عامٍ.

هذا مع أنَّ الآية الَّتي يســتدلُّون بها في الدعــاء تعارض المطلوب، لأنَّها تدل على أنَّ أمَّ الكتاب لا محو فيها ولا إثبات.

في العادات أو المعاملات:

وكما تكون الزيادة في العقيدة، وفــي العبادة، تكون في العادات أو المعاملات أيضًا، وذلك بإلزام النَّاس ما لــم يلزمهم الله إياه، وتكليفهم ما لم يكلفهم الله، واعتبار ذلك من الدين.

QaradawiBooks.com

ونقصد بالمعاملات: كل ما عدا الشعائر التعبدية من جوانب التشريع الإسلامي، كما هو مصطلح الفقهاء في تقسيم الشريعة إلى عبادات ومعاملات.

ومن ذلك: ما ذهب إليه جماعة من الفقهاء من إيقاع طلاق الثلاث بلفظة واحدة، وطلاق المرأة في حالة الحيض، أو في طهر مسَّها فيه، واتفق العلماء على تسميته «الطلاق البدعي»، ومعنى ذلك: أنَّه غير مشروع في الدين.

ومن ذلك: تحريم الغناء بآلة وبغير آلة، واتَّخاذ بعض النَّاس هذا الغناء للتعبُّد به والتقرُّب إلى الله.

ومن ذلك: تحريم ما لم يجئ نص صريح بحرمته، من الله ورسوله، وهو ما أنكره القرآن على أهل الجاهليَّة الَّذين حرَّموا ما رزقهم الله افتراءً على الله. وحكم القرآن عليهم بالضلالة، ونفى عنهم الهدى، وحمل عليهم في آيات شتَّى من سورة البقرة والمائدة والأنعام ويونس والنحل وغيرها.

ومن هذه الآيات قوله تعالى في سورة يونس: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس: ٥٩]، وفي سورة النحل: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل: ١١٦]، وفي سورة الأنعام: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

QaradawiBooks.com

متى يكون فعل ما تركه النبي بدعة؟

أمَّا فعل ما تركه النبي ﷺ، لحاجة دعت إلى ذلك بعد عصره لم تكن موجودة في عصره، أو كانت موجودة ولكن تأثيرها كان ضعيفًا، فإنَّ ذلك لا يعد بدعة.

من ذلك: ترك صلاة التراويح في جماعة، بعد أن صلَّى بالصحابة ليلتين كثر فيهما النَّاس، وفي الليلة الثالثة ازداد العدد أكثر، فلم يخرج إليهم النبيُّ ﷺ، بعد ذلك، ولكنَّه بيَّن السبب في ذلك: أنَّه خشي أن تفرض عليهم[١]. وقد قال الله تعالى في وصفه: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وهذه الخشية قد زالت بعد وفاته ﷺ، وانقطاع الوحي، فلهذا جمع عمر النَّاس على أبي بن كعب، وصلى بهم جماعة كما هو معلوم[٢].

ومن ذلك أيضًا: جمع المصحف، الَّذي تم في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وقد توقف فيه أوَّل الأمر؛ لأنَّه أمر لم يفعله النبي ﷺ، وما زال عمر يقنع أبا بكر ويشرح له أسباب الحاجة إلى هذا الأمر، حتَّى شرح الله صدره له[٣]. وكان فيه الخير كل الخير.

ومن ذلك أيضًا: جمع عثمان رضي الله عنه المسلمين على مصحف واحد، يكتب بحرف واحد، حين جاءه حذيفة بن اليمان، وبيَّن له ما رآه من اختلاف النَّاس، حتَّى إن بعضهم يقول لبعض: قرآني خير من قرآنك[٤]. وهذا خطر شديد، وقد أقره الصحابة ـ ومنهم علي بن أبي طالب ـ على ذلك.

---

(١) سبق تخريجه صـ١٩. وفيه: «نعمت البدعة هذه».

(٢) سبق تخريجه صـ١٩.

(٣) سبق تخريجه صـ٤٨.

(٤) سبق تخريجه صـ٦٤.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قول الأشاعرة: إنَّ الله لا يفعل شيئًا لحكمة:

ومن هذه الإضافات والزيادات في الدين: ما تبنَّاه الأشاعرة وجعلوه جزءًا من عقائدهم: أنَّ الله لا يخلق شيئًا بسبب، ولا يفعل شيئًا لحكمة، أو علة، على خلاف ما جاءت به نصوص صريحة متكاثرة في القرآن والسُّنَّة، علَّلت أفعال الله تعالى، كما عللت أوامره ونواهيه وأحكامه، وهو ما لا يجهله كل من قرأ القرآن، أو اطلع على الحديث.

ولهذا اتفق فقهاء المسلمين وأصوليوهم على تعليل الأحكام الشرعيَّة إلَّا التعبدية المحضة منها، ومن هنا قام «علم مقاصد الشريعة»، وقد نما وترعرع في عصرنا الحاضر، وأنشئت له المراكز والأقسام، وحظي بالبحوث العميقة، والدراسات التأصيلية[١].

إحداث المنبر في مصلى العيد:

وممَّا يذكر هنا: ما روي أن مروان بن الحكم اتخذ منبرًا في مصلى العيد، يخطب عليه بعد الصلاة، فقام إليه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: يا مروان، ما هذه البدعة؟ فقال: إنَّها ليست ببدعة، إنَّها خير ممَّا تعلم، إنَّ النَّاس قد كثروا فأردت أن يبلغهم الصوت. فقال أبو سعيد: والله لا تأتون بخيرٍ ممَّا أعلم أبدًا، ووالله لا صليت وراءك اليوم[٢]!

---

(١) من ذلك ما أقامه صديقنا الكريم الشيخ أحمد زكي يماني حفظه الله من (مركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية)، ضمَّه إلى مؤسسة الفرقان، وقد عقد ندوة فكرية كبرى في لندن، أعلن فيها إنشاء هذا المركز، سعدنا بالمشاركة فيها. كما باشر عددًا من الأنشطة، ونشر كثيرًا من الكتب والرسائل والدراسات النافعة.

(٢) رواه الحارث في مسنده بغية الباحث (٧٧٠).

QaradawiBooks.com

قال الإمام الغزالي في «الإحياء» معلقًا على هذه الواقعة: «وإنما أنكر ذلك عليه؛ لأن رسول الله ﷺ، كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا، لا على المنبر. وفي الحديث المشهور: «**من أحدث في دِينِنا ما ليس منه فهو ردٌّ**»[(١)]»[(٢)].

ويبدو أنَّ أبا سعيد رضي الله عنه أراد أن يسد باب الإحداث في الدين، وما يتعلق به، فإنَّ هذا يبدأ صغيرًا ثمَّ يكبر، محدودًا ثمَّ ينتشر.

وإلَّا، فإنَّ وجهة نظر مروان مقبولة، ويشهد لها أنَّ النبي ﷺ كان يخطب الجمعة على جذع نخلة، فلمَّا كثر النَّاس اقترح عليه بعضهم أن يصنع له منبرًا يقوم عليه، ويبرزه للناس[(٣)]. فابتدأت بذلك سنة المنابر في الإسلام.

ولهذا نرى المسلمين اليوم يقيمون المنابر أو ما يشبهها في مصليات العيد، ليبرز الخطيب للنَّاس، ولم ينكر ذلك أحد من أهل العلم والاتباع، كما نشاهد ذلك في كثير من أقطار الخليج وغيرها.

افتتاح المؤتمرات والأحفال الكبيرة بالقرآن ليس من البدعة:

ومن الأمور الَّتي لا أرى بها بأسًا: ما جرت به عادة المسلمين في كل بلاد الإسلام، من افتتاح المؤتمرات والاحتفالات الكبيرة بآيات من القرآن الحكيم، فإني لا أجد بأسًا ولا حرجًا شرعيًّا في ذلك، والَّذين يفعلون ذلك لا يقولون: إنَّه واجب شرعي، ولا سُنَّة متوارثة، ولا عبادة

(١) سبق تخريجه صـ٩.

(٢) إحياء علوم الدين (٨١/١)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٣) رواه البخاري في الصلاة (٤٤٩)، عن جابر بن عبد الله: أن امرأة قالت: يا رسول الله، ألا أجعل لك شيئًا تقعد عليه، فإنَّ لي غلامًا نجارًا؟ قال: «إن شئتِ». فعملت المنبر.

QaradawiBooks.com

تضاف إلى العبادات المشـــروعة، بل يعتبرونه أمرًا حســـنًا، يربط الأمة بالقرآن، وآيات القرآن، وبركة القرآن.

ولهذا لا يلتزم به الَّذين يقفون من الإسلام موقفًا معاديًا، أيديولوجيًّا، مثل: الماركسيِّين والعِلْمانيِّين، وكل من يرى أنَّ الإسلام يجب أن يطرد من كل تشريع وتوجيه، وأن يعزل تمامًا عن الحياة.

وعندما بدأت الإذاعة المصريَّة ـ وهـــي أوَّل إذاعة في البلاد العربيَّة سَـــنَة ١٩٣٤م ـ جعلوا بدايتها بالقرآن الكريم، وختامهـــا بالقرآن الكريم، وقلَّدتها جميع الإذاعـــات العربيَّة بعد ذلك، إلَّا من اتخذ من الإســـلام موقفًا معاديًا، كالشيوعيِّين وأمثالهم.

ومن ذلك اتِّخاذ شعارات من القرآن، فإنَّها ذات دلالة على لون من الاعتزاز والتمسُّك، مثل اتِّخاذ جميع المحاكم المصرية شعارًا لها، وهي قـولـه تـعـالـى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

واتَّخذت الجامعة العربيَّة شـــعارها: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

واتخذ كثير من مجالس الشـــورى والبرلمانات العربيَّة والإســـلاميَّة آيات قرآنيَّة شعارًا لها، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

واتَّخذ كثير من الجامعات العربيَّة والإســـلاميَّة من القرآن شعارًا لها مثل: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلـــق: ١]، أو قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

واتَّخذت جامعة قطر شـــعارها قوله تعالـــى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

QaradawiBooks.com

واتَّخذنا في الاتِّحاد العالمي لعلماء المسلمين، شعارنا قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وهكذا نرى كثيرًا من الهيئات والمؤسسات، تتخذ شعاراتها من آيات القرآن الكريم، ولا ينكر عليها أحد، ولماذا ينكر، وكيف ينكر على من يعتز بالقرآن ويستند إليه، ويتخذه شعارًا، ونعم الشعار؟!

إنَّ الشيوعيين يتخذون شعاراتهم كلمات لكارل ماركس، أو ماو تسي تونج، أو غيفارا، وغيرهم.

قول «صدق الله العظيم» ليس من البدعة:

وممَّا أراه من التشديد في التبديع: تبديع ما اشتهر بين المسلمين من قديم دون نكير من علمائهم: قول «صدق الله العظيم». بعد قراءة القرآن. فقد نشأنا ونشأ مشايخنا ومشايخ مشايخنا ـ لا أدري منذ متى ـ والنَّاس يقولون بعد التلاوة: صدق الله العظيم. ولا يجدون في ذلك أمرًا منكرًا، وهو ما ينطبق عليه كلام ابن مسعود رضي الله عنه: ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن[(١)].

والقرآن يقول: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٩٥]، تصديقًا لما ذكره القرآن من قوله: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٣].

وفي الحديث: «**صدق اللهُ وكذب بطنُ أخيك**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٣٦٠٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والطبراني في الكبير (١١٢/٩)، والأوسط (٣٦٠٢)، والحاكم في معرفة الصحابة (٧٨/٣، ٧٩)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٣٢): رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٦٨٤)، ومسلم في السلام (٢٢١٧)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

إقامة الاحتفالات والمسابقات لمن يحفظ القرآن أو أجزاء منه:

ومن ذلك: إقرار ما تعارفه النَّاس في عصرنا من إقامة الاحتفالات والمسابقات المحلية والإقليمية والدوليَّة في حفظ القرآن الكريم، وإعطاء الجوائز القيمة على ذلك.

وعمل أحفال كبرى كثيرًا ما يحضرها الرؤساء والأمراء، تكريمًا لحفاظ كتاب الله العزيز. ولم يكن السَّلف يفعلون ذلك، ولكن هناك أمور جدت في حياتنا استدعت هذا الأمر، وقد كانت لها آثارها الطيبة والحمد لله في كثير من بلاد المسلمين، وقد حاول بعض النَّاس أن (يبدِّعوا) هذه الأمور، ولكن تجاوزهم الجمهور، ولم يسمع لهم أحد، واستقرت بحمد الله.

بدع حذر منها العلَّامة الشيخ الخضر حسين:

حذَّر شيخنا الإمام الأكبر السيد مُحَمَّد الخضر حسين، شيخ الأزهر الأسبق رَحِمَهُ اللَّهُ، من بعض أصناف وصور من البدع المنتشرة بين النَّاس، فيقول: «ومن البدع الَّتي يلبسها بعض المُتَصَوِّفة بدعوى الزهد: أثواب ينشئونها من قطع مختلفة، وتسمى «المرقعات»، قال القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب «العارضة»: «إنَّ الثوب إذا خلق منه جزء كان طرح جميعه من الكبر والمباهاة والتكاثر في الدُّنيا، وإذا رقعه كان بعكس ذلك كله، ورقع الخلفاء ثيابهم.

والحديث مشهور عن عمر[1]، وذلك شعار الصالحين، وسنة المتقين، حتَّى اتخذه الصوفيَّة شعارًا، فجعلته في الجديد! وإنشاء مرقعة من

(١) إشارة إلى حديث: خطب عمر بن الخطاب، وهو خليفة، وعليه إزار فيه ثنتا عشرة رقعة. رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥٢/١، ٥٣).

QaradawiBooks.com

أصلها. وهذا ليس سُنَّة، بل هو بدعة عظيمة، داخل في باب الرياء، وإنَّما المقصود بالترقيع الانتفاع بالثوب على هيئة البلى[(١)].

غير مرخصة للطباعة

الاستخارة بالمصحف والمسبحة:

ومن أقبح البدع: ما يوضع موضع سنة، كالاستخارة بنحو المصحف والسبحة، بدل الاستخارة الواردة في السنة، الَّتي هي صلاة ركعتين بالفاتحة وسورتي «الكافرون» و«الإخلاص»، ثمَّ الدعاء: «**اللهمَّ إنِّي أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنَّك تَقْدِر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علَّام الغيوب...**»[(٢)] الحديث.

ولو قال إنسان لآخر عند الملاقاة: صباح الخير أو أسعد الله صباحكم ـ مثلًا ـ في موضع السلام عليكم، لعُدَّ صنيعه هذا من قبيل وضع المحدث مكان السُّنَّة، غير أنَّ الفرق بين هذا المثال وما تقدمه: أنَّ الاستخارة بنحو المصحف والسبحة، ممنوعة في نفسها.

قال القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب «الأحكام»، بعد أن تكلم على التعرض للغيب: «فإن قيل: فهل يجوز طلب ذلك في المصحف؟ قلنا: لا يجوز. فإنَّه لم يتبين المصحف ليعلم به الغيب، إنَّما بينت آياته، ورسمت كلماته، ليمنع عن الغيب، فلا تشتغلوا به ولا يتعرض أحدكم له»[(٣)].

---

(١) عارضة الأحوذي بشرح الترمذي (٢٧٠/٧، ٢٧١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
(٢) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٨٢)، عن جابر بن عبد الله.
(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٣١/٢)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

نسخة مبدئية

QaradawiBooks.com

وأمَّا نحو: أســعد الله صباحكم. فإنَّما ينكر حيــث يوضع موضع تحية الإسلام، فلو أضيف إلى التحية الإسلاميَّة لم يكن في إضافته إليها من بأس.

غير مرخصة للطباعة

تقبيل الإبهامين في الأذان:

وممَّا يفعله بعض النَّاس بدل حكاية الأذان والدعاء: «**اللهمَّ ربَّ هذه الدعوةِ التامَّةِ والصلاة القائمةِ، آتِ محمدًا الوسيلةَ والفضيلةَ، وابعثْه مقامًا محمودًا الَّذي وعدته**»[1]. الثابتين في الصحيح أن يقول الشخص: مرحبًا بحبيبي وقرة عينــي مُحَمَّد بن عبد الله ﷺ، ثمَّ يقبِّــل إبهاميه ويجعلهما على عينيه، ولا نعلم لهذا الَّذي يفعلونه من سند يوثق به، حتَّى يصح أن يقام مقام سنة ثابتة.

ولا يدخل في البدعة ما يفتي به البالغ درجــة الاجتهاد وإن خالف الجمهــور، وإنَّما هو رأي مرجــوح وآخر راجــح، إلَّا أن تكون الفتوى مخالفة للنص الجلي من القرآن أو السُّنَّة، أو القواعد القاطعة أو الإجماع. فإنَّ الفتوى حينئذٍ زلة لا يصح البقاء عليها أو المتابعة فيها.

والشــاهد على ما نقول من أنَّ الأعمال الَّتي تسند إلى آراء اجتهادية ولو كانت مرجوحة لا تســمى بدعة: أنَّ الأئمَّــة المجتهدين يرون أقوال مخالفيهم بالنســبة إلى أقوالهــم مرجوحة، ولا ينســبونهم إلى ضلال، ولا ينكرون على من يقتدي بهم في المذهب. وإجماعهم على أن حكم الحاكم يرفع الخلاف، شــاهد على أنَّ المجتهد لا يرى أنَّ العمل بقول مخالفه بدعة، ولو كان في نظره بدعة لما أفتى بإقراره وهو يعلم أن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

(١) رواه البخاري في الأذان (٦١٤)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

فلا نسمِّي الصلاة لغير الخسوف والكسوف كالزلزلة والريح الشديدة بدعة وضلالة، وصاحبها مبتدعًا ضالًّا؛ لأنَّها مشروعة عند بعض الأئمَّة وإن كانت أدلتهم فيما نرى أو يرى الإمام الَّذي تفقهنا على مذهبه، واهية مرجوحة.

نقول هذا تحذيرًا من قوم لم يدرسوا أصول الدين، ولم يتعرفوا مقاصد الشريعة ولمجرَّد ما يتلون آيةً أو حديثًا ويبدو لهم ـ وهم أشباه العامَّة ـ أنَّ ما يقوله الإمام فلان أو الأئمَّة الأربعة مخالف للآية أو الحديث، يعجلون إلى الإنكار، ولا يبالون أنْ يسموا العمل على ما ظهر لهم من أنَّه مخالف لنص الكتاب أو السنة، بدعة، وصاحبها مبتدعًا.

وإذا كان في أشباه العامَّة من يقرأ الحديث في صحيح الإمام البخاري أو الإمام مسلم مثلًا، ولا يحسن أن يتفقه فيه على مقتضى أصول الشريعة، فيخفُّ إلى الطعن في مذاهب الأئمَّة حتَّى ينبذها بلقب البدعة، فإنَّ في المستضعفين من أهل العلم من يعمد إلى أعمال يبتدعها العامَّة مخالفة للنصوص الجلية أو القواعد القطعية، فيتطلب لها مخرجًا يبتغي بها مرضاتهم، ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

من أضر أنواع البدع:

ومن أضر البدع ما يكون إتلافًا للمال، وإنفاقًا له في غير جدوى، كإيقاد الشموع على قبور الأولياء بقصد القربة.

ومن أجلبها للخسار ما يعوق عن فعل خير، كالاستخارات غير الشرعيَّة، فقد يتفق لفاتح المصحف أن يقع نظره على آية فيها معنى

QaradawiBooks.com

النهي ـ مثلًا ـ فيترك الأمر، ويكون في فعله لو استشـار أو اعتمد على الاستخارة الشرعيَّة خير كثير.

ومن شرِّها ما يفعل بدعوى القربة ويكون في الواقع مثيرًا للأهواء، مبعدًا للنفوس عن التقوى، كهذه الأشـعار الَّتي توصـف فيها الخمور والغواني والغلمان، ولا يتحاشى فيها عن ذكر العشق والهجر والوصال والعيون والثغور والرضاب، ويتغنـى بها في المجامع بزعم أنَّها كنايات أو إشارات لها تعلق بالحضرة الإلٰهيـة أو النبوة.

ومن أسـوأ البدع: ما يضاهى به بعض طرق المخالفين، كهذا الَّذي يدعو إليه بعض الزائغين أو المغفلين من إقامة خليفة (روحي) لا جنـد لـه ولا سـلاح، ولا يملك من تنفيذ الأحكام الشـرعيَّة قليلًا ولا كثيرًا، يدعو إليه الزائغون؛ لأنَّهم يريدون اتخاذه رمزًا لفصل الدين عن السياسة، ويدعو إليه بعـض المغفلين؛ لأنَّهم لم يتنبهوا لسـريرة الزائغين، أو لما قصد الشارع في إقامة الخليفة من مصلحة اتحاد كلمة المسلمين وتنفيذ أحكام الشريعة على وجهها، من يكون في لسانه حجة وفي يده قوة.

ومن البدع الَّتي جاء الإسـلام ليقتلعهـا من منبتها: أعمـال يبنيها أصحابها على زعم أنَّها تقي من الجن، وليس بينها وبين هذه الوقاية من صلة، كـذبـح حيـوان، أو صنع طعـام، باعتقاد أنَّـه يجلب رضاهم، ويكون سببًا لدفع ضرر يتوهم أنَّه يجيء من ناحيتهم.

ذكر لابن شهاب أن إبراهيم بن هشام المخزومي أجرى عينًا، فقال له بعض المهندسـين عند ظهور الماء: لو أهـرقـت عليـهـا دمًا كان أحرى ألَّا تـفـيـض ولا تفور، فتقتل مـن يعمل فيها، فنحر جزائر[1] حتَّى جرى

(١) جمع جزور وهي ما يصلح لأن يُذبح من الإبل.

QaradawiBooks.com

الماء مختلطًا بالـدم، وأمر فصنع لـه ولأصحابه منه طعـام. فقال ابن شهاب: أما بلغه أنَّ النبيَّ ﷺ نهى أن يُذْبَح للجنِّ[١]؟»[٢].

ما زاده بعض الصحابة في العبادات:

وأودُّ هنا أن أُنَبِّه على أمرٍ ذي بال، وهو ما ذكره بعض الأخوة الَّذين تحدثوا عن البدعة من الميسِّـرين في أحكامها، والمتوسعين في أمرها، من زيـادة بعض الصحابة رضـوان الله عليهم بعض أذكار وتسـبيحات ودعوات من عند أنفسـهم، لم يكن عندهم بها نـص ولا إذن، فأقرهم النبي ﷺ عليها، ولـم يبطلها أو ينههم، بل أقرهـم عليها، وأثنى عليهم بسببها.

من ذلك: ما ذكره الأخ الباحث الداعية دكتور صلاح الدين الإدلبي في كتابه: «البدعة المحمودة» ودفاعه عنه بقوة. ومن ذلك:

١ ـ عن ابن عمر قال: بينا نحن نصلي مـع رسـول الله ﷺ، إذ قـال رجـل فـي القوم: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسـبحان الله بـكـرةً وأصـيـلًا. فـقـال رسـول الله ﷺ: «**مـن القـائـل كذا وكـذا؟**». فـقـال رجـلٌ مـن الـقـوم: أنا يا رسولَ الله. قال: «**عَجِبْتُ لها، فُتِحَتْ لها أبوابُ السماء**»[٣].

---

(١) الموافقات للشـاطبي (٢٠٨/٢، ٢٠٩)، تحقيق الشـيخ عبد الله دراز، نشـر دار المعرفة، بيـروت، ط٢، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م. والحديث رواه البيهقي فـي الضحايا (٣١٤/٩)، وقال الحافظ في التلخيص الحبير (٢٦٥/٤): فيه عمر بن هارون، وهو ضعيف مع انقطاعه، عن الزهري مرسلًا.

(٢) السـنة والبدعة ضمن مجموعة الأعمال الكاملة لفضيلة الإمام الأكبر محمد الخضر حسين (١٣٤/٤ ـ ١٣٧)، جمعها علي الرضا الحسيني، نشر دار النوادر، سوريا، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

(٣) رواه مسلم في المساجد (٦٠١)، وأحمد (٤٦٢٧).

QaradawiBooks.com

وأقول: الظاهر من سياق الرواية أنَّ ذلك الصحابي لم يكن قد سمع من النبي ﷺ شيئًا في جعل هذا الذكر في استفتاح الصلاة، ولو كان ذلك عن أمره وتعليمه لما عجب لذلك، وإنَّما كان ذلك عن اجتهاد من ذلك الصحابي، ومحل الشاهد: أنَّ النبيَّ ﷺ أقره على ذلك الاجتهاد، ولو كان من المحظور على المرء المسلم أن يأتي بشيء في العبادة دون دليل خاصٍّ؛ لأنكر عليه النبي ﷺ، ولقال له: كيف تفعل في الصلاة شيئًا دون أن آذن لك فيه؟!

٢ ـ وعن أبي سعيد الخدري قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فنزلنا بقوم، فسألناهم القرى، فلم يقرونا، فلدغ سيدهم فأتونا، فقالوا: هل فيكم من يرقي من العقرب؟ قلت: نعم، أنا، ولكن لا أرقيه حتَّى تعطونا غنمًا. قال: فأنا أعطيكم ثلاثين شاة. فقبلنا فقرأت عليه «الحمد لله» سبع مرات، فبرأ. فلما قدمنا على رسول الله ﷺ ذكرت له الَّذي صنعت، فقال: «**وما علمتَ أنَّها رُقْيَة؟! اقبضوا الغنم، واضربوا لي معكم بسهم**»[(١)].

ولم يكن أبو سعيدٍ الخدري يعلم أنَّ الفاتحة رقية، وأنَّها تقرأ سبع مرات، ولكن هكذا اجتهد، وهكذا ألهمه الله ﷻ، ولم ينكر عليه رسول الله ﷺ اختيار سورة الفاتحة، ولا اختيار العدد في الرقية.

٣ ـ وعن رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه، أنه قال: كنَّا يومًا نصلي وراء النبي ﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة قال: «**سمع الله لمن حَمِدَه**». قال رجل وراءه: ربَّنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه. فلما انصرف قال: «**من المُتَكَلِّم؟**». قال: أنا. قال: «**رأيتُ بِضْعَةً وثلاثين مَلَكًا يَبْتَدِرونها، أيُّهم يكتبها أوَّلُ**»[(٢)].

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإجارة (٢٢٧٦)، ومسلم في السلام (٢٢٠١).
(٢) رواه البخاري في الأذان (٧٩٩).

QaradawiBooks.com

وهذا إقرار من رسول الله ﷺ للذي قال هذه الكلمات، وقد يكون قائلها قد سمعها من النبيِّ ﷺ، من قبل، لكن الظاهر أنَّها ليست ممَّا علمه أن يقوله في الصلاة، وأنَّه قالها في ذلك الاعتدال اجتهادًا منه بإلهام من الله تبارك وتعالى، فتقبلها منه، وأنزل بضعة وثلاثين ملكًا يتسابقون أيُّهم يكتب قبل غيره، لعظيم فضلها ورفعة شأنها.

٤ ـ وعن عائشة رضي الله عنها، أنَّ النبيَّ ﷺ بعث رجلًا على سَرِيَّة، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلمَّا رجعوا ذكروا ذلك للنبيِّ ﷺ. فقال: «**سلوه لأيِّ شيءٍ يصنعُ ذلك؟**». فسألوه، فقال: لأنَّها صفة الرحمٰن، وأنا أحبُّ أن أقرأ بها. فقال النبيُّ ﷺ: «**أخبروه أنَّ الله يُحِبُّه**»[(١)].

وهذا الحديث ظاهر في أنَّ أمير السَّرِيَّة كان يختم القراءة في الصلاة بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، اجتهادًا منه؛ لأنَّها صفة الرحمٰن جلَّ وعلا، فكان جزاؤه أن يُحِبَّه الله تعالى لحُبِّه إيَّاها.

٥ ـ وروى نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنَّ تلبيةَ رسولِ الله ﷺ: «**لبَّيك اللهمَّ لبَّيك، لبَّيك لا شريك لك لبَّيْك، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريكَ لك**»[(٢)]. وروى سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه مثل ذلك، وزاد في آخره: لا يزيد على هؤلاء الكلمات[(٣)].

وذكر جابر بن عبد الله رضي الله عنهما إهلال رسول الله ﷺ في حجَّة الوداع بالتلبية، بمثل حديث ابن عمر، وقال: والنَّاس يزيدون: ذا المعارج، ونحوه من الكلام، والنبيُّ ﷺ يسمع فلا يقول لهم شيئًا[(٤)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٣٧٥)، ومسلم في صلاة المسافرين (٨١٣).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (١٥٤٩)، ومسلم (١١٨٤) (١٩)، كلاهما في الحج.

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في اللباس (٥٩١٥)، ومسلم في الحج (١١٨٤) (٢١).

(٤) رواه أبو داود في المناسك (١٨١٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٥٩١).

QaradawiBooks.com

وكان عمر ﷺ يُهِلُّ بإهلال رسول الله ﷺ ويقول: لبَّيْك اللهمَّ لبَّيْك، لبَّيْك وسَعْدَيْكَ، والخيرُ في يدَيْك لبَّيْك، والرَّغْبَاء إليكَ والعملُ.

وكان ابنُ عمر يقول نحوًا من هذه الكلمات كذلك[١]. وربَّما كان عمر يزيد: لبَّيْك مرغوبًا ومرهوبًا، لبَّيْك ذا النعماءِ والفضلِ الحسن[٢].

بل جاء من حديث أبي هُرَيْرة، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال في تلبيته: «**لبَّيْكَ إلٰه الحقِّ لبَّيْكَ**»[٣].

فظاهرٌ من هذا: أنَّ للتلبية ألفاظًا كان النبيُّ ﷺ علَّمها النَّاس، وكان يلتزم بها، ورواها عنه جماعة من الصحابة، لكنَّه كان يسمع بعض النَّاس يزيدون: لبَّيْك ذا المعارج، ونحوها. فلا يقول لهم شيئًا، وربَّما زاد هو عليه السلام مرَّة: «**لبَّيْكَ إلٰه الحقِّ لبَّيْك**». وفي هذه السعة زاد عمر وابن عمر بعض الألفاظ في التلبية.

قد يقال: إن هذا لا دلالة فيه؛ لأنَّ النبي ﷺ قد أذن في الزيادة على ألفاظ التلبية. والجواب: هل استأذن الصحابة رسول الله ﷺ في الزيادة؟! وقد كان جابر ﷺ قريبًا من رسول الله عليه السلام في تلك الرحلة المباركة، يرصد أحوال المناسك، فالظاهر أنَّه يذكر استئذان النَّاس في زيادة الألفاظ لو وقع، وإذ لم يذكر ذلك، فالظاهر عدم الوقوع.

---

(١) رواه مسلم في الحج (١١٨٤) (٢٠).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المناسك (١٣٦٤٥).

(٣) رواه أحمد (٨٤٩٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط البخاري. والنسائي في الحج (٢٧٥٢)، وابن ماجه في المناسك (٢٩٢٠)، والحاكم في الصوم (٤٤٩/١)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

وإذا كان كثيـــر من النَّاس قـــد انطلقوا يلبون بتلبية رســـول الله ﷺ، ويزيدون فيها، فهذا يعني أنَّه قد اســـتقر في أذهانهـــم ـ وهم في أواخر السنة العاشرة ـ أن باب الأذكار فيه سعة، وأن مثل تلك الزيادة تعبر عما في مكنون كثير من القلوب من مشاعر إيمانية وخضوع وتضرع وابتهال لله رب العالمين، بينما يؤثر آخرون الالتزام بتلبية رســـول الله ﷺ، الَّتي علمها للنَّاس، والتزم هـــو بـــها، وكلٌّ على خير[١] اهـ.

وأنا أقول: إنَّ هـــذا جائز للصحابة وحدهـــم دون غيرهم؛ لأنَّهم إذا فعلوا شـــيئًا والقرآن ينزل، ولم يأتهم نهي عنه، فهذا دليل المشـــروعيَّة، سكوت الوحي عنه يعتبر إقرارًا له، ولا ينطبق هذا على من بعد الصحابة.

يقول ســـيِّدنا جابر بن عبد الله: كنا نعزل والقرآن ينزل، فلم ينهنا[٢]. فاستدلَّ بسكوت القرآن عن نهيهم على مشروعيَّة عزل الرجل عن امرأته عند الجماع، مخافة أن تحمل.

قال ابن القيم: «وهذا من كمال فقه الصحابة وعلمهم، واســـتيلائهم على معرفة طرق الأحكام ومداركها، وهو يدل على أمرين: أحدهما: أن أصل الأفعال الإباحة، ولا يحرم منها إلَّا ما حرمه الله على لسان رسوله، الثاني: أن علم الرب تعالى بما يفعلون في زمن شـــرع الشـــرائع ونزول الوحي وإقـــراره لهم عليه دليل على عفوه عنـــه، والفرق بين هذا الوجه والوجه الَّذي قبله أنَّه في الوجه الأوَّل يكون معفوًّا عنه استصحابًا، وفي الثاني يكون العفو عنه تقريرًا لحكم الاستصحاب»[٣].

---

(١) انظر: البدعة المحمودة للدكتور صلاح الدين الإدلبي صـ ٢٧ ـ ٣١، نشر دار الفتح، الأردن، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٢٠٧، ٥٢٠٨، ٥٢٠٩)، ومسلم (١٤٤٠)، كلاهما في النكاح.

(٣) إعلام الموقعين (٢/٢٧٩).

QaradawiBooks.com

وليس من اللائق ولا مـــن المقبول والمعقـــول أن نفتح الباب لكل النَّاس طوال العصور، أن يزيدوا في الأذكار والدعوات المأثورة من عند أنفسهم ما يشاؤون، ونقبل منهم، فهذا خطر كبير، يفتح على النَّاس أبوابًا من الزيادات والتحريـفـات لا يمكن حصرها، ولا يمكن ســـدها، ولذا أرى أن نقتصر في هذا علـــى الصحابة وحدهم. فما أقرهم عليه الوحي، ولم يندد بما فعلوا، ولا عيب عليهم شـــيء فيه، فهو مقبول في الجملة، وأمَّا غير ذلك فلا. والله أعلم.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فتــوى
تقسيم بعض العلماء البدعة إلى الأحكام الخمسة

اشتهر لدى بعض العلماء: أنَّ البدعة تنقســم إلى الأحكام الشرعيَّة الخمســة المعروفة: فمنهــا المحرمــة، والمكروهــة، ومنهــا الواجبة والمستحبة، ومنها المباحة.

وقد جاءني ســؤال مطول عن هذا الأمر، وأجبــت عنه بتفصيل في كتابي «فتاوى معاصرة»، ويحسن بي أن أورده هنا: ما قولكم فيما ذهب إليه الإمام الكبير العز بن عبد السلام في كتابه القيم «قواعد الأحكام في مصالح الأنام»، من تقســيم البدعة إلى خمسة أقســام، حسب الأحكام الشرعيَّة الخمســة: فهناك بدعة واجبة، وبدعة مستحبة، وبدعة محرمة، وبدعة مكروهة، وبدعة مباحة.

وضرب مثلًا لكل واحدة من هذه البــدع، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «البدعة: فعل ما لم يعهد في عصر رســول الله ﷺ. وهي منقســمة إلى: بدعة واجبة، وبدعة محرمة، وبدعة مندوبة، وبدعة مكروهة، وبدعة مباحة. والطريق في معرفة ذلك: أن تعرض البدعة على قواعد الشــريعة، فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، وإن دخلت في قواعد التحريم فهي محرمة، وإن دخلت في قواعد المنــدوب فهي مندوبــة، وإن دخلت في قواعد المكروه فهي مكروهة، وإن دخلت في قواعد المباح فهي مباحة.

QaradawiBooks.com

وللبدع الواجبة أمثلة:

أحدهـا: الاشـتغال بعلم النحـو، الَّـذي يفهم بـه كلام الله وكلام رسوله ﷺ، وذلك واجب لأنَّ حفظ الشـريعة واجب، ولا يتأتى حفظها إلَّا بمعرفة ذلك، وما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب.

المثال الثاني: حفظ غريب الكتاب والسُّنَّة من اللغة.

المثال الثالث: تدوين أصول الفقه.

المثال الرابع: الكلام في الجرح والتعديل، لتمييز الصحيح من السقيم.

وقد دلت قواعد الشريعة على أنَّ حفظ الشريعة فرض كفاية فيما زاد على القدر المتعين، ولا يتأتى حفظ الشريعة إلَّا بما ذكرناه.

وللبدع المحرمة أمثلة:

منها: مذهب القَدَرِيَّة، ومنها مذهب الجبريَّة، ومنها مذهب المُرْجِئَة، ومنها مذهب المجسِّمة، والرد على هؤلاء من البدع الواجبـة.

وللبدع المندوبة أمثلة:

منها: إحداث الربط والمدارس وبناء القناطر، ومنها: كل إحسان لم يعهد في العصر الأوَّل، ومنها: صـلاة التراويح. ومنها: الكلام في دقائق التصوف، ومنها: الكلام في الجدل في جمع المحافل للاسـتدلال على المسائل إذا قصد بذلك وجه الله سبحانه.

وللبدع المكروهة أمثلة:

منها: زخرفة المساجد، ومنها تزويق المصاحف، وأمَّا تلحين القرآن بحيث تتغير ألفاظه عن الوضع العربي، فالأصح أنَّه من البدع المحرمـة.

QaradawiBooks.com

وللبدع المباحة أمثلة:

منها: المصافحة عقيب الصبح والعصر، ومنها التوسع في اللذيذ من المآكل والمشـــارب والملابس والمســـاكن، ولبس الطيالســـة، وتوسيع الأكمام.

وقد يختلـــف في بعض ذلـــك، فيجعله بعـــض العلماء مـــن البدع المكروهة، ويجعله آخرون من الســـنن المفعولة على عهد رسول الله ﷺ فما بعده، وذلك كالاستعاذة في الصلاة والبسملة»[(١)].

وقد خالفه في ذلك العلَّامة المالكي الإمام أبو إســـحاق الشاطبي، ورأى أنَّ البدعة لا تنقسم إلى هذه الأقسام، فالبدعة لا تكون إلَّا محرمة، ومشى على دلالة الحديث الظاهرة: «**كلُّ بدعةٍ ضلالة**»[(٢)].

فإلى أي الرأيين تميل؟ وما دليلك على هذا؟

وفقكم الله.

دكتور عبد السلام مُحَمَّد.

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإنَّ الحكـــم بين اثنين من فحـــول الأمة، ومن الراســـخين في علم الشريعة، وممَّن أصَّلوا فقه مقاصد الشريعة، وقيامها على مصالح الناس؛ ليـــس بالأمر الهين، ومن أنـــا حتَّى أحكم بين علمين مـــن أعظم أعلام

(١) انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢/٢٠٤، ٢٠٥)، تحقيق طه عبد الرؤوف ســـعد، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩١م.

(٢) سبق تخريجه صـ١٠.

QaradawiBooks.com

الإســـلام، من الربَّانيِّين الَّذين علَّموا وعملوا وعلَّمـــوا؟! وأقصد بهذين العلمين: ابن عبد السلام والشاطبي.

كل ما أستطيع قوله هنا: إنهما متفقان على النتائج، وإن اختلفوا في التسميات والمصطلحات.

ويمكننا أن نقول: إن خلافهما في «المنهـــج»، وإن اتفقا في نتائج الأحكام.

فليس هناك شيء ممَّا يعتبره ابن عبد السلام حرامًا، يعتبره الشاطبي حلالًا، وليس هناك شيء ممَّا يعتبره الأوَّل فرضًا يعتبره الثاني مباحًا أو مستحبًّا. إنَّما خلافهما في تحديد مفهوم البدعة عند كليهما.

فابن عبد السلام يعتبر كل ما لم يكن في عهد رسول الله، فهو بدعة، وهو مفهوم أقرب ما يكون إلـــى البدعة اللُّغويَّة، وهي الَّتي تقســـم إلى الأقسام الخمسة الَّتي ذكرها الشيخ الإمام عز الدين.

على حين نظر الشاطبي إلى «البدعة الشرعيَّة» الَّتي قال فيها الحديث: «**كلُّ بدعةٍ ضلالة**»[١]. فعرَّفها تعريفًا يخرج كثيـــرًا ممَّا ذكره عِزُّ الدِّين أن يكون منها، وإن لم يتغيَّر حُكْمها.

فتعلُّم النحو والعربيَّة، وتدوين أصول الفقه، والفقه نفسه، إلى غيرها من العلوم الشرعيَّة واللُّغويَّة وغيرها، كلُّها فرض كفاية على الأُمَّة، ولكنَّها لا تدخل في البدعة عند الشاطبي[٢]. وذلك أنَّه عرَّف البدعة بأنَّها: طريقة مُخْتَرَعة في الدِّين تُضاهي الشـــرعيَّة، يُقْصَد منها المبالغةُ في التعبُّد لله. وسنشرح فيما يلي هذا التعريف.

(١) سبق تخريجه صـ١٠.

(٢) انظر: الاعتصام للشاطبي (٣٧/١).

غير مراجعة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

١ ـ فأوَّل أركان البدعة ومقوِّماتها: أن تكون في الدِّين، أمَّا ما كان في أمور العادات وشؤون الدُّنيا، فلا يدخل فيه الابتداع، بل أقول: إنَّ الابتداع والابتكار مطلوبٌ فيه. وفيه جاء الحديث الصحيح: «**من سنَّ في الإسلام سُنَّةٌ حسنة، فعُمِلَ بها بعده، كُتِبَ له مثل أجر من عمل بها، ولا يَنْقُص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سُنَّةٌ سيِّئة، فعمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء**»[(١)].

ولهذا مدحوا عمر بما كان في عهده من ابتكارات سمَّوها «الأوَّليَّات»، فهو أوَّل من مصَّر الأمصار، وأوَّل من دوَّن الدواوين، وأوَّل من اتخذ تاريخًا خاصًّا بالمسلمين، وأوَّل من اتَّخذ دارًا للسجن، إلخ.

على خلاف أمر الدين، فهو قائم على الاتباع، وهذا ما صرَّح به الحديث المُتَّفَق عليه عن عائشة مرفوعًا: «**من أحدث في أمْرِنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**»[(٢)]، ومعنى «**أمرنا**» أي: أمر دينِنا، ومعنى «**فهو ردٌّ**»، أي مردود عليه غير مقبول منه.

ولهذا لم يكن مقبولًا من بعض النَّاس أن يرفضوا وسيلة «الانتخابات» لمعرفة أصلح النَّاس لينوب عنهم في مجلس النواب، أو الشورى، بأن هذه بدعة محدثة، لم تكن على عهد رسول الله، وإنَّما كان عدم قبول ذلك الرأي؛ لأنَّ الموضوع ليس في أمور الدين والعبادات، بل من أمور الدُّنْيا والعادات.

---

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٧)، وأحمد (١٩١٥٦)، عن جرير بن عبد الله.

(٢) سبق تخريجه صـ٩.

QaradawiBooks.com

٢ ـ الركن الثانـــي، أو المقوم الثاني للبدعـــة: أن تكون هذه الطريقة مضاهية للطريقة الشرعيَّة، بحيث يمكن أن تلتبس بها، وتلحق بزمرتها، لشبهها بها بوجه من الوجوه.

كأن يضاف إلى الأذان جملة أو جمل ليســـت منـــه، كالَّذين أضافوا شـــهادة ثالثة، بعد الشـــهادة لله بالوحدانيَّة، ولمحمد بالرسالة، وقالوا: وأشهد أن عليًّا وليُّ الله[1]. وهو لا شـــك ولي الله بشهادة رسول الله له، وشهادة الأمة، والشهادة للأولياء بالولاية قريبة الشبه من الشهادة للرسول بالرسالة، فهذا وجه الالتباس، ولكنَّها مرفوضة؛ لأنَّ الأصل في العبادات الشـــعائرية هو المنع والتضييق فيـــها؛ لأنَّها توقيـــفيـــــة، إلَّا ما أذن به الشـــارع فيها، وحدد صورته وكيفيته، حتَّى لا يشـــرع النَّاس في الدين ما لم يأذن به الله.

ومثل: أن يشرع الله في الصلاة التكبير للانتقال بين الأركان، ويحوله النَّاس إلى التســـبيح أو التهليل أو التحميد، باعتبـــار كل منها ذكرًا لله، وهذا مردود على من فعله أو ارتآه؛ لأنَّ الله لم يشرعه في كتابه ولا على لسان رسوله.

٣ ـ والركن الثالث فـــي البدعة كما عرفها الشـــاطبي: أن يقصد بها المبالغة في التعبُّد والتقرُّب إلى الله تعالى.

وهذا يؤكد صلة البدعة بالجانب الديني، ولهذا يقصد أصحابها من

(١) وهو ما التزمه الشـــيعة الإمامية في أذانهم، وإن كان المحققون من علمائهم يقرون: أن هذه الزيادة لم يجئ بها قرآن ولا ســـنة، ولم تســـمع في عهد الرســـول ولا عهد علي، ولكنهم يهادنون أهواء العامة، ولا ينكرون عليهم.

QaradawiBooks.com

هذه (الزوائد) الَّتي يلصقونها بالدين، ويضيفونها إليه، المبالغة في التعبد: كأنَّما لم يكفهم ما شرع الله لهم، فاستحسنوا بهواهم أن يزيدوا على ما شرعه من عند أنفسهم أشياء أخرى، تشبع نهمهم فيما ظنوا، وفتحوا على أنفسهم باب «الزيادة في الدين»، وهذا باب شرٍّ إذا فتح لم يغلق، بل يظل من دخله يتوسع فيه، حتَّى يصبح الدين شيئًا آخر غير ما شرع الله، وألحق النَّاس به من الأحكام والتكاليف ما تنوء به الظهور، وتضيق به الصدور، وما تعجز طاقة الإنسان العادي عن حمله إلَّا بمشقة غير معتادة، ولذا علَّم الله المسلمين أن يدعوا ويقولوا: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وهؤلاء كأنَّما يعاكسون ما جاء به مُحَمَّد ﷺ، من التيسير في التكاليف، وتشريع الرخص، وإباحة المحظور عند الضرورات، واستثناء أصحاب الأعذار وغيرها، ولذا كان عنوان رسالته في كتب الأقدمين أنَّه ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وهكذا زمر المبتدعين في دين الله؛ يناقضون ما جاء به مُحَمَّد ﷺ، فهو ييسر وهم يعسرون، وهو يقلل التكاليف وهم يكثرون، وهو يخفف عن الخلق وهم يثقلون، وقد قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

QaradawiBooks.com

أعتقد أنَّ منهج أبي إسحاق الشاطبي في بحث قضيَّة البدعة وتحديدها: كان أدق وأضبط من منهج الإمام عز الدين، ولكل فضيلة ونية.

ولقد أدار الشاطبي كتابه الفريد «الاعتصام» كله حول موضوع البدعة وتأصيله وتحقيقه، وإن لم يكمله رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] انتهى.

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

(١) انظر كتابنا: فتاوى معاصرة (٤/١١٩ ـ ١٢٤)، نشر دار القلم، الكويت، ط١، ٢٠٠٩م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

خلاصة
نماذج من اختلاف المضيقين للبدعة من المعاصرين في بعض المحدثات

لأخينا الباحث السعودي ـ من الأحساء في المنطقة الشرقية ـ الدكتور عبد الإلٰه العرفج، كتاب جيد، تعب في تصنيفه والتدليل عليه، سمَّاه «مفهوم البدعة وأثره في الفتاوى المعاصرة»، وهو يحاول بكتابه القوي: أن يقف ضدَّ التيار الَّذي يتشدد في تبديع المسلمين، وفي وصف كثير من الأعمال بأنها بدعة ضلالة، وأنا معه في اتجاهه ضد الغلو والتشدد، وإن كنت لا أوافق على تقسيم البدعة التقسيم الخماسي المشهور، وإن كان هذا خلافًا في المصطلحات.

كما أنِّي أخالفه في تمشية بعض ما جوزه ـ مع بعض العلماء ـ من المبتدعات، وهذه سنة الله في خلقه، أن يختلفوا في كثير من المسائل، ومع هذا يسع بعضهم بعضًا.

وممَّا عني به العرفج في كتابه أنَّه ذكر في أواخره عددًا من المحدثات الدِّينيَّة، الَّتي اشتملت على كثير من أنواع العبادات، كالصلاة والدعاء والذكر والصدقة وبر الوالدين، وقراءة القرآن وحفظه، والدعوة إلى الله والاقتداء بالعلماء ومواساة المسلمين، ومع ذلك كله فإنَّ شريحة عريضة من العلماء المضيقين لمعنى البدعة من المدرسة السلفية

نسخة تجريبية

المعاصرة، لا يجدون حرجًا شرعيًّا من الإفتاء بجوازها، بل دعمها ورعايتها والمشاركة فيها.

وما من مسألة من تلك المسائل الدِّينيَّة الَّتي اختلف فيها العلماء المضيقون لمعنى البدعة، إلَّا كان لبعض علمائهم من المدرسة نفسها حكم فيها بأنها بدعة، ووصفها علماء آخرون منهم بأنها جائزة أو مشروعة، ولعل أخطر ما يتعلق بهذا الاختلاف أن يتعامل معه بعض المتسرعين والمتجرئين من طلبة العلم بتشنج وتشدد؛ لأنَّهم سيصلون إلى نتيجة، مفادها أن أحدًا من العلماء المضيقين لمعنى البدعة لا يخلو من الابتداع.

فإنَّ من أخذ بقول الشيخ مُحَمَّد بن عثيمين، والشيخ الألباني رحمهما الله، والشيخ صالح الفوزان حفظه الله، ببدعة الجلوس للعزاء وضرورة اجتنابه: لزمه تبديع الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ عبد الله بن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لتجويزهما إياه.

ومن أخذ بقول الشيخ مُحَمَّد بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ ببدعية عشاء الوالدين: لزمه تبديع الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ عبد الله بن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ صالح الفوزان حفظه الله؛ لتجويزهم إياه.

ومن أخذ بقول الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ مُحَمَّد بن عثيمين رحمهما الله، والشيخ صالح الفوزان حفظه الله، ببدعة تخصيص يوم الجمعة لزيارة القبور: لزمه تبديع الشيخ عبد الله بن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لتجويزه إياه.

ومن أخذ بقول الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشيخ صالح الفوزان حفظه الله، ببدعية اتخاذ المسبحة للذكر: لزمه تبديع الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ مُحَمَّد بن عثيمين، والشيخ عبد الله بن جبرين رحمهم الله؛ لتجويزهم إياه.

QaradawiBooks.com

ومن أخذ بقول الشيخ بكر أبو زيد، والشيخ الألباني رحمهما الله، ببدعية دعاء ختم القرآن في الصلاة: لزمه تبديع الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ مُحَمَّد بن عثيمين، والشيخ عبد الله بن جبرين رحمهم الله، والشيخ صالح الفوزان حفظه الله؛ لتجويزهم إياه.

ومن أخذ بقول الشيخ بكر أبو زيد، والشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمهما الله، ببدعية افتتاح المحافل بقراءة القرآن: لزمه تبديع الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، والشيخ صالح الفوزان حفظه الله؛ لتجويزهما إياه.

ومن أخذ بقول الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ ببدعية قبض اليدين بعد الرفع من الركوع: لزمه تبديع الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ مُحَمَّد بن عثيمين رحمهما الله، والشيخ صالح الفوزان حفظه الله؛ لتجويزهم إياه.

ويجري القول في بقية المسائل الأخرى إذا ما تم التعامل مع موضوع الخلاف بتشدد وتشنج، أمَّا إذا تم التعامل معه مقرونًا بفقه الخلاف وأدب الرأي، فما ثمَّ ابتداع ولا مبتدع منهم بحمد الله عَزَّوَجَلَّ.

والجدول التالي يوضح ما أسلفناه من الخلاف في المسائل المتقدمة:

المحدثة	بدعة أو لا أصل له أو يجتنب	مشروع أو جائز
مجالس العزاء	ابن عثيمين والفوزان والألباني	ابن باز وابن جبرين
عشاء الوالدين	ابن عثيمين	ابن باز وابن جبرين والفوزان

QaradawiBooks.com

المحدثة	بدعة أو لا أصل له أو يجتنب	مشروع أو جائز
تخصيص يوم الجمعة لزيارة المقابر	ابن باز وابن عثيمين والفوزان	ابن جبرين
اتخاذ المسبحة للذكر	الفوزان والألباني	ابن باز وابن عثيمين وابن جبرين
تكرار العمرة في رمضان	ابن عثيمين	ابن باز والفوزان واللجنة الدائمة
دعاء الختم في الصلاة	الألباني وبكر أبو زيد وابن عثيمين	ابن باز وابن جبرين والفوزان وابن عثيمين
بدء المحافل بقراءة القرآن	بكر أبو زيد وعفيفي وابن عثيمين	الفوزان والألباني
التمايل أثناء قراءة القرآن	بكر أبو زيد واللجنة الدائمة	ابن عثيمين
القراءة من المصحف في الصلاة	الألباني	ابن باز وابن عثيمين وابن جبرين والفوزان
احتفالات حفاظ القرآن	الألباني واللجنة الدائمة	ابن عثيمين والفوزان
تقبيل المصحف الشريف	ابن عثيمين والألباني واللجنة الدائمة	ابن باز والفوزان
محاريب المساجد	الألباني	ابن باز وابن عثيمين والفوزان واللجنة الدائمة

QaradawiBooks.com

المحدثة	بدعة أو لا أصل له أو يجتنب	مشروع أو جائز
رسم خطوط على فرش المساجد	الألباني	ابن عثيمين والفوزان وعفيفي واللجنة الدائمة
سكتة الإمام بعد الفاتحة	الألباني والفوزان	ابن باز وابن عثيمين والفوزان واللجنة الدائمة
قبض اليدين بعد الركوع	الألباني	ابن باز وابن عثيمين والفوزان
صلاة القيام في العشر الأواخر	لا أعلم	ابن عثيمين وابن جبرين
الزيادة على إحدى عشرة ركعة في قيام رمضان	الألباني	ابن باز وابن عثيمين وابن جبرين والفوزان
تقسيم صلاة التراويح في العشر الأواخر من رمضان	الألباني	لا أعلم
تطويل اللحية زيادة على القبضة	الألباني	ابن باز وابن عثيمين وابن جبرين والفوزان
ملتقيات تكريم العلماء	لا أعلم له محرِّمًا	لا أعلم له محرِّمًا
التهنئة بالعام الهجري	الفوزان	ابن باز وابن عثيمين وابن جبرين
تحري تواريخ محددة لشرح مناسبات معينة	الفوزان	ابن عثيمين

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال الدكتــور عبد الإلٰه العرفج: «وأعيد التأكيــد بأنَّني لم أقصد من عرض تلك المســائل وتحليلهــا أن أرمــي بالابتداع أحــدًا من علماء المسلمين، وليس هذا منهجًا ســليمًا، بل يجب الحذر منه والبعد عنه، وإنَّما أردت أن أبيِّن للمتســرعين والمتجرِّئين من طلبــة العلم خطورة المسارعة والمجازفة بالحكم على أحد من المسلمين بالابتداع؛ لمجرد مخالفته لمشــايخه وعلماء مذهبه؛ لأن هذا المسلك الخطير سينتهي به إلى رمي كبار علماء الأمة بالابتداع في الدِّين، ولن يسلم منه أحد؛ لأنَّهم جميعًا مختلفون في بعض تطبيقاتها الجزئيَّة.

نعم، إنَّها محاولة أردت منها ردَّ طالب العلم المتســرع إلى رشده؛ ليتريث ويتبصَّر، قبل حكمه على أحد من المسلمين بالابتداع في الدِّين، ولعله يعلم أنَّ المسلك الَّذي يستخدمه في التبديع مسلك خطير؛ لثلاثة أسباب:

الأول: أنَّه منطق ضعيف بالمقياس الشرعي.

الثاني: أنَّه ينتج عنــه تبديع جمهور عريض من المســلمين من غير حجة سائغة.

الثالث: أنَّه ينتج عنــه تبديع كبار العلماء المضيقيــن لمعنى البدعة أنفسهم.

ومــن كان منصفًا فســيحظى كلامي عنــده بالقبول، ومــن أبى إلَّا التمسك برأيه فما أملك هدايته، ولكن الله يتولَّى هداه»[1].

(١) انظر: مفهوم البدعــة وأثرها في اضطراب الفتــاوى المعاصرة للدكتــور عبد الإلٰه العرفج صـ ٣٥١ ـ ٣٥٥، نشر دار الفتح، الأردن، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

QaradawiBooks.com

ومـــن كان من أهـــل العلم، وقـــرأ الكلام الَّـــذي نقلناه هنـــا بأدلته وخلافاته، وكان من أهل العدل والإنصاف، ولم يكن عنده هوى لنفسه، ولا موقف معين، ضدَّ واحد أو جماعة من النَّاس، فإنَّه لا شـــك سيكون أميل إلى التوازن والاعتدال في رأيه، وأبعد عن الشطح والغلو والتشدد في كل أمر، صغر أو كبر، قرب من السنة أو بعد.

ومن قرأ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية كله، وضم بعضه إلى بعض، وكذلك كلام تلميذه الإمام ابن القيم، سيجد فيما كتباه كثيرًا ممَّا يهتدي به الدعاة إلى الحق، والعلماء الراســـخون في العلم، وأهل الوسطيَّة في الدين، الَّذين يبتعدون عن تنطُّع المتنطِّعين، وعن تسيُّب المتسيِّبين.

* * *

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

الفصل العاشر

محاربة البدعة

الفرق المبتدعة الَّتي نشأت مبكرًا:

تتبع شيخ الإسلام ابن تيمية في كتبه، وخصوصًا «منهاج السُّنَّة» نشأة البدع الكبرى، والمذاهب الكلامية وتطورها، وكان ممَّا قاله: «أن كان المسلمون ـ في أوَّل أمرهم ـ على ما بعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق، الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول، فلمَّا قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبايع المسلمون عليًّا على الخلافة، ووقعت الفتنة [بين المحافظين على الخلافة، والمطالبين بدم عثمان]، فاقتتل المسلمون بصفِّين، وقتل من قتل، مرقت المارقة الَّتي قال فيها النبي ﷺ: «**تَمْرُقُ مارقةٌ على حينِ فُرْقَةٍ من المسلمين، يقتلهم أَوْلى الطائفتَيْن بالحقِّ**»[1]. وكان مروقها لما حكم الحكمان وافترق النَّاس على غير اتِّفاق، [فظهرت فرقة الخوارج، الَّتي صحت فيها الأحاديث المستفيضة عن عليِّ بن أبي طالب، وعن أبي سعيد الخدري، وعن غيرهما].

وحدثت أيضًا بدعة التشيع، كالغلاة المُدَّعين لإلٰهية علي، والمدعين النص على علي رضي الله عنه، السابِّين لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فعاقب أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه الطائفتين: قاتل المارقين، وأمر بإحراق أولئك الَّذين

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠٦٤) (١٥٠)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

ادعوا فيه الإلٰهية، فإنَّه خرج ذات يوم فسجدوا له، فقال لهم: ما هذا؟ فقالوا: أنت هو. قال: من أنا؟ قالوا: أنت الله الَّذي لا إلٰه إلَّا هو. فقال: ويحكم! هذا كفر، ارجعوا عنه، وإلَّا ضربت أعناقكم! فصنعوا به في اليوم الثاني والثالث كذلك، فأخَّرهم ثلاثة أيام؛ لأنَّ المرتد يستتاب ثلاثة أيام، فلما لم يرجعوا، أمر بأخاديد من نار فخدت عند باب كندة، وقذفهم في تلك النار. وروي عنه أنَّه قال:

لَمَّا رأيتُ الأمرَ أمرًا مُنْكَرَا أجَّجْتُ ناري ودَعَوْتُ قَنْبَرَا(١)

وقتل هؤلاء واجب باتِّفاق المسلمين، لكن في جواز تحريقهم نزاع: فعليٌّ رضي الله عنه، رأى تحريقهم، وخالفه ابن عبَّاس وغيره من الفقهاء، قال ابن عبَّاس: أمَّا أنا فلو كنت لم أحرقهم؛ لنهي النبي ﷺ، أن يعذب بعذاب الله، ولضربت أعناقهم؛ لقول النبي ﷺ: «**من بدَّل دِينَه فاقتلُوه**». وهذا الحديث في صحيح البخاري(٢).

وأمَّا السبابة الَّذين يسبون أبا بكر وعمر، فإنَّ عليًّا لما بلغه ذلك طلب ابن السوداء(٣) الَّذي بلغه ذلك عنه، وقيل:

---

(١) رواه أبو طاهر المخلص في مخلصياته (٥٤٨)، وحسَّن إسناده ابن حجر في فتح الباري (٢٧٠/١٢).

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠١٧).

(٣) قال د. محمد رشاد سالم: (هناك اختلاف بين العلماء فيما إذا كان ابن السوداء هو عبد الله بن سبأ أم أنَّه شخص آخر. فابن طاهر يذهب إلى أن ابن السوداء كان يهوديًّا وافق عبد الله بن سبأ على رأيه بغية إثارة الفتنة. وتابع الإسفراييني ابن طاهر على ذلك. وسبق أن ذكرنا عند الكلام عن عبد الله بن سبأ والسبئية ما نقله النوبختي من أن عبد الله بن سبأ كان يهوديًّا، وقد نقل ذلك أيضًا الشهرستاني ممَّا يفهم منه أنَّه وابن السوداء شخص واحد. انظر: منهاج السُّنَّة النبويَّة لابن تيمية (٣٠٨/١)، هامش رقم (١)، تحقيق محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، والفرق بين الفرق لابن طاهر البغدادي صـ ١٤٤ وتعليق محققه محمد زاهد الكوثري، نشر السيد عزت العطار مؤسس ومدير مكتب =

QaradawiBooks.com

إنَّه أراد قتلـه، فهرب منه إلى أرض قرقيسيا[١].

وأمَّا المفضلـة الَّذين يفضلونه على أبي بكر وعمـر، فروي عنه أنَّه قال: لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلَّا ضربته حدَّ المفتري [يريد حد القذف]، وقد تواتر عنه أنَّـه كان يقول على منبر الكوفة: خير هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر ثـمَّ عمر. روي هذا عنه من أكثر من ثمانين وجهًا، ورواه البخاري[٢] وغيره[٣]، ولهذا كانت الشيعة المتقدمون كلهم متفقين على تفضيل أبي بكر وعمر، كما ذكر ذلك غير واحد.

فهاتان البدعتان: بدعة الخوارج والشيعة، حدثتا في ذلك الوقت لما وقعت الفتنـة، ثمَّ إنَّه في أواخـر عصر الصحابة حدثت بدعـة القَدَرِيَّة والمُرْجِئَة، فأنكر ذلك الصحابة والتابعون، كعبد الله بن عمر وعبد الله بن عبَّاس وجابر بن عبد الله وواثلة بن الأسقع.

ثم إنَّه في أواخر عصر التابعين ـ من أوائل المائة الثانية ـ حدثت بدعة الجَهْمِيَّة منكرة الصفات، وكـان أوَّل من أظـهـر ذلك الجعد بن درهـم، فطـلـبـه خـالـد بن عبد الله القسـري فضحَّى به بواسـط، فخطب النَّاس يوم النحر، وقال: أيها النَّاس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإنِّي مضحٍّ بالجعد بن درهم، إنَّه زعم أنَّ الله تعالى لم يتخذ إبراهيم

= نشر الثقافة الإسـلامية، ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م، والتبصير في الدين للإسفراييني صـ ١٢٤، تحقيق كمال يوسـف الحوت، نشـر عالم الكتب، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، والملل والنحل للشهرستاني (١٧٤/١)، نشر مؤسسـة الحلبي، وفجر الإسلام لأحمد أمين صـ ١١٠، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١١، ١٩٧٩م.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣٣/٤٥).

(٢) رواه البخاري في أصحاب الرسول ﷺ (٣٦٧١)، وأحمد (٨٧٩).

(٣) أطلق ابن تيمية على المُفضِّلة وصف (مفترية) في منهاج السُّنَّة النبويَّة (١١/١).

QaradawiBooks.com

خليلًا، ولم يكلم موسى تكليمًا، تعالى الله عما يقول الجعد علوًّا كبيرًا. ثمَّ نزل فذبحه[١].

ثم ظهر بهذا المذهب الجهم بن صفوان، ودخلت فيه بعد ذلك المعتزلة، وهؤلاء أوَّل من عرف عنهم في الإسلام أنَّهم أثبتوا حدوث العالم بحدوث الأجسام، وأثبتوا حدوث الأجسام بحدوث ما يستلزمها من الأعراض، وقالوا: الأجسام لا تنفك عن أعراض محدثة، وما لا ينفك عن الحوادث أو ما لا يسبق الحوادث فهو حادث؛ لامتناع حوادث لا أوَّل لها»[٢].

تصنيف النَّاس في عصرنا:

أود أن أحذر بعض الإخوة المتدينين، والَّذين أتيح لهم أن يقرؤوا بعض الكتب عن علماء السلف، وأن يكون لدى بعضهم معرفة جيدة ببعض المواد الشرعيَّة من فقهية، أو أصولية، أو تفسيرية، أو حديثية، أو كلامية، أو صوفية، ومنهم من سمعت له أو قرأت له كلامًا جيدًا يدل على حسن فهم، وعلى أن نور العلم قد وصل شعاع منه إلى قلبه، يتسع يومًا بعد يوم، بحسب ما يتاح له من زيادة في العلم، والعمل، والدعوة إلى الله، أو السعي في خير المجتمع، وخير الأمة كلها.

وبعضهم قد لا يصل إلى هذه الدرجة، ولكنَّه يظل يتطلع إلى المزيد من العلم، فإنَّ العلم بحر لا ساحل له، ولا قرار له، والله تعالى يقول لأهله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ٨٥]، ويقول لرسوله، وخاتم رسله محمد: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٢١/١٠)، نشر دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٢) منهاج السنة لابن تيمية (٣٠٦/١ ـ ٣١٠).

QaradawiBooks.com

فلم يأمره بطلب الزيادة إلَّا في العلم، وهو دليل على أنَّ العباد كلهم في أمس الحاجة إلى هذه الزيادة في العلم.

غير مرخصة للطباعة

ولهذا قال الإمام الشافعي:

كُـلَّـمَـا أَدَّبَـنِـي الـدَّهْـ ـــر أَرَانِـي نَقْـصَ عَقْلِـي
أَوْ أَرَانِـي ازْدَدْتُ عِلْمًـا زادنـي عِلْمًـا بِجَهْلِـي[1]

أول ما يطلب من أهل العلم: أن يحترم بعضهم بعضًا، وألَّا يدعي أحدهم أنَّه قد أوتي العلم كله، وأن لا أحد أعلم منه، فسيكتشف أن هذا كله ادعاء باطل، وأنَّ العِلْم موزَّع بين النَّاس، وربَّما كان عند أحدهم ـ وهو مغمور في النَّاس ـ ما ليس عند الكبراء والأعمدة والأساطين.

إننا هنا نحب أن نقول لإخواننا العلماء، الَّذين نحبهم في الله، ونحترم أشخاصهم، حتَّى من أساؤوا إلينا منهم: إنَّ العالم إذا كان عالمًا حقًّا، واجتهد في علمه، ووصل بعد اجتهاده وبحثه إلى رأي، فهو مأجور عليه، وإن كان خطأً، إذا لم يستطع أن يصل إلى الحقيقة العلميَّة، الَّتي تمثل الحق في هذه القضيَّة. وهو ما اختصت به هذه الشريعة، وهذه الأمة: أنَّ العالم إذا اجتهد فأصاب، فله أجران: أجر الاجتهاد، وأجر الإصابة. وإذا اجتهد فأخطأ، فله أجر واحد: أجر الاجتهاد فقط. وهو ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص[2].

حديث الثلاثة وسبعين فرقة:

وأودُّ أن أقول هنا رأيًا وصلت إليه بعد اطلاع وبحث واجتهاد وسؤال ومناقشة: وهو أنِّي لم أقتنع بصحة حديث الثلاثة وسبعين فرقة، الَّتي

(١) ديوانه صـ ٩٠، جمع وتحقيق د. مجاهد مصطفى بهجت، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٩م.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام (٧٣٥٢)، ومسلم في الأقضية (١٧١٦).

نسخة تجريبية

QaradawiBooks.com

تنقسم إليها أمة مُحَمَّد ﷺ، وأنَّها كلها في النار، إلَّا واحدة[١]. وهي الَّتي يطلق عليها: الفرقة الناجية.

وأنا لا أوافق علماء الأُمَّة الكثيرين الَّذين قبلوا هذا الحديث بدون بحث عن أسانيده، أو الَّذين صحَّحوه أو حسَّنوه بعد بحث، وهم على عيني ورأسي.

وأرى أنَّ هذا الموضوع الكبير، يحكم على أمة الإسلام الكبرى، خلال تاريخها، ويقرر مصاير أبنائها وبناتها، وأنَّهم ثلاثة وسبعون فرقة في النار إلَّا واحدة، كان يحتاج إلى حديث أصح وأقوى وأكثر رواة من هذا الحديث، الَّذي لم يروه أحد الصحيحين، برغم أهميته القصوى، ولم تخل أسانيده من قول أو أقاويل فيها.

وعلى كل حال، يهمني أن آخذ ممَّا قيل فيه: أنَّ هذه الفرق الثنتين وسبعين ليست كافرة، بل كلها منبثقة من الأمة المحمدية؛ لأنَّه قال فيها: «**تفترق أُمَّتي**». فهذا مبدأ طيب. وما داموا من أمة مُحَمَّد، فليسوا من المخلدين في النار خلودًا أبديًّا، كالكفار.

ونحن نقول: إنَّ لدينا بديلًا عن الفرقة الناجية، الَّتي لم تثبت بحديث صحيح لا شبهة فيه، وهو «الطائفة المنصورة»، الَّتي صحَّت بها الأحاديث الكثيرة الوفيرة المستفيضة، الَّتي جاءت عن عدد من الصحابة، وجاءت في الصحيحين وفي غيرهما من السنن والمصنفات والمسانيد والمعاجم.

---

(١) انظر كلامنا عليه في كتابنا: الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم صـ ٣٤ ـ ٣٩، ط ٣، نشر دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

وانظر ما جاء في صحيح الجامع الصغير وزياداته، عن: عمر، والمغيرة، وثوبان، ومعاوية، وأبي هُرَيْرة، وقرة بن إياس، وجابر، وعمران بن حصين، وعقبة بن عامر، وزينب بنت أبي سلمة، وابن عمر، وجابر بن سمرة، وأبي أمامة الباهلي، وغيرهم.

الطائفة المنصورة:

فقد دلت هذه الأحاديث ـ وما أصحها وما أعظمها وما أوفرها ـ أن هناك طائفة طيبة من هذه الأمة المباركة، أمة القرآن، وأمة الإسلام، وأمة مُحَمَّد ﷺ، يسميها العلماء: الطائفة المنصورة، وإنَّما أطلقوا عليها هذه التسمية من نفس الألفاظ الَّتي نطقت بها الأحاديث النبويَّة مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا يزال طائفةٌ من أُمَّتي ظاهرين، حتَّى يأتيَهم أمرُ الله وهم ظاهرون**»(١).

«**لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي يقاتلون على الحقِّ ظاهرين إلى يوم القيامة**»، قال: «**فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم: تعالَ صلِّ لنا، فيقول: لا، إنَّ بعضكم على بعضٍ أمراء، تَكْرِمة اللهِ هذه الأُمَّةَ**»(٢).

«**لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي ظاهرين على الحقِّ، لا يضرُّهم من خذلهم، حتَّى يأتي أمر الله وهم كذلك**»(٣).

«**لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي قائمةً بأمر الله، لا يضرُّهم من خذلهم أو خالفهم، حتَّى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس**»(٤).

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام (٧٣١١)، ومسلم في الإمارة (١٩٢١)، عن المغيرة بن شعبة.
(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٥٦)، عن جابر.
(٣) رواه مسلم في الإمارة (١٩٢٠)، عن ثوبان.
(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣١١٦)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧) عن معاوية.

QaradawiBooks.com

«ولن تزال طائفةٌ من أُمَّتي منصوريـــن، لا يضرُّهم من خذلهم حتَّى تقوم الساعة»[١].

«لا تزال طائفةٌ مـــن أُمَّتي يقاتلـــون على الحـــقِّ، ظاهرين على من ناوأهم، حتَّى يقاتلَ آخرُهم المسيحَ الدجَّال»[٢]. وغيرها كثير.

أمَّا وصف بعـــض الدعاة لبعـــض الجماعات المعاصـــرة بأنَّهم من المبتدعة، وأنَّهم ليســـوا من الفرقة الناجية، فهذه مجازفة لا يجرؤ عليها عالم يخشى الله ﷻ ويتقيه، ويعمل على إرضائه ﷻ.

وهناك جماعات كثيرة في العالم الإســـلامي في كل البلاد، بعضها في بلد واحد، وبعضها في بلدين أو ثلاثة، أو أربع، وبعضها في بلاد كثيرة، مثل: جماعة «الإخوان المســـلمين»، الَّتي أسَّسها الإمام الشهيد حسن البنَّا في مصر، وانتقلت في عهده إلى بلاد شتَّى، إلى أن أصبحت اليوم في أكثر من سبعين بلدًا، بعضها في البلاد الإسلاميَّة، وبعضها في بلاد غير إسلاميَّة.

وهناك جماعات سلفية، وجماعات سنية، وجماعات سلفية جهادية، وهناك تنظيم القاعدة، الَّذي أسَّسه أسامة بن لادن، رَحِمَهُ اللَّهُ، وأيده الطبيب المصري ثمَّ ورثه أيمن الظواهري، وهناك جماعات الجهاد المختلـفـة، وهناك جمعيات صوفية، وأحزاب سياســـية، وغيـــر ذلك من التجمعات المختلفة في صورها وأسمائها.

---

(١) رواه أحمد (١٥٥٩٧)، وقال مخرِّجوه: إســـناده صحيح. والترمذي فـــي الفتن (٢١٩٢)، وقال: حســـن صحيح. وابن ماجه في المقدمة (٦)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٠٣)، عن قرة بن إياس.

(٢) رواه أحمد (١٩٩٢٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الجهاد (٢٤٨٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٢٢٤٥)، عن عمران بن حصين.

QaradawiBooks.com

وبعض النَّاس يرمي كثيرًا من هذه الجمعيات بالابتداع في الدِّين، ويرى أنَّها بابتداعها في ضلالة، وكل ضلالة في النار، ويرميها بكل ما يخرج النَّاس من الإسلام إلى الجاهليَّة، ومن الله إلى الطاغوت، ومن السنة إلى البدعة، ومن اتِّباع مُحَمَّد رسول الله إلى اتِّباع الشيطان.

وأنا لا أريد أن أدخل في مناقشة هذه الجزئيات الكثيرة المتضاربة والمتخالفة، والَّتي تحتاج إلى وقت طويل، لتمييز الخبيث منها من الطيب. ولكن أستطيع أن أقول هنا: إننا بطول ما درسناه في هذه القضيَّة، قضيَّة البدعة والسُّنَّة، وما دار حولها من بحوث أصيلة ومستفيضة، أصبح لدينا قدرة على أن نميز بين الحق والباطل فيما يدعى لنا أنَّه بدعة من الأعمال، وأن صاحبه مبتدع، وما ليس كذلك، ونقول: هذه بدعة ضلالة، وهذه ليست كذلك.

البدع المختلف فيها:

كما أنَّنا نستطيع أن نقول: إنَّ هذه الفئة من النَّاس وإن كانت مبتدعة، فليست بدعتها من النوع الَّذي لا شك في بدعيته، بل هو من النوع الخفيف، الَّذي يمكن التغاضي عنه، أو أن لأصحابه من الأعذار ما يجعل أمرهم أخف وأهون كثيرًا من غيرهم، فربما كان عندهم من العلماء، ما عندهم من العلم بالقرآن أو العلم بالحديث، ما يحتجون به على بدعتهم، ويكون احتجاجهم صحيحًا، ويكون هذا شفيعًا لهم عند الله، وإن لم يكن مقبولًا عند النَّاس، كما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، والله واسع الرحمة بالعباد، وهو أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

QaradawiBooks.com

خطأ الاستدلال بكلام ابن تيمية:

ومن النَّاس من يستدلُّ بكلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكنَّه لا يستوعب كلامه كله، في مواضعه المختلفة، وكتبه المتعدِّدة، ومراحله المتطوِّرة، وشعبه المتنوِّعة، وهو له كلام كثير جدًّا يذكره حسَب الحاجة، وحسَب الموضوع، وحسَب الموقع، وحسَب الكتب، وحسَب الفتاوى والرسائل، بعضه مجمل، وبعضه مُفَصَّل، وبعضه إجابة لسؤال محدَّد، وبعضه شرح مطوَّل. وبعضه تفصيل علمي أصيل لموضوعات كبرى، وبعضها فيه تضييق، وبعضها فيه سعة، وبعضها فيه الأمران، ولكن كثيرًا ممَّن يقرؤونه لا يصبرون عليه، ولا يأخذون كلامه كله، ولا يلحقون مفصله بمجمله، ولا مقيده بمطلقه، ولا خاصه بعامه، ولا أوله بآخره.

مع أنَّ المطلوب من كلِّ من يحب شيخ الإسلام: أن ينصفه فيما كتبه، وما ألف فيه، ولا يبتر بعضه عن بعض، فيسيءُ إليه من حيث يظن أنَّه يحسن إليه، ويضيف أقوالًا هي عند التحقيق ليست أقواله النهائية.

ومن قرأ كتب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، يجد فيها أنَّ بعض الأعياد والمواسم، الَّتي أخذت من غير المسلمين، والَّتي تعتبر أعيادًا مبتدعة، وهي من المنكرات عند المسلمين، ولكن ليست كلها من المنكرات المحرمة، بل بعضها من المنكرات المكروهة، الَّتي لم تصل إلى درجة التحريم. وفي هذا نوع من التخفيف على كثير من النَّاس.

كما يقول الشيخ: إن بعض المبتدعين قد يكون له كلام فيها، ناشئ عن علم عنده اجتهد فيه، وغلب عليه البحث والنظر، وهو أهل لهذا البحث والاجتهاد، فهو معذور في هذا الاجتهاد، ولكن ليس على النَّاس أن يتبعوهم في هذا الاجتهاد الَّذي تبيَّن لهم خطؤهم فيه، وبعدهم عن

QaradawiBooks.com

القول الصواب، فهم مأجورون بالنسبة لأنفسهم، ولكن من اتبعهم بعد أن بيَّن العلماء خطأهم مأزور، وليس بمأجور. وهذا ما يجب أن ننتبه له وننبه الآخرين عليه، حتَّى لا يقعوا في المحذور[1].

النظر إلى مرتكبي البدع بميزان العدل والعلم:

ونحن في دعوتنا إلى تقوية السُّنَّة، وتوسيع نطاقها، والتحذير من البدعة، وتضييق دائرتها، والتشنيع على من ارتكبها، واعتبارها ضلالة يجب أن تحذر، مع اعتبارنا أنَّ في بعض مرتكبي البدع علماء محترمين، لهم علمهم وفكرهم واجتهادهم، وقد انتهى بهم علمهم إلى إقرار بدعة معينة، أو نوع معين من البدع، وكان من أهل العلم المشهود لهم، والمعترف بهم. فإنَّ اجتهاده هذا سيكون شفيعًا له عند ربه، فقد بذل فيه غاية وسعه، واستفرغ كل طاقته في البحث والاجتهاد، ولم يصل إلَّا إلى ما وصل إليه، فليس عليه أكثر من ذلك، ولم يكلفه الله إلَّا بما كلف به كل المجتهدين. وفي هذه الحال يكون معذورًا، بل مأجورًا أجرًا واحدًا، كما هو معروف عند أهل العلم، من أنَّ المجتهد في الحكم إذا أصاب فله أجران: أجر الاجتهاد، وأجر الإصابة، وإذا أخطأ فله أجر واحد، هو أجر الاجتهاد.

وهذا ممَّا يقتضيه النظر إلى هذه القضيَّة الخطيرة بميزان العدل والعلم، لا بميزان الظلم والجهل، اللذين أصيب بهما الإنسان، الَّذي لم يهتد بشرع الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

(١) كما في كتابه: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (٢/١٢٤ ـ ١٢٧).

QaradawiBooks.com

اتهام المبتدعين لا يصل إلى حد التكفير:

فنحن ننتقد المبتدعين ونهاجمهم، ونصفهم بما وصفهم به رسول الله ﷺ، ولكن لا يصل الأمر بنا إلى حد تكفيرهم، وإخراجهم من الملة. فهذا أمر كبير جدًّا، ولا يجوز التهاون فيه، ورمي النَّاس بالكفر الصريح، ما لم تقم أدلَّة يقينية ظاهرة الوضوح والقطعية على ذلك.

فقد ابتليت أمتنا بطائفة من المتوسعين والمسارعين في التكفير، فكل من يخالفهم فهو كافر مرتد، مارق من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية. ومعلوم أنَّ الردة لها حكمها المقرر شرعًا في سائر المذاهب.

ونحن الَّذين نؤمن بوسطيَّة الإسلام، ووسطيَّة أمته، الَّتي قامت على التوازن والاعتدال، كما وصفها الله بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] لا بدَّ أن نكون حريصين على تجميع الأمة الواحدة، كما سماها الله تعالى: ﴿هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

ولا نفرط في أحد منها وإن يكن إيمانه ضعيفًا، فعلينا أن نقويه، ونشد أزره، حتَّى يظل مرتبطًا بكيان الأمة، ولا ينفصل عنها. ما دام هناك أدنى رابط يربطه بها.

أمَّا التكفير للأمة أفرادًا وجماعات، فليس هذا موقف الكبار من أهل العلم والدعوة، بل هم أحرص النَّاس على بقاء المسلم مسلمًا، حتَّى يخرج هو من الإسلام بصراحة وجلاء، ليس فيه أدنى ريب أو شبهة.

QaradawiBooks.com

ابن تيمية يرد على المُكَفِّرين لكل أهل البدع والأهواء:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: «الرد على البكري»: «وهذه الطريقة الَّتي سلكها هذا وأمثاله، هي طريقة أهل البدع الَّذين يجمعون بين الجهل والظلم، فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة، ويكفرون من خالفهم في بدعتهم.

كالخوارج المارقين الَّذين ابتدعوا ترك العمل بالسنة المخالفة في زعمهم للقرآن، وابتدعوا التكفير بالذنوب، وكفروا من خالفهم، حتَّى كفروا عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، ومن والاهما من المهاجرين والأنصار وسائر المؤمنين، نقل الأشعري في كتاب «المقالات» أنَّ الخوارج مجمعة على تكفير عليٍّ رضي الله عنه .

وكذلك الرافضة ابتدعوا تفضيل علي على الثلاثة، وتقديمه في الإمامة، والنص عليه، ودعوى العصمة له، وكفروا من خالفهم وهم جمهور الصحابة وجمهور المؤمنين، حتَّى كفروا أبا بكر وعمر وعثمان ومن تولاهم، هذا هو الَّذي عليه أئمتهم.

وكذلك الجَهْمِيَّة ابتدعت نفي الصفات، المتضمن في الحقيقة لنفي الخالق، ولنفي صفاته وأفعاله وأسمائه، وأظهرت القول بأنَّه لا يرى، وأن كلامه مخلوق، خلقه في غيره، لم يتكلم هو بنفسه، وغير ذلك، ثمَّ إنَّهم امتحنوا النَّاس فدعوهم إلى هذا، وجعلوا يكفرون من لم يوافقهم على ذلك.

وكذلك القَدَرِيَّة ابتدعت التكذيب بالقدر، وأنكرت مشيئة الله النافذة، وقدرته التامة، وخلقه لكل شيء، وكفَّروا ـ أو منهم من كفر ـ من خالفه.

QaradawiBooks.com

وكذلك الحلوليَّة والمعطلة للذات والصفـــات، يكفر كثير منهم من خالفهم.

فالذين يقولون: إنَّه بذاته في كل مكان. منهم من يكفر من خالفه.

والَّذين يقولون: إنَّه لا مباين للمخلوقات ولا عالٍ عليها، فمنهم من يكفر من خالفه.

والذين يقولون: ليـــس كلامه إلَّا معنًى واحـــدًا، قائمًا بذاته، ومعنى التوراة والإنجيل والقرآن واحد، والقرآن العزيز ليس هو كلامه، بل كلام جبريل أو غيره. فمنهم من يكفر من خالفه.

والذين يقولون بقدم بعض أحوال العبد، كالَّذين يقولون بقدم صوته بالقرآن، أو قدم بعض أفعاله أو صفاته، وقدم أشكال المداد. فمنهم من يكفر من خالفه.

والذين يقولون بقدم روح العبد، أو بقدم كلامه مطلقًا، أو قدم أفعاله الصالحة، أو أفعاله مطلقًا. فمنهم من يكفر من خالفه.

والذين يقولون: إنَّ الله يرى بلا عين فـــي الدنيا. منهم من يكفر من خالفه. ونظائر هذا متعددة.

وأئمة الســـنة والجماعة وأهل العلم والإيمان: فيهـــم العلم والعدل والرحمة، فيعلمون الحق الَّذي يكونون به موافقين للسُّـــنَّة، سالمين من البدعة، ويعدلون على من خرج منها، ولو ظلمهم، كما قال تعالى: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

QaradawiBooks.com

ويرحمون الخلق، فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لا يقصدون الشر لهم ابتداءً، بل إذا عاقبوهم، وبيَّنوا خطأهم وجهلهم وظلمهم، كان قصدهم بذلك بيان الحق، ورحمة الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا.

فالمؤمنون أهل السُّنَّة، يقاتلون في سبيل الله، ومن قاتلهم يقاتل في سبيل الطاغوت، كالصديق رضي الله عنه مع أهل الردة، وكعلي بن أبي طالب مع الخوارج المارقين ومع الغلاة والسبئية.

فأعمالهم خالصة لله تعالى، موافقة للسنة، وأعمال مخالفيهم لا خالصة ولا صوابًا، بل بدعة واتباع الهوى، ولهذا يسمون: أهل البدع والأهواء. قال الفضيل بن عياض رحمه الله، في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. قال: أحسن العمل: أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إنَّ العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتَّى يكون خالصًا صوابًا، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السُّنَّة[1].

فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم؛ لأنَّ الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك وزنى بأهلك، ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله؛ لأنَّ الكذب والزنى حرام، لحق الله تعالى.

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٩٥/٨).

QaradawiBooks.com

وكذلك التكفير حق لله، فلا يكفر إلَّا من كفره الله ورسوله. وأيضًا فإنَّ تكفير الشخص المعين، وجواز قتله: موقوف على أن تبلغه الحجة النبويَّة، الَّتي يكفر من خالفها، وإلَّا فليس كل من جهل شيئًا من الدين يكفر.

ولهذا لما استحل طائفة من الصحابة والتابعين، كقدامة بن مظعون[1] وأصحابه: شرب الخمر، وظنوا أنَّها تباح لمن عمل صالحًا، على ما فهموه من آية المائدة: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣]، اتفق علماء الصحابة كعمر وعلي وغيرهما، على أنَّهم يستتابون، فإن أصروا على الاستحلال كفروا، وإن أقروا به جلدوا. فلم يكفِّروهم بالاستحلال ابتداءً، لأجل الشبهة الَّتي عرضت لهم حتَّى يتبين لهم الحق، فإذا أصروا على الجحود كفروا.

وقد ثبت في الصحيحين، حديث الَّذي قال لأهله: «**إذا أنا مِتُّ فاسحقوني، ثُمَّ ذَرُّوني في اليمِّ، فوالله، لئن قَدَرَ اللهُ عليَّ ليُعَذِّبَنِّي عذابًا ما عذَّبه أحدًا من العالَمين. فأمر اللهُ البرَّ فردَّ ما أخذ منه، وأمر البحر فردَّ ما أخذ منه، وقال: ما حملك على ما فعلتَ؟ قال: خشيتُكَ يا ربِّ. فغفر له**»[2].

فهذا اعتقد أنَّه إذا فعل ذلك لا يقدر الله على إعادته، وأنَّه لا يعيده، أو جوز ذلك، وكلاهما كفر، لكن كان جاهلًا، لم يتبيَّن له الحق بيانًا يكفر بمخالفته، فغفر الله له.

---

(١) رواه النسائي في الكبرى في الحد في شرب الخمر (٥٢٧٠)، عن ابن عباس.

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٨١)، ومسلم في التوبة (٢٧٥٧)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

ولهذا كنتُ أقــول للجَهْمِيَّة من الحلوليَّة والنُّفــاة، الَّذين نَفَوْا أنَّ الله تعالى فوق العرش، لما وقعت محنتهم: أنا لو وافقتُكم كنتُ كافرًا، لأنِّي أعلــم أنَّ قولَكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون لأنَّكــم جُهَّال. وكان هذا خطابًا لعلمائهم وقضاتهم وشيوخهم وأمرائهم»[1].

وقال الشــيخ ابن تيمية أيضًا في كتابه «المسائل الماردينية»: «مسألة تكفير أهل الأهــواء: النَّاس مضطربون فيها، فقد حكــي عن مالك فيها روايتان، وعن الشافعي فيها قولان، وعن الإمام أحمد أيضًا فيها روايتان. وكذلك أهل الكلام، فذكروا للأشعري فيها قولين، وغالب مذاهب الأئمَّة فيها تفصيل.

وحقيقة الأمر في ذلك: أنَّ القول قد يكون كفرًا فيطلق القول بتكفير صاحبه، فيقال: من قال كذا فهو كافر. لكن الشــخص المعين الَّذي قاله لا يحكم بكفره، حتَّى تقوم عليه الحجة الَّتي يكفر تاركها. وهذا كما في نصوص الوعيد، فإنَّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠].

فهذا ونحوه مــن نصوص الوعيــد حق، لكن الشــخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد، فلا يشهد لمعين من أهل القبلة بالنار، لجواز ألَّا يلحقه الوعيد، لفوات شرط، أو ثبوت مانع، فقد لا يكون التحريم بلغه، وقد يتوب من فعل المحرم، وقد تكون له حسنات عظيمة تمحو عقوبة ذلــك المحرم، وقد يبتلى بمصائب تكفر عنه، وقد يشــفع فيه شفيع مطاع.

(١) الاســتغاثة في الرد على البكري لابن تيمية صـ ٢٤٩ ـ ٢٥٣، تحقيــق د. عبد الله بن دجين السهلي، نشر مكتبة دار المنهاج، السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ.

QaradawiBooks.com

وهكذا الأقوال الَّتي يكفر قائلها، قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون بلغته ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون عرضت له شبهات يعذره الله بها.

فمن كان من المؤمنين مجتهدًا في طلب الحق وأخطأ، فإنَّ الله سبحانه وتعالى يغفر له خطأه كائنًا ما كان، سواء كان في المسائل النظرية أو العمليَّة، هذا الَّذي عليه أصحاب النبي ﷺ، وجماهير أئمَّة الإسلام.

فأما التفريق بين نوع ـ وتسميته: مسائل الأصول يكفر بإنكارها ـ وبين نوع آخر ـ وتسميته مسائل الفروع لا يكفر بإنكارها ـ فهذا الفرق ليس له أصل، لا عن الصحابة ولا عن التابعين لهم بإحسان، ولا أئمَّة الإسلام. وإنَّما هو مأخوذ عن المعتزلة وأمثالهم من أهل البدع، وعنهم تلقاه من ذكره من الفقهاء في كتبهم، وهو تفريق متناقض.

فإنه يقال لمن فرق بين النوعين: ما حد مسائل الأصول الَّتي يكفر المخطئ فيها؟ وما الفاصل بينها وبين مسائل الفروع؟

فإن قال: مسائل الأصول هي مسائل الاعتقاد، ومسائل الفروع هي مسائل العمل.

قيل له: فتنازع النَّاس في مُحَمَّد ﷺ، هل رأى ربه أم لا؟ وفي أن عثمان أفضل من علي، أم علي أفضل؟ وفي كثير من معاني القرآن، وتصحيح بعض الأحاديث، هي من المسائل الاعتقاديَّة العلميَّة. وما كفر فيها أحد بالاتفاق.

ووجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج، وتحريم الفواحش والخمر: هي مسائل عملية، والمنكر لها يكفر بالاتفاق.

وإن قال: الأصول هي المسائل القطعية.

QaradawiBooks.com

قيل له: كثير من مسائل العمل قطعية، وكثير من مسائل العلم ليست قطعية. وكون المسألة قطعية أو ظنية هو من الأمور الإضافيَّة، فقد تكون المسألة عند رجل قطعية؛ لظهور الدليل القاطع له، كمن سمع النص من الرسول ﷺ، وتيقن مراده منه. وعند رجل لا تكون ظنية فضلًا عن أنْ تكون قطعية، لعدم بلوغ النص إياه، أو لعدم ثبوته عنده، أو لعدم تمكنه من العلم بدلالته.

وقد ثبت في الصحاح، عن النبيِّ ﷺ، حديث الَّذي قال لأهله: «**إذا أنا مِتُّ فأحرقوني، ثمَّ اسحقوني، ثمَّ ذرُّوني في اليمِّ، فوالله لئن قدر الله عليَّ ليُعَذِّبَنِّي عذابًا ما عذَّبه أحدًا من العالَمِين. فأمر اللهُ البرَّ بردِّ ما أخذ منه، والبحرَ بردِّ ما أخذ منه، وقال: ما حملك على ما صنعتَ؟ قال: خشيتُكَ يا ربِّ. فغفر الله له**»[1].

فهذا ظاهره شكٌّ في قدرة الله تعالى وفي المعاد، بل ظن أنه لا يعود، وأنه لا يقدر الله تعالى عليه إذا فعل ذلك، وغفر الله له.

وهذه المسائل مبسوطة في غير هذا الموضع، ولكن المقصود هنا أن مذاهب الأئمَّة مبنية على هذا التفصيل بين النوع والعين، ولهذا حكى طائفة عنهم الخلاف في ذلك، ولم يفهموا غور قولهم، فطائفة تحكي عن أحمد في تكفير أهل البدع روايتين مطلقًا، حتَّى تجعل الخلاف في تكفير المُرْجِئَة والشيعة المفضلة لعلي، وربَّما رجحت التكفير والتخليد في النار.

وليس هذا مذهب أحمد ولا غيره من أئمَّة الإسلام، بل لا يختلف قوله: إنَّه لا يكفر المُرْجِئَة الَّذين يقولون: الإيمان قول بلا عمل،

(١) سبق تخريجه صـ٢٢٦.

QaradawiBooks.com

ولا يكفِّر من يفضِّل عليًّا على عثمان، بل نصوصه صريحة بالامتناع من تكفير الخوارج والقَدَرِيَّة وغيرهم.

وإنَّما كان يكفر الجهميِّين المنكرين لأسماء الله وصفاته؛ لأنَّ مناقضة أقوالهم لما جاء به الرسول ﷺ ظاهرة بينة، ولأنَّ حقيقة قولهم تعطيل الخالق. وتكفير الجَهْمِيَّة مشهور عن السَّلف والأئمَّة.

وكان قد ابتلي بهم حتَّى عرف حقيقة أمرهم، وأنَّه يدور على التعطيل، لكن ما كان يكفر أعيانهم، فإنَّ الَّذي يدعو إلى القول أعظم من الَّذي يقول به، والَّذي يعاقب مخالفه أعظم من الَّذي يدعو فقط، والَّذي يكفِّر مخالفه أعظم من الَّذي يعاقبه.

ومع هذا، فالذين كانوا من ولاة الأمور يقولون بقول الجَهْمِيَّة: إنَّ القرآن مخلوق، وإنَّ الله لا يرى في الآخرة، وغير ذلك. ويدعون النَّاس إلى ذلك، ويمتحنونهم ويعاقبونهم إذا لم يجيبوهم، ويكفرون من لم يجبهم، حتَّى أنَّهم كانوا إذا أمسكوا الأسير لم يطلقوه حتَّى يقر بقول الجَهْمِيَّة: إنَّ القرآن مخلوق. وغير ذلك. ولا يولون متوليًا، ولا يعطون رزقًا من بيت المال إلَّا لمن يقول ذلك.

ومع هذا، فالإمام أحمد رحمه الله تعالى، ترحَّم عليهم، واستغفر لهم، لعلمه بأنَّهم لم يتبين لهم أنَّهم مكذبون للرسول، ولا جاحدون لما جاء به، ولكن تأولوا فأخطأوا، وقلدوا من قال لهم ذلك.

وكذلك الشافعي، لما قال لحفص الفرد حين قال: القرآن مخلوق: كفرت بالله العظيم[1].

(١) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٤٨).

QaradawiBooks.com

بيَّن ذلك: أنَّ هذا القول كفــر، ولم يحكم بردة حفص بمجرد ذلك؛ لأنَّه لم يتبين له الحجة الَّتي يكفر بها. ولو اعتقد أنـه مرتد لســعى في قتله، وقد صرح في كتبه بقبول شهادة أهل الأهواء والصلاة خلفهم.

وكذلك قال مالك والشــافعي وأحمد في القدري: إن جحد علم الله كفر. ولفظ بعضهم: ناظروا القَدَرِيَّة بالعلم، فــإن أقروا به خصموا، وإن جحدوه كفروا. وسئل أحمد عن القدري: هل يكفر؟ فقال: إن جحد العلم كفر، وحينئذٍ فجاحد العلم هو من جنس الجَهْمِيَّة.

وأمَّا قتل الداعية إلى البدع، فقــد يقتل لكفِّ ضرره عن النَّاس، كما يقتل المحــارب، وإن لم يكن في نفس الأمر كافــرًا. فليس كل من أمر بقتله يكون قتله لردته، وعلى هذا قتل غيــلان القدري وغيره قد يكون على هذا الوجه. وهذه المســائل مبســوطة في غير هذا الموضع، وإنَّما نبَّهنا عليها تنبيهًا»[1].

وقال الشيخ ابن تيمية أيضًا في «مجموعة الرسائل والمسائل»، وهو يتحدَّث عن قاعدة أهل السُّنَّة والجماعة في أهل الأهواء والبدع، ما يلي: «ولا يجوز تكفير المســلم بذنب فعله، ولا بخطأ أخطأ فيه، كالمســائل الَّتي تنازع فيها أهل القبلة، فــإنَّ الله تعالى قال حاكيًــا دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقد ثبت في الصحيح أنَّ الله تعالى أجاب هذا الدعاء وغفر للمؤمنين خطأهم[2].

والخوارج المارقون الَّذين أمر النبــي ﷺ بقتــالــهــم، قاتلهم أمــيــر المؤمنين عليُّ بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين، واتفق على قتالهم

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٤٥/٢٣ ـ ٣٥٠).

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٢٦)، وأحمد (٢٠٧٠)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

أئمَّة الدين، من الصحابة والتابعين ومـــن بعدهم. ولم يكفرهم علي بن أبي طالب وســـعد بن أبي وقاص وغيرهما مـــن الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم عليٌّ حتَّى سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على أموال المســـلمين، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهـــم، لا لأنَّهم كفار، ولهذا لم يسب حريمهم، ولم يغنم أموالهم.

وإذا كان هؤلاء الَّذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع، لم يكفروا مع أمر الله ورســـوله ﷺ بقتالهم، فكيف بالطوائف المختلفين، الَّذين اشتبه عليهم الحق في مسائل، غلط فيها من هو أعلم منهم؟ فلا يحل لإحدى هذه الطوائف أن تكفر الأخرى، ولا تستحل دمها ومالها، وإن كانت فيها بدعة محققة، فكيـــف إذا كانت المكفرة لها مبتدعـــة أيضًا؟ وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ. والغالب أنَّهم جميعًا جهال بحقائق ما يختلفون فيه.

والأصل: أن دمـاء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض، لا تحل إلَّا بإذن الله ورسوله، قال النبي ﷺ، لما خطبهم في حجة الـــوداع: «**إنَّ دماءكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكـــم حرامٌ، كحُرْمة يومِكم هذا، في بلدِكم هذا، في شهرِكم هذا**»[(١)].

وقال ﷺ: «**كلُّ المسلمِ على المسلم حرام: دَمُه ومالُه وعِرْضُه**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**من صَلَّى صلاتنا، واســـتقبلْ قبلتَنا، وأكلَ ذبيحَتَنا، فهو المسلم، له ذمَّةُ اللهِ ورسولِه**»[(٣)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٧)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩)، عن أبي بكرة.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤) (٣٢)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري في الصلاة (٣٩١)، عن أنس بن مالك.

QaradawiBooks.com

وقال: «**إذا التقى المسلمان بسيفَيْهما، فالقاتلُ والمقتولُ في النار**». قيل: يا رسولَ الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «**إنَّه أراد قتل صاحبه**»(١). وقال: «**لا ترجعوا بعدي كُفَّارًا، يضرب بعضُكم رقابَ بعض**»(٢). وقال: «**إذا قال المسلمُ لأخيه: يا كافرُ. فقد باء بها أحدُهما**»(٣). وهذه الأحاديث كلُّها في الصحاح.

وإذا كان المسلم متأوِّلًا في القتال أو التكفير، لم يكفر بذلك، كما قال عمر بن الخطاب عن حاطبِ بن أبي بَلْتَعَة: يا رسولَ الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: «**إنَّه قد شهد بدرًا، وما يُدْريك لعلَّ الله اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرتُ لكم؟**»(٤). وهذا في الصحيحين.

وفيهما أيضًا من حديث الإفك: أن أسيد بن الحضير قال لسعد بن عبادة: إنَّك منافق تجادل عن المنافقين. واختصم الفريقان، فأصلح النبي ﷺ بينهم(٥).

فهؤلاء البدريُّون فيهم من قال لآخر منهم: إنَّك منافق. ولم يكفِّر النبي ﷺ، لا هذا ولا هذا، بل شهد للجميع بالجنة.

وكذلك ثبت في الصحيحين: عن أسامة بن زيد، أنَّه قتل رجلًا

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣١)، ومسلم في الفتن (٢٨٨٨)، عن أبي بكرة.
(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.
(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٠٤)، ومسلم في الإيمان (٦٠)، عن ابن عمر.
(٤) متَّفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٠٧)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٩٤)، عن علي.
(٥) متَّفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٦١)، ومسلم في التوبة (٢٧٧٠)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

بعد ما قال: لا إلٰه إلَّا الله، وعظم النبي ﷺ ذلك لما أخبره، وقال: «**يا أسامةُ، أقتلتَه بعدما قال: لا إلٰه إلَّا الله؟!**». وكرَّر ذلك عليه، حتَّى قال أسامة: تمنيتُ أنِّي لم أكن أسلمتُ إلَّا يومئذٍ[(١)]. ومع هذا لم يوجب عليه قودًا ولا ديةً ولا كفارةً؛ لأنَّه كان متأولًا ظنَّ جواز قتل ذلك القائل، لظنه أنَّه قالها تعوذًا.

فهكذا السَّلف قاتل بعضهم بعضًا من أهل الجمل وصفين ونحوهم، وكلهم مسلمون مؤمنون، كما قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، فقد بيَّن الله تعالى أنَّهم ـ مع اقتتالهم وبغي بعضهم على بعض ـ إخوة مؤمنون، وأمر بالإصلاح بينهم بالعدل.

ولهذا كان السَّلف مع الاقتتال يوالي بعضهم بعضًا موالاة الدين، لا يعادون كمعاداة الكفار، فيقبل بعضهم شهادة بعض، ويأخذ بعضهم العلم من بعض، ويتوارثون، ويتناكحون، ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعض، مع ما كان بينهم من القتال والتلاعن وغير ذلك.

فالمتأول والجاهل المعذور ليس حكمه حكم المعاند والفاجر، ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣][(٢)].

---

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢٦٩)، ومسلم في الإيمان (٩٦)، عن أسامة بن زيد.

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٥/٢٠٠ ـ ٢٠٢)، تعليق السيد محمد رشيد رضا، نشر لجنة التراث العربي.

QaradawiBooks.com

محاربة البدعة بأفضل الوسائل الَّتي لا تؤدي إلى شرٍّ منها:

إذا عرف المسلمون البدعة، الَّتي حذرهم منها النبي الكريم في أحاديثه، بل القرآن الكريم في آياته، وعرفوا ما لها من آثار سيئة على الحياة الإسلاميَّة، وما وصفها به الرسول ﷺ، من أن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، فلا ريب أن يعملوا على محاربتها، حتَّى لا تظهر في محيطهم، ولا يقع في براثنها بعض أفرادهم، والبدعة بطبيعتها تنتشر انتشار النار في الهشيم، إذا لم تجد من يقاومها. والعامة أسرع شيء إلى التجاوب معها، والشيطان يفرح بها أكثر ممَّا يفرح بالمعصية؛ لأنَّ المعصية كثيرًا ما يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها.

لهذا دعا الإمام حسن البنَّا عليه رحمة الله، إلى محاربة البدعة، وهذا أمر طبيعي، فكل ما يخالف الدين الحق المؤيد بالقرآن والسُّنَّة، يجب على أهل الدين ـ وخصوصًا أهل العلم والدعوة فيه ـ أن يقفوا حراسًا ضدَّ كل ما يفسده، ويؤثر سلبًا على أبنائه، ويعدوا العدة اللازمة، لعدم تكرار وقوعه، فإذا وقع لا بدَّ أن يقوموا بعلاجه، بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالَّتي هي أحسن، كما قال تعالى في كتابه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

ليس هناك شيء يستعصي على العلاج، ولا سيَّما بعد أن قرأنا الحديث النبوي الصريح، الَّذي يقول: «**ما أنزل الله عزَّ وجل داءً، إلَّا أنزل له دواءً، عَلِمَه من عَلِمَه، وجَهِلَه من جهله**»[1].

(١) سبق تخريجه صـ٥٠.

QaradawiBooks.com

فلا يوجد داء عضال ـ في الحقيقة ـ لا دواء له، وإنَّما كل داء له دواؤه وشفاؤه، يعلمه بعض النَّاس، وآخرون لا يعلمونه. فالواجب على أهل الإسلام أن يسعوا بكل مقدرتهم ليحصلوا على الأدوية اللازمة لكل داء يشكو منه النَّاس، وهذا ينطبق على الأدوية المعنوية، كما ينطبق على الأدوية المادِّيَّة؛ لأنَّ الإنسان هو كيان واحد، بعضه مادي، وبعضه روحي معنوي، ولا انفصال بينهما. ومن عالجه يجب أن ينظر إليه كله، فهذا أجدر بعلاجه علاجًا حقيقيًّا.

ويوصي الأستاذ البنا الدعاة توصية مهمة هنا، عرفها من التجربة الَّتي خاضها في حياته، فضلًا عن قراءاته ومطالعاته الكثيرة، وهي أنَّ البدعة يجب أن تحارب، ولكن ينبغي لمن يحاربها أن يحاربها بأفضل الوسائل، الَّتي لا تؤدي إلى شرٍّ منها.

ذلك أن علماءنا ﷺ، اشترطوا في تغيير المنكر لمن قدروا عليه: ألَّا يغيروه بإيجاد منكر مثله أو أكبر منه، فهذا لا يجوز؛ لأنَّ المشروط في تغيير الضرر: ألَّا يغير بضرر مثله، أو بضرر أكبر منه.

فإذا أردت أن تزيل بدعة في المسجد، ترتب على ذلك أن تؤدي إلى امتناع النَّاس عن صلاة الفرائض في المسجد، فقد أدى ذلك إلى شر مستطير.

ومن أراد أن يمنع ابنه أو أبناءه من الذهاب إلى الاحتفال بمولد الشيخ الفلاني في بلدة كذا، فلم يذهبوا، ولكنَّهم ذهبوا إلى معصية أكبر في بلد آخر، فهذه ليست محاربة مقبولة للبدعة.

وقد علمنا الإمام ابن القيم ألَّا ننقل النَّاس من بدعة إلَّا إلى بدعة أخف منها، أو إلى سنة ماضية، لا بدعة فيها أصلًا، أمَّا أن ينقلهم من بدعة إلى ما هو أكبر منها وأعظم إثمًا، فلا يقبل هذا في ميزان الشرع.

QaradawiBooks.com

فإذا كان بعض النَّاس في المسجد يرتكبون بعض الأعمال البدعية المختلف فيها، وشددت في نهيهم وردعهم عنها، بالقوة والعنف، حتَّى تركوا المسجد، وذهبوا ينشغلون بالقمار أو بالمخدرات، وغيرها من المحرمات، فهذا ممَّا لا يقبله العلماء الراسخون.

ولهذا حرص الإمام الشهيد في أصوله العشرين على تحرِّي الوسائل المشروعة والسليمة واللينة، الَّتي لا تنقل النَّاس من البدعة إلى ما هو شرٌّ منها.

جناية المصطلحات على الحقائق والغايات:

قال العلَّامة الداعية الحكيم الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى: «إن للمصطلحات والأسماء الشائعة بين النَّاس للأشياء جناية على الحقائق، ولهذه الجناية قصَّة طويلة في كل فن ولغة، وفي كل أدب ودين، فإنَّها تولد كائنًا آخر، تنشأ عنه الشبهات، وتشتد حوله الخصومات، وتتكون فيه المذاهب، وتستخدم لها الحجج والدلائل، ويحمى فيها وطيس الكلام والخصام، فلو عدلنا عن هذه المصطلحات المحدثة، وعن هذه الأسماء العرفية ورجعنا إلى الماضي، وإلى الكلمات الَّتي كان يعبر بها النَّاس عن هذه الحقائق في سهولة وبساطة، وإلى ما كان ينطق به رجال العهد الأوَّل والسلف الأقدمون، انحلت العقدة وهان الخطب، واصطلح النَّاس.

مصطلح التصوف:

ومن هذه الأسماء والمصطلحات والأسماء العرفية، الَّتي شاعت بين الناس: «التصوف»، ومن هنا ثارت أسئلة وبحوث، وتساءل النَّاس

QaradawiBooks.com

ما مدلول الكلمة، وما مأخذها؟ هل هو من الصوف أو من الصفاء أو من الصفو؟ أو هي مأخوذة من الكلمة اليونانية «صوفيا» ومعناها (الحكمة)[١].

ومتى حدثت هذه الكلمة؟ ولم نعرف لها أثرًا في الكتاب والسُّنَّة، وما جاءت في كلام الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان، وما عرفت في خير القرون، وكل ما كان هذا شأنه، فإنَّه من البدع المحدثة، وقد حميت المعركة بين أصدقائه وخصومه، والموافقين والمعارضين، حتَّى تكونت بذلك مكتبة كبيرة يصعب استعراضها.

التزكية والإحسان ومكانتهما من الكتاب والسُّنَّة:

أمَّا إذا عدلنا عن هذا المصطلح الَّذي نشأ وشاع في القرن الثاني[٢]، ورجعنا إلى الكتاب والسُّنَّة وعصر الصحابة والتابعين، وتأملنا في القرآن والحديث، وجدنا القرآن ينوِّه بشعبة من شعب الدين، ومهمة من مهمات النبوة، يعبر عنها بلفظ «التزكية»: ويذكرها كركن من الأركان الأربعة الَّتي بعث الرسول الأعظم ﷺ لتحقيقها وتكميلها: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]. وهي تزكية النفوس وتهذيبها وتحليتها بالفضائل، وتخليتها من الرذائل، التزكية الَّتي نرى أمثلتها الرائعة في حياة الصحابة رضوان الله عليهم، وإخلاصهم وأخلاقهم، والَّتي كانت نتيجتها هذا

(١) كلها أقوال قيلت في معنى التصوف واشتقاقه، راجع: دائرة المعارف للبستاني المجلد الخامس، لفظ «التصوف»، وتاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان صـ ٦٤١، ٦٤٢، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت.

(٢) كشف الظنون (٤١٤/١) نقلًا عن الإمام القشيري، نشر مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.

QaradawiBooks.com

المجتمع الصالح الفاضل المثالي، الَّذي ليس له نظير في التاريخ، وهذه الحكومة العادلة الراشدة، الَّتي لا مثيل لها في العالم.

ووجدنا لسان النبوة يلهج بدرجة هي فوق درجة الإسلام والإيمان، ويعبر عنها بلفظ «الإحسان» ومعناها كيفية من اليقين والاستحضار، يجب أن يعمل لها العاملون، ويتنافس فيها المتنافسون، فيسأل الرسول ﷺ ما الإحسان؟ فيقول: «**أنْ تعبد الله كأنَّك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنَّه يراك**»[1].

ووجدنا في الشريعة، وما أثر عن الرسول ﷺ من الأقوال والأحوال، ودوِّن في الكتب ينقسم بين قسمين، أفعال وهيئات، وأمور محسوسة كقيام وقعود، وركوع وسجود، وتلاوة وتسبيح، وأدعية وأذكار، وأحكام ومناسك، قد تكفل بها في الحديث روايةً وتدوينًا، والفقه استخراجًا واستنباطًا، وقام بها المحدثون والفقهاء ـ جزاهم الله عن الأمة خيرًا ـ فحفظوا للأمة دينها وسهلوا لها العمل به.

وقسم آخر هو كيفيات باطنيَّة، كانت تصاحب هذه الأفعال والهيئات عند الأداء، وتلازم الرسول ﷺ قيامًا وقعودًا، وركوعًا وسجودًا، وداعيًا وذاكرًا، وآمرًا وناهيًا، وفي خلوة البيت وساحة الجهاد، وهو الإخلاص والاحتساب، والصبر والتوكل، والزهد وغنى القلب، والإيثار والسخاء، والأدب والحياء، والخشوع في الصلاة والتضرع، والابتهال في الدعاء، والزهد في زخارف الحياة وإيثار الآخرة على العاجلة، والشوق إلى لقاء الله، إلى غير ذلك من كيفيات باطنيَّة وأخلاق إيمانية هي من الشريعة بمنزلة الروح من الجسد،

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

والباطن من الظاهر، وتندرج تحت هـذه العناوين تفاصيل وجزئيات وآداب وأحكام، تجعل منها علمًا مستقلًا، وفقهًا منفردًا، فإن سمي العلم الَّذي تكفل بشرح الأوَّل وإيضاحه وتفصيله والدلالة على طرق تحصيله «**فقه الظاهر**» سمي هذا العلم الَّذي يتكفل بشرح هذه الكيفيات، ويدل على طرق الوصول إليها «**فقه الباطن**».

فكان الأجدر بنا أن نسمي العلم الَّذي يتكفل بتزكية النفوس وتهذيبها وتحليتها بالفضائل الشرعيَّة وتخليتها من الرذائل النفسية والخلقية، ويدعو إلى كمال الإيمان والحصول على درجة الإحسان، والتخلق بالأخلاق النبويَّة، واتباع الرسول ﷺ، في صفاته الباطنيَّة، وكيفياته الإيمانية، كان الأجدر بنا وبالمسلمين أن يسموه «التزكية» أو «الإحسان» أو «فقه الباطن»، ولو فعلوا ذلك لانحسم الخلاف وزال الشقاق، وتصالح الفريقان اللذان فرَّق بينهما المصطلح، وباعد بينهما الاستعمال الشائع، فالتزكية والإحسان وفقه الباطن، حقائق شرعيَّة علمية، ومفاهيم دينية ثابتة من الكتاب والسُّنَّة، يقرُّ بها المسلمون جميعًا.

تغير المناهج وتطورها بحسَب الزمان والمكان:

ولو ترك المُتَصَوِّفون الإلحاح على منهاج عملي خاصٍّ للوصول إلى هذه الغاية الَّتي نعبِّر عنها بالتزكية أو الإحسان، أو فقه الباطن، فالمناهج تتغيَّر وتتطوَّر بحسب الزمان والمكان، وطبائع الأجيال والظروف المحيطة بها، وألحوا على «الغاية» دون «الوسائل»، لم يختلف في هذه القضيَّة اثنان، ولم ينتطح فيها عنزان، وخضع الجميع وأقروا بوجود شعبة من الدين، وركن من أركان الإسلام، يحسن أن نعبر عنه بالتزكية، أو الإحسان، أو فقه الباطن، وأقروا بأنَّه روح

QaradawiBooks.com

الشريعة، ولب لباب الدين وحاجة الحياة، فلا كمال ولا صلاح للحياة الاجتماعيَّة، ولا لذة ـ بالمعنى الحقيقي ـ في الحياة الفردية إلَّا بتحقيق هذه الشعبة في الحياة.

لنقرر الحقيقة ونتحرَّر من القيود وننبذ العصبيَّة:

ومن هنا كانت جناية المصطلح، والعرف الشائع (التصوف) على هذه الحقيقة الدِّينيَّة الناصعة، عظيمة، فقد حجبتها عن أنظار كثيرة، وصدَّت فريقًا كبيرًا من النَّاس عن سبيلها، والحرص على تحصيلها، ولكن كان ذلك لأسباب تاريخية يطول ذكرها، والأمور تجري كثيرًا على غير الأهواء والمصالح، وليس لنا الآن إلَّا أن نقرر الحقيقة، ونتحرر من القيود والمصطلحات، ومن النزعات والتعصبات، ولا نفر من حقيقة دينية، يقررها الشرع ويدعو إليها الكتاب والسُّنَّة، وتشتد إليها حاجة المجتمع والفرد لأجل مصطلح محدث، أو اسم طارئ دخيل»[1].

* * *

(١) ربانية لا رهبانية لأبي الحسن الندوي صـ ٨ ـ ١٣، نشر دار الفتح، بيروت، ط١، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

الفهارس العامة

- فهــرس الآيات القرآنيــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشــريفة.
- فهرس الموضوعات.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

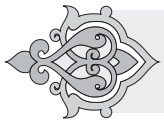

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾	١١	٤٤
﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾	٨٥	١٤٢
﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾	١١١	١٤٠
﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١١٧	٢٢، ٤٣
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾	١٤٣	١٢، ٢٢٢
﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	١٦٣	١٢٦
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ ﴾	١٦٥	١٢٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ ﴾	١٧٢	١٥٢
﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾	١٧٧	٥٣
﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾	١٧٨	١٧١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾	١٨٣	١١٦
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾	١٨٥	٥٢، ٧٩
﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ﴾	١٩٠	١٥٢، ١٥٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾	٢٠١	٨١
﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾	٢٥٧	١٦٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾	٢٦٧	١٤٧
﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٢٧٣	١٤٧
﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾	٢٨٦	٨٠، ٢٠٢، ٢٣١
سورة آل عمران		
﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾	٧	١٢٢
﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ﴾	٩٣	١٨٤
﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾	٩٥	١٨٤
﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾	١٠٣	١٥٨، ١٨٣
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ﴾	١٩٠	١٤٠
سورة النساء		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾	١٠	٢٢٧
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾	٢٨	٥٣، ١٠٤، ٢٠٢
﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾	٣١	١٥٨
﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾	٥٨	١٨٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾	٥٩	١٤٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا﴾	٧١	١٥٢
﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾	٨٠	١٤٣

QaradawiBooks.com

الآيــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾	١٠٢	١٥٢
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾	١٢٢	٥٨
﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾	١٣٦	٥٣
سورة المائدة		
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾	٣	٩، ٥٢، ٥٦، ٥٩، ٧٥، ٧٨، ٧٩، ١١٧، ١٠٨
﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾	٦	٥٢
﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾	٨	٢٢٤
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾	٤٨	١٢١
﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ﴾	٤٩	١٢١، ١٤٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾	٦٧	٥٦، ٧٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾	٨٧	١٥٢
﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾	٨٨	١٥٢
﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾	٩٣	٢٢٦
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾	١٠٤	١٤٠
سورة الأنعام		
﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾	٥٢	١٤٨
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾	٨٩	١٢
﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾	٩٤	١٢٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾	١٠٣	١٢٢
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾	١١٢	١١
﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ ﴾	١٢١	١١
﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾	١٢٢	١٦٣
﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾	١٣٦ ـ ١٤٠	٦٠، ١٠٦
﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾	١٤٠	٦٠، ١٧٩
﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾	١٥٣	٨٧
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	١٦٢	١٨٣
سورة الأعراف		
﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾	٣	٤
﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ ﴾	٣١	١٠٤، ١٥٢
﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾	٣٢	١٠٤
﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾	٥٥	٩٤
﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾	١٥٧	٨٠، ٢٠٢
﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾	١٨١	١٢
سورة الأنفال		
﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾	٢	٩١
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾	٢٠	١٤٣
﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾	٣٩	١٢٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة التوبة		
﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	٣١	٤، ٧٨
﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ ﴾	٦٢	١٨٨
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾	١٠٠	٧٤
﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾	١٢٨	١٨٠
سورة يونس		
﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ ﴾	١٨	١٢٨
﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ ﴾	٢٦	١٢٣
﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾	٣٢	٧٦
﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا ﴾	٥٩	٥٩، ١٧٩
سورة هود		
﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾	١	١٣٩
﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾	٥٥	٣٥
سورة يوسف		
﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾	١٠٦	١٢٧
سورة الرعد		
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾	٤	١٤٠
﴿فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا ﴾	١٧	١٣٧
﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾	٣٩	١٧٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة إبراهيم		
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾	٤	٤٦
سورة النحل		
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾	١٢	١٤٠
﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞۚ وَلَنِعۡمَ دَارُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾	٣٠	١٥٠
﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ ﴾	٣١	١٥٠
﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾	٣٦	١٠٨، ١٢٦
﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾	٥١	١٢٦
﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾	٨٩	١٣٨
﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ ﴾	١١٦	٥٩، ١٧٩
﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾	١٢٥	٢٣٥
سورة الإسراء		
﴿وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا﴾	٤٦	١٢٦
﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾	٨٥	٢١٤
سورة الكهف		
﴿ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	١٤	٩٢
﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴾	١٨	٩٢
﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾	٢٨	١٢٠، ١٤٨
﴿ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾	١٠٤	١٠٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة مريم		
﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾	٣	٩٦
سورة طه		
﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾	١١٤	٢١٤
سورة الأنبياء		
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾	٢٥	١٠٨
﴿هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾	٩٢	٢٢٢
سورة الحج		
﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾	١٩ ـ ٢٢	١٣٩
﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾	٧٨	٧٩
سورة المؤمنون		
﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾	٥٢	٢٢٢
﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٨٤ ـ ٨٩	١٢٨
﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾	١١٧	١٢٦
سورة النور		
﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾	٤٠	١٦
﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾	٦٣	٧٥، ١١٧
سورة الفرقان		
﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾	١٥	١٥٠
﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ﴾	١٦	١٥٠

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾	٤٣	١٢١
﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ ﴾	٤٤	١٢١
سورة الشعراء		
﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾	٢٢٤	٩١
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾	٢٢٧	٩١
سورة النمل		
﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾	٦	١٣٩
سورة القصص		
﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾	٥٠	١٢٠
سورة العنكبوت		
﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾	٤٦	٢٧
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾	٦١	١٢٨
سورة الروم		
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	٢٤	١٤٠
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾	٢٧	١٤٠
سورة الأحزاب		
﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾	٣٩	١٨٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ ﴾	٥٦	٨٠
﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾	٧٢	٢٢١

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الصافات		
﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾	٣٥	١٢٦
﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾	٣٦	١٢٦
سورة ص		
﴿أَجَعَلَ ٱلْأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾	٥	١٢٦
﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٢٦	١٢٠
سورة الزمر		
﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٩	١٨٣
﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾	٣٣	١٥٠
﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	٣٤	١٤٩، ١٥٠
﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا﴾	٤٣	١٢٨
﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾	٤٤	١٢٨
﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ ۖ﴾	٤٥	١٢٦
سورة فصلت		
﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	٤٢	١٣٩
سورة الشورى		
﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾	٢١	٤، ٥٩، ٧٦، ٧٧
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ﴾	٢٢	١٥٠
﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾	٣٨	١٨٣
﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾	٥٢	١٦٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزخرف		
﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾	٤٥	١٢٦
سورة الدخان		
﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾	٥٨	١٣٧
سورة الجاثية		
﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ ﴾	٢٣	١٢٠
سورة الأحقاف		
﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾	٩	٢٠
سورة محمد		
﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴾	١٤	١٢١
﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ ﴾	١٦	١٢١
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾	١٧	١٢١
سورة الحجرات		
﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾	٩	٢٣٤
سورة ق		
﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾	٣٥	١٥٠
سورة الذاريات		
﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	٥٠	٩٢
سورة النجم		
﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾	١ ـ ٤	١٣٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة القمر		
﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾	١٧	١٣٧
سورة الواقعة		
﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۞ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾	١٧ ـ ٢٤	١٣٩
سورة الحديد		
﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا ﴾	٢٧	٢٢، ١١٠
﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ ﴾	٢٧	٢٢، ١٠٤، ١١٠، ١٦٧
سورة المجادلة		
﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾	١١	١٨٣
سورة الحشر		
﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾	٨	١٤٧
﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ﴾	١٠	٧٤
سورة الممتحنة		
﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾	٤	١٢٦
سورة الجمعة		
﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾	٢	٢٣٨
سورة الطلاق		
﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾	٣	٢٣٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الملك		
﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٢	٣٧، ٢٢٥
سورة المزمل		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾	١ ـ ٥	١٣٨
سورة القيامة		
﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾	٣، ٤	١٤٠
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾	٢٢، ٢٣	١٢٣
سورة العلق		
﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾	١	١٨٣
سورة الكوثر		
﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾	٢	٨٤
سورة الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾	١	١٩٢

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

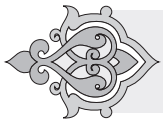

غير مرخصة للطباعة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
أتي رسول الله ﷺ يومًا بلحم، فرفع إليه الذراع	٤٠
أجعلتَني لله نِدًّا؟! قلْ: ما شاء الله وحْدَه	١٧٦
إذا أتت النبيَّ ﷺ صدقة؛ بعث بها إليهم، ولا يتناول منها شيئًا	١٤٦
إذا اجتهد الحاكمُ فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر	٢٦
إذا اجتهد فأصاب، فله أجران	٢١٥
إذا أنا مِتُّ فأحرقوني، ثمَّ اسحقوني، ثمَّ ذرُّوني في اليمِّ	٢٢٩
إذا أنا مِتُّ فاسحقوني، ثُمَّ ذَرُّوني في اليمِّ	٢٢٦
إذا التقى المسلمان بسيفَيْهما، فالقاتلُ والمقتولُ في النار	٢٣٣
إذا عطس أحدُكم فليحمدِ الله	٧٢
إذا قال المسلمُ لأخيه: يا كافرُ. فقد باء بها أحدُهما	٢٣٣
أذن لأبي شاه أن يكتب له خُطْبته	٢٨
أذن لعبد الله بن عمرو أن يكتب عنه ما سمعه في الغضب والرضا	٢٨
ارْبَعُوا على أنفُسِكم؛ إنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا	٩٥
اقتدوا باللَّذَيْن من بعدي: أبي بكر وعمر	٢١
أَلَا إنَّ القوَّةَ الرَّمْيُ	١٥٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
اللهمَّ أصلحْ لي ديني الَّذي هو عِصْمة أمري، وأصلحْ لي دُنْياي الَّتي فيها معاشي	٨١
اللهمَّ ربَّ النَّاسِ، أذهبِ الباسَ، اشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلَّا شفاؤكَ	٥١
اللهمَّ ربَّ هذه الدعوةِ التامَّةِ والصلاة القائمةِ	١٨٧
اللهمَّ صلِّ على مُحَمَّد، وعلى آلِ مُحَمَّد، كما صليتَ على إبراهيم	٨٠
اللهمَّ لا تجعلْ قبري بعدي وثنًا يُعْبَد	١٧٦
أمَّا بعدُ، فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخير الهَدْي هَدْي مُحَمَّد	٦١
أمر باتِّباع سُنَّة خلفائه الراشدين	٦٣
أمر بإجلاء اليهود والنصارى من جزيرة العرب	٢٨
أن أسيد بن الحضير قال لسعد بن عبادة: إنَّك منافق تجادل عن المنافقين	٢٣٣
إنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسنَ الهَدْيِ هديُ مُحَمَّد	٥، ٣٢
إنَّ الَّذي أنزل الداء أنزل الدواء	٥١
إنَّ الله خلق خلقه في ظُلْمة، ثُمَّ ألقى عليهم من نوره	١٦١
إنَّ الله لا يقبض العِلْمَ انتزاعًا ينتزعه من النَّاس، ولكنْ يقبضُ العلم بقبض العلماء	١٣٠
إنَّ الله يبعث لهذه الأُمَّة، على رأسِ كُلِّ مائةِ سنةٍ من يُجَدِّدُ لها دِينَها	١١٥
أنْ تعبد الله كأنَّك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنَّه يراك	٢٣٩
أنَّ خياطًا دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه	٤٠
إنَّ دماءكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرامٌ، كحُرْمة يومِكم هذا	٢٣٢
إنَّ الرجل إذا قام مع الإمام حتَّى ينصرف، حُسِبَ له بقيةُ ليلتِه	٢٩
إن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة من جوف الليل، فصلى في المسجد	١٩
إنْ شئتم قسمتُها بين المهاجرين، وتركتم نصيبكم فيها	١٤٥
إنَّ لجِسَدِكَ عليك حقًّا	١٠٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أنَّ النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة بين يديه يمشي	٩٩
إنَّ النبيَّ ﷺ لما حجَّ جاء إلى هذا المكان فقضى حاجته	٤٢
أنَّ النبيَّ ﷺ نهى أن يُذْبَح للجنِّ	١٩٠
ان يقوم بأصحابه ليالي الأفراد في العشر الأواخر	٦٣
إنَّا أُمَّة أُمِّيَّة، لا نكتُب ولا نَحْسُب، الشهر هكذا وهكذا	٤٧، ٤٨
إنَّما الأعمال بالنيَّات	٣٦، ٣٧
إنَّما بُعِثتُم مُيَسِّرين، ولم تُبْعَثوا مُعَسِّرين	٥٣، ٧٩
إنَّما ظننتُ ظنًّا، فلا تؤاخذوني في الظنِّ، أنتم أعلم بأمْرِ دُنْياكم	١٥١
أنَّه ﷺ أمر باتِّباع سُنَّة خلفائه الراشدين	٦٣
أنَّه ﷺ، كان في بعض الأحيان يُصَلِّي ركعتي الفجر، ويضطجع على جَنْبِه الأيمن	٣٨
إنَّه قد شهد بدرًا، وما يُدْريك لعلَّ الله اطَّلع على أهل بدر	٢٣٣
إنَّه من يَعِشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي	٦٢
إنِّي فَرَطُكم على الحوض، من مرَّ عليَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا	١٧٥
اهجُهم وجبريلُ معك	٩٧
إهلال رسول الله ﷺ في حجَّة الوداع بالتلبية، بمثل حديث ابن عمر	١٩٢
أوصيكم بالسَّمْعِ والطاعة، فإنَّه من يَعِشْ منكم بعدي	٣٢
أوصيكم بتقوى الله والسمعِ والطاعةِ، وإن كان عبدًا حبشيًّا	٥، ١٠
إيَّاكم ومُحْدَثَاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ	١٠٩
ب	
بُعِثْتُ أنا والساعةُ كهاتَيْن	٦١
بُعِثْتُ بحنيفيَّة سَمْحة	٥٣
بلى، حَرَّموا عليهم الحلال، وأحلُّوا لهم الحرام، فاتَّبعوهم، فذلك عبادتهم إيَّاهم	٧٨

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ت	
تَدَاوَوْا، ولا تتداووا بحرامٍ	١٥٤
تَمْرُقُ مارقةٌ على حينِ فُرْقَةٍ من المسلمين، يقتلهم أَوْلى الطائفتَيْن بالحقِّ	٢١١
خ	
خيرُ الحديث كتاب الله، وخيرُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وشرُّ الأمور مُحْدَثَاتُها	١٠٩
د	
الدُّنْيا متاعٌ، وخيرُ متاع الدُّنْيا المرأة الصالحة	١٠٤
ر	
رأيت رسول الله ﷺ فعل هذا ففعلت	٤١
س	
سلوه لأيِّ شيءٍ يصنعُ ذلك؟. فسألوه، فقال: لأنَّها صفة الرحمٰن	١٩٢
سمع الله لمن حَمِدَه. قال رجل وراءه: ربَّنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا	١٩١
السَّيِّد اللهُ تبارك وتعالى	١٧٦
ش	
شرُّ قتلى تحتَ أديم السماء، خيرُ قتلى مَنْ قتلوه	٣٤
ص	
صدق اللهُ وكذب بطنُ أخيك	١٨٤
صلُّوا في بيوتكم، ولا تتَّخذوها قبورًا، ولا تتَّخذوا بيتي عيدًا	١٧٤
صلَّيْت خلفَ رسول الله ﷺ فلم يقنت	٧٣
صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته	٤٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ع	
عَجِبْتُ لها، فُتِحَتْ لها أبوابُ السماء	١٩٠
عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين، وعَضُّوا عليها بالنواجذ	٢١، ٢٥، ٢٩، ٦٩
ف	
فأقول: إنّهم من أُمَّتي!. فيقال: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك	١٧٥
فإنَّ خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهَدْيِ هديُ مُحَمَّد	١٠
فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم: تعالَ صلِّ لنا، فيقول: لا	٢١٧
ك	
كان في بعض الأحيان يُصَلِّي ركعتي الفجر، ويضطجع على جَنْبِه الأيمن	٣٨
كان يدأب ليلته فيستريح	٣٩
كان يقوم بأصحابه ليالي الأفراد في العشر الأواخر	٦٣
كتب لعمرو بن حزم لما استعمله على نجران	٢٩
كُلْ بيمينِكَ. قال: لا أستطيع. قال: لا استطعْتَ	٤٠
كُلُّ مُحْدَثَةٍ بدعة، وكلُّ بدعةٍ ضلالة، وكلُّ ضلالةٍ في النَّار	٢١، ٢٣، ٣٠، ٦٢، ١٠٥، ١٦٦، ١٩٨، ١٩٩
كلُّ المسلمِ على المسلم حرام: دَمُه ومالُه وعِرْضُه	٢٣٢
كنا نعزل والقرآن ينزل، فلم ينهنا	١٩٤
ل	
لا تتَّخِذوا قبري عيدًا، ولا بيوتَكم قبورًا، وصلُّوا عليَّ	٧٤
لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلُّوا عليَّ	١٧٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لا تحلُّ الصدقة لغنيٍّ، ولا لذي مِرَّة سَوِيٍّ	٩٨
لا ترجعوا بعدي كُفَّارًا، يضرب بعضُكم رقابَ بعض	٢٣٣
لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي ظاهرين على الحقِّ، لا يضرُّهم من خذلهم	٢١٧
لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي قائمةً بأمر الله، لا يضرُّهم من خذلهم أو خالفهم	١١٤، ٢١٧
لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي يقاتلون على الحقِّ ظاهرين إلى يوم القيامة	٢١٧
لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي يقاتلون على الحقِّ، ظاهرين على من ناوأهم	٢١٨
لا تُطْرُوني كما أطرت النَّصارى عيسى ابن مريم، ولكن قولوا عبد الله ورسوله	١٧٥
لا تَغْدِروا، ولا تُمَثِّلوا	١٥٣
لا تكتبوا عَنِّي غيرَ القرآن، ومن كتب عَنِّي غير القرآن فليَمْحُه	٢٨
لا تلعنْه؛ فإنَّه يحبُّ اللهَ ورسولَه	٣٣
لا، ما دعوتم الله لهم وأثنيتُم عليهم	١٤٦
لا يأكلَنَّ أحدُكم بشماله، ولا يشربَنَّ بها؛ فإنَّ الشيطان يأكلُ بشماله	٤٠
لا يزال طائفةٌ من أُمَّتي ظاهرين، حتَّى يأتيَهم أمرُ الله وهم ظاهرون	٢١٧
لا يقعد قومٌ يذكرون الله، إلَّا حفَّتهم الملائكةُ	٩٣
لبَّيْكَ اللهمَّ لبَّيْكَ، لبَّيْكَ لا شريكَ لك لبَّيْكَ، إنَّ الحمدَ والنِّعْمَةَ لك والمُلْك	١٢٥، ١٩٢
لبَّيْكَ إلٰه الحقِّ لبَّيْكَ	١٩٣
لكلِّ داءٍ دواء، فإذا أُصيبَ دواءُ الداءِ، بَرَأ بإذن الله	٥٠
لو يعلم الَّذين يُقاتلونهم ماذا لهم على لسان مُحَمَّد، لاتَّكَلُوا عن العمل	٣٤
م	
ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم	٩٣
ما أحيا قوم بدعة إلَّا أماتوا مثلها من السُّنَّة	٨٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ما أنزل الله داءً إلَّا أنزل له شفاءً، علمه من علمه، وجهله من جهله	٥٠، ١٥٤، ٢٣٥
ما من مسلمٍ يزرع زرعًا، أو يغرس غرسًا، فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ	١٥٣
مر بإجلاء اليهود والنصارى من جزيرة العرب	٢٨
مَن أحدثَ في أمْرِنا هذا ما ليس منه، فهو ردٌّ	٥، ٩، ٣٦، ٣٧، ٦١، ٦٢، ١٠٨، ١٨٢، ٢٠٠
من بدَّل دِينَه فاقتلُوه	٢١٢
من تطبَّب ولم يُعْلَمْ منه طِبٌّ، فهو ضامنٌ	٥١
من رغب عن سُنَّتي فليس مِنِّي	١٦٨
من سنَّ سُنَّةً حسنة كان له أجرُها، وأجرُ من عمل بها	٢٠، ١١٠، ٢٠٠
من سنَّ سُنَّة سيِّئةً كان عليه وِزْرُها، ووِزْرُ من عمل بها	٢١
من صَلَّى صلاتنا، واستقبلْ قبلتَنا، وأكلَ ذبيحَتَنا، فهو المسلم، له ذمَّةُ اللهِ ورسولِه	٢٣٢
مَنْ علم الرَّمْيَ ثُمَّ تركه، فليس مِنَّا أو قد عصى	١٥٢
من عمل عملًا ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ	٥، ١٠، ٦١، ١٠٨
من قاتل لتكون كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيل الله	١٥٢
من نصب شجرةً، فصبر على حفظها، والقيام عليها، حتَّى تُثْمر	١٥٣
من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْهُ فلا هاديَ له	١٠
هـ	
هذه سُبُل، على كلِّ سبيلٍ منها شيطان يدعو إليه	٨٧
هي من قَدَرِ الله	١٥٥

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
و	
ولن تزال طائفةٌ من أُمَّتي منصورين، لا يضرُّهم من خذلهم حتَّى تقوم الساعة	٢١٨
وما علمتَ أنَّها رُقْيَة؟! اقبضوا الغنم، واضربوا لي معكم بسهم	١٩١
ي	
يا أسامةُ، أقتلتَه بعدما قال: لا إلٰه إلَّا الله؟!	٢٣٤
يا أيُّها النَّاس، ابْكُوا، فإن لم تَبْكوا؛ فتباكَوْا	٩٢
يا أيُّها النَّاس، عليكم بتقواكم، لا يَسْتَهْوِيَنَّكم الشيطانُ، أنا مُحَمَّد بنُ عبد الله	١٧٦
يا عبادَ الله، تداوَوْا؛ فإنَّ الله ما أنزل داءً إلَّا أنزل له دواءً	١٥٤
يا غلامُ، سَمِّ الله، وكُلْ بيمينِكَ، وكُلْ ممَّا يليكَ	٣٩
يَحْقِرُ أحدُكم قيامَه إلى قيامهم، وصيامَه إلى صيامهم، وقراءته إلى قراءتهم	٤٤، ٨٧
يحملُ هذا العلمَ من كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُه، ينفون عنه تحريفَ الغالين	١٢
يحملُ هذا العِلْمَ من كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُه، ينفُون عنه تحريفَ الغالين	١٣٠
يَخْرُج من ضِئْضِئِ هذا قومٌ يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاتهم	٣٣
يَسِّروا ولا تُعسِّروا	٥٣
يقرؤون القرآنَ لا يُجَاوز حناجرَهم، يمرقون من الإسلام كما يَمْرُقُ السهمُ	٤٤

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الموضوعات

❖ من الدستور الإلٰهي للبشرية ٤

❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٥

• **مقدمة** ٧

❖ البدعة حقيقتها وأقسامها وآثارها ١٧

❖ الفصل الأول: البدعة لغةً وشرعًا عند المسلمين ١٨

البدعة لغةً ١٨

ما كتبه ابن منظور في «لسان العرب» ٢٠

البِدْعة شرعًا ٢٣

البدعة عند ابن تيمية ٢٤

التَّمْيِيز بين السُّنَّة والبدعة ٢٨

المحافظة على عموم: «كلُّ بدعةٍ ضلالة» ٣٠

البدعة شرٌّ من المعصية ٣١

معنى البدعة عند الإمام الشاطبي ٣٥

البدعة مجالها الدِّين ٣٦

الابتداع في الأصل لا يكون في أمور العادات ٣٧

QaradawiBooks.com

أفعال النبيِّ ﷺ ٣٨
الاختراع ينبغي أن يكون في شؤون الدنيا ٤٢
مضاهاة الشرعيَّة ٤٤
المقصود بالبدعة المبالغة في التعبُّد ٤٤
كثيرٌ من العادات الاجتماعيَّة المُحْدَثة لا تدخل في البدعة ٤٥
تَحَرِّي المناسبات الإسلاميَّة ٤٥
لا بدَّ أن يكون الابتداع في صُلْب الدِّين ٤٦
ترجيحي التضييق فيما كان زيادة في صُلْب الدِّين ٤٩
تلقين الميت بعد الدفن ٤٩
دعاء ختم القرآن في الصلاة ٤٩
ترجيحي التضييق فيما كان شديد الضرر على المسلمين ٥٠
من بدع العصر: عيادات العلاج بالقرآن ٥٠
خطر الزيادة في الدِّين ٥٢
ما وقع للواثق في عقيدة خلق القرآن ٥٤

❖الفصل الثاني: الأدلة الشرعيَّة على حظر الابتداع في الدِّين ٥٩

أوَّلًا: من القرآن الكريم ٥٩
ثانيًا: من السُّنَّة ٦١
شرح الحافظ ابن رجب للحديث ٦٢
توجيه قول عمر رضي الله عنه: نعمت البدعة ٦٣
سنن الخلفاء الراشدين ٦٤
كلام الإمام الشافعي في البدعة ٦٦

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

اختلاف الصحابة وتابعيهم في أمور حدثت بعد النُّبُوَّة ٦٧
حدوث الأهواء بعد عصر الصحابة ٦٨
التوسُّع في الرأي وردُّ السُّنَن الثابتة ٦٩
أهواء المُتَصَوِّفة والمُتَكَلِّمِينَ بعيدًا عن السُّنَّة ٦٩
ثالثًا: ما جاء عن الصحابة في ذمِّ الابتداع ٦٩
رابعًا: ما جاء عن التابعين ٧٤
خامسًا: ما جاء عمَّن بعد التابعين ٧٥
سادسًا: النظر في المقاصد والعلل ٧٦

❖الفصل الثالث: لماذا شدَّد الإسلام في أمر البدعة؟ ٧٧

أولًا: المبتدع ينصِّب نفسه مُشَرِّعًا ونِدًّا لله تعالى ٧٧
ثانيًا: المبتدع يرى الدِّينَ ناقصًا ويريد أن يُكَمِّله ٧٨
ثالثًا: الابتداع يُعَسِّر الدِّين ويُخْرِجه عن طبيعته السَّمْحة ٧٩
رابعًا: الابتداع في الدِّين يُميت السُّنَن ٨٣
خامسًا: الابتداع في الدِّين يصرف عن الابتكار في شؤون الدنيا ٨٥
سادسًا: الابتداع في الدِّين يُفَرِّق الأُمَّة ويُمَزِّق وَحْدَتها ٨٦

❖الفصل الرابع: لا يُحكم بالبدعة على أَمْر ما لم تكن صورته واضحة محدَّدة ٩٠

إجابة بعض العلماء على هذا السؤال حسَب الظاهر ٩١
تعقيب الإمام الشاطبي على هذا الجواب ٩٢
حكم الإنشادات الشعريَّة وسماعها ٩٧

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

❖**الفصل الخامس: خطرُ الابتداع في الأديان ومضارُّه** **١٠٣**

الابتداع حرَّف الأديان عن حقيقتها ١٠٣

حكمة تشديد الإسلام في منع البدع ١٠٤

كيف أفسد الابتداع الأديان كلَّها؟ ١٠٥

مجال الابتداع هو الدُّنْيا وشؤونها ١٠٧

الاتِّباع في الدِّين والابتداع في الدنيا ١٠٨

أصلان في التعبُّد لله ١٠٨

الأصل الأوَّل: ألَّا يُعْبَدَ إلَّا الله تعالى ١٠٨

الأصل الثاني: ألَّا يعبد الله تعالى إلَّا بما شرعه ١٠٨

ابتداع النصارى الرَّهبانيَّة العاتية ١٠٩

التسهيل في أمر الدُّنْيا والحث على الابتكار فيها ١١٠

أثر تحريم البدع في الإسلام ١١٢

تحريف العبادات في شتَّى الديانات سوى الإسلام ١١٣

وجود العلماء المجاهرين بالحقِّ المطاردين للبِدَع ١١٤

❖**الفصل السادس: أسباب الابتداع في الدِّين** **١١٩**

إلام يستند المُبْتَدِعون؟ ١١٩

١ ـ اتِّباع الهوى ١١٩

٢ ـ اتِّباع المتشابهات ١٢٢

الإمام أحمد في ردِّه على الجَهْمِيَّة يشير إلى المُتَشَابه ١٢٣

ابن تيمية يشرح ما قصده أحمد ١٢٤

التوحيد عند هؤلاء وعند المسلمين ١٢٥

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

٣ ـ انتشار الجهل بحقيقة الدين ١٢٩
٤ ـ الاعتماد على الأحاديث الواهية والموضوعة ١٣١
وجه كلام الإمام أحمد ١٣٣
رواية الضعيف في الترغيب والترهيب ١٣٥
٥ ـ التقليد الأعمى ١٣٧
٦ ـ تقديم العقل على الشرع ١٣٨
٧ ـ تحريف الأدلَّة عن مواضعها ونماذج منها ١٤٣
أولًا: الاستدلال على سكنى الكهوف والمقابر ونحوها ١٤٣
الخلوة في الكهوف والمقابر ليست هي الاعتكاف الشرعي ١٤٣
ما كان قبل النبوَّة لا يُحْتَجُّ به ما لم يستمرَّ بعد النبوَّة ١٤٤
حقيقة وضع أهل الصُّفَّة ١٤٤
ثانيًا: معنى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ١٤٩
ثالثًا: أنتم أعلم بشؤون دنياكم ١٥١
معنى حديث: «أنتم أعلمُ بشؤون دُنْياكم» ١٥١
نضرب هنا بعض الأمثلة للأمور الدُّنْيويَّة وموقف الإسلام منها ١٥٢
أ ـ القتال ١٥٢
ب ـ الزراعة ١٥٣
ج ـ التداوي ١٥٤
❖الفصل السابع: أخطار البدعة على الدِّين وعلى أصحابها ١٥٦
البدعة لا يُتَاب منها ١٥٦
البدعة أخطر من الكبيرة ١٥٩
حرمان صاحب البدعة من نور القرآن والسُّنَّة ١٦٠

QaradawiBooks.com

❖**الفصل الثامن: أقسام البدعة** **١٦٤**

١ ـ انقسام البدعة إلى بسيطة ومُرَكَّبة ١٦٥

٢ ـ البدعة منها حقيقيَّة ومنها إضافيَّة ١٦٦

البدعة الحقيقيَّة ١٦٦

البدعة الإضافيَّة ١٦٦

البدعة الكُلِّيَّة ١٦٨

البدعة الجزئيَّة ١٦٩

البدعة الفعليَّة ١٧٠

البدعة التركيَّة ١٧٠

البدعة الاعتقاديَّة ١٧١

البدعة العمليَّة ١٧٢

❖**الفصل التاسع: أمثلة للبدع في الواقع ما أُقِرَّ منها وما لم يُقَر** **١٧٤**

الغلوُّ في شخصيَّة النبيِّ الكريم ١٧٤

الغلوُّ في الصالحين ١٧٦

الغلوُّ في العبادات ١٧٧

البدعة هنا أنواع ومراتب ١٧٧

في العادات أو المعاملات ١٧٨

متى يكون فعل ما تركه النبي بدعة؟ ١٨٠

قول الأشاعرة: إنَّ الله لا يفعل شيئًا لحكمة ١٨١

إحداث المنبر في مصلى العيد ١٨١

افتتاح المؤتمرات والأحفال الكبيرة بالقرآن ليس من البدعة ١٨٢

QaradawiBooks.com

قول «صدق الله العظيم» ليس من البدعة ١٨٤
إقامة الاحتفالات والمسابقات لمن يحفظ القرآن أو أجزاء منه ١٨٥
بدع حذر منها العلَّامة الشيخ الخضر حسين ١٨٥
الاستخارة بالمصحف والمسبحة ١٨٦
تقبيل الإبهامين في الأذان ١٨٧
من أضر أنواع البدع ١٨٨
ما زاده بعض الصحابة في العبادات ١٩٠

❖ **فتوى تقسيم بعض العلماء البدعة إلى الأحكام الخمسة ١٩٦**
وللبدع الواجبة أمثلة ١٩٧
وللبدع المحرمة أمثلة ١٩٧
وللبدع المندوبة أمثلة ١٩٧
وللبدع المكروهة أمثلة ١٩٧
وللبدع المباحة أمثلة ١٩٨

❖ **خلاصة: نماذج من اختلاف المضيقين للبدعة من المعاصرين في بعض المحدثات ٢٠٤**

❖ **الفصل العاشر: محاربة البدعة ٢١١**
الفرق المبتدعة الَّتي نشأت مبكرًا ٢١١
تصنيف النَّاس في عصرنا ٢١٤
حديث الثلاثة وسبعين فرقة ٢١٥
الطائفة المنصورة ٢١٧
البدع المختلف فيها ٢١٩

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

خطأ الاستدلال بكلام ابن تيمية ٢٢٠
النظر إلى مرتكبي البدع بميزان العدل والعلم ٢٢١
اتهام المبتدعين لا يصل إلى حد التكفير ٢٢٢
ابن تيمية يرد على المُكَفِّرين لكل أهل البدع والأهواء ٢٢٣
محاربة البدعة بأفضل الوسائل الَّتي لا تؤدي إلى شرٍّ منها ٢٣٥
جناية المصطلحات على الحقائق والغايات ٢٣٧
مصطلح التصوف ٢٣٧
التزكية والإحسان ومكانتهما من الكتاب والسُّنَّة ٢٣٨
تغير المناهج وتطورها بحسَب الزمان والمكان ٢٤٠
لنقرر الحقيقة ونتحرَّر من القيود وننبذ العصبيَّة ٢٤١

- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٢٤٥**
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٢٥٧**
- **فهرس الموضوعات ٢٦٥**

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com